

# عِلْمُ الْبَلاغَةِ وَعِنْدَهُ عِلْمٌ بِالْبَلاغَةِ

دراسة تاريخية وفنية

لأصول البلاغة ومسائل البداع

تأليف

د. بيروني عبدالفتاح فيود

أستاذ البلاغة والنقد  
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

المؤسسة  
المختبار  
للنشر والتوزيع

دار المعلم الثقافية  
الأحساء  
للمنشورة والتوزيع

# مَكْتَبَةُ إِسَارَةِ الْعَرَبِ



الْأَسْنَادُ / عَلَى رَدِيْدِ شَرَفِي

# عِلْمُ الْبَلاغَةِ وَعِرْفُهُ

دراسة تاريخية وفنيّة  
لأصول البلاغة ومسائل البديع

تأليف

د. بسيوني عبد الفتاح فيود

أستاذ البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار المعالم الثقافية  
الأسناء  
لنشر والتوزيع

المختار  
مؤسسة  
لنشر والتوزيع

## **مؤسسة المختار**

**للنشر والتوزيع - القاهرة**

٦٥ شارع الترفة - مصر الجديدة  
٢٩٠١٥٨٣ : تليفون وفاكس

## **دار المعالم الثقافية**

**للنشر والتوزيع**

**المملكة العربية السعودية**

**الأحساء - الهفوف**

**شارع الجامعة**

**ص.ب : ٣١٩٨٤ الأحساء ٣١٩١٣**

**هاتف : ٥٨٧٠٦٣ - ٥٨٦٣٠٦٦**

**الطبعة الثانية**

**١٩٩٨ م - ١٤١٨**

**جميع الحقوق محفوظة للناشر**

**رقم الإيداع: ٣٨٦٩ لسنة ١٩٩٨**

**التقديم الدولي : 977-5283-24-8**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَلَّمةٌ

### الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين بديع السموات والأرض ، جعل الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ، فتبارك الله أحسن الخالقين ... والصلوة والسلام على خير خلقة المبعوث رحمة للعالمين الذي أوتي جوامع الكلم، صلوات ربى وسلمه عليه وعلى آله وأصحابه وتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد .

فكتاب علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع كتاب له وجهتان .

الوجهة الأولى : دراسة أصول البلاغة دراسة تاريخية تبرز تلك الأصول منذ أن كانت إشارات وملحوظات بلاغية يلاحظها الشعراء والنقاد والكتاب في مختلف عصور الأدب ، ثم دونت تلك الملاحظات وسجلت وكان التأثر والتأثير بين العلماء فنمت هذه المسائل البلاغية وتطورت .

والقسم الأول من الكتاب يجلّي هذا الجانب ويزّر تاريخ البلاغة العربية ويظهر تطورها ويبين مدى التأثر والتأثير بين علمائها، ويحرص على إيضاح أصالتها مفتداً آراء المشككين في تلك الأصالة .

أما الوجهة الثانية فهي دراسة مسائل البديع دراسة فنية، وتتضمن القسم الثاني من الكتاب دراسة تلك المسائل ، وقد حرصنا في هذا الجانب على تحليلية ألوان البديع وإبراز

أسرارها و دقائقها وإيضاً أن تلك الألوان ليست مجرد الزينة والزخرفة الشكلية فحسب ، بل إن التحسين الذي تضفيه على الكلام تحسين ذاتي يقتضيه المقام وتستدعيه الحال . ولما نفذت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، و ظهرت الحاجة إليه ، وكثير سؤال الدارس عنه لزم إعادة طبعه طبعة دقيقة واضحة يستفيد منها الدارس ، وتحقق الشمرة المرجوة والغاية المنشودة .

فallah عز وجل أسائل أن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذا الكتاب ، ويجزينا خيرا الجزاء ، ويهدينا سواء السبيل ، إنه خير مسئول ، وهو نعم المولى ونعم النصير ... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### المؤلف

**د/ بسيونى عبد الفتاح فيود**

أستاذ البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالقاهرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَلَّمَةٌ

### الطبع————ة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ...  
أما بعد :

فيتكون هذا الكتاب من قسمين : تناولت في القسم الأول - نشأة البديع وتطور البحث في الدراسات البلاغية وقد اختتمته بحديث أو وضحت فيه أصالة البلاغة العربية ...  
وتناولت في القسم الثاني فنون البديع فدرستها دراسة تحليلية دقيقة ، جللت فيها تلك الفنون وأوضحت أنها ليست مجرد الزينة والتحسين - كما ذكر الخطيب القزويني وأتباعه - بل لها مزاياها البلاغية التي يقتضيها المقام ويستدعاها الكلام ، وقد وقفت مع كل فن من فنون البديع وأبرزت مزاياه البلاغية وأثره في التعبير ... والله عز وجل أسأل أن ينفع بهذا الكتاب طلبة العلم وأبناء الإسلام وأن يجعلينا خيراً لجزاء ويهدينا إلى سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير؟

المؤلف

د/ بسيونى عبد الفتاح



**القسم الأول**

**نشأة البديع وتطور البحث**

**في الدراسات البلاغية**

يطلق البديع في اللغة على إيجاد الشئ واحتزاعه على غير مثال قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السمواتِ والأرضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup> فمعنى إبداع السموات والأرض : خلقهما وإيجادهما على غير مثال سابق . كما يطلق على الجديد الحدث ، وعلى الشئ العجيب الغريب ، يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

سجية تلك فيهم غير محدثة     إن الخلائق فاعلم شرها البدع

ويقال : شئ : بديع اى . عجيب محدث ، وركى بديع اى : جديدة حديثة الحفر<sup>(٢)</sup> .

والبالغيون قد أطلقوا كلمة : (بديع) على فنون البلاغة ومسائلها ، كما أطلقوا على تلك الفنون والمسائل كلمات : البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ، وظلت كلمة " البديع " ترد مراراً تكراراً في تلك المعانى ، مراراً بها مسائل البلاغة وفنونها ، حتى جاء السكاكي : " ت ٦٢٦ هـ " فقسم البلاغة إلى علمي : " المعانى والبيان " ، وقال : هناك وجوه أخرى غير مسائل هذين العلمين ، يصار إليها لقصد تحسين الكلام وتزيينه ، وهي ما أطلق عليه بعده " علم البديع " .

وبهذا يتضح لك أن البلاغة لم تقسم إلى علوم ثلاثة إلا في القرن السابع الهجري ، وكانت مسائلها قبل ذلك ، من طباق وجناس وتورية وبلاعنة وتقسيم واستعارة وتشبيه وكناية ومشاكلة وتجريد ، إلى آخر تلك الفنون ، كان يطلق عليها جميعاً اسم : البديع أو البيان أو الفصاحة أو البراعة ، دون تمييز بينها ، وكانت ترد في الشعر القديم وما وصل إلينا من نثر ، عفو المخاطر وبلا تكلف ولا تصنع . فكان لها أثراً في النفس وفي إبراز المعنى وإظهار جماله وحسناته .

من ذلك ما نشر به في قول امرئ القيس مجازاً على سبيل الاستفهام .

(١) سورة البقرة : الآية ١١٧ .

(٢) انظر لسان العرب : مادة " بدع " .

فسلی ثیابی من ثیابک تنسّل	وإن كنت قد ساءتك مني خليقة
ليلبسنی من داھه ما تلیسا	لقد طمع الطماح من بعد أرضه
کجلمود صخر حطه السیل من عل	وقوله مطابقاً ومشبهاً وبالغاً في وصف فرسه :
درaka و لم ينضج بماء فيغسل	مکر مفر مقبل مدبر معا
فليس في على شيء سواه بخازن	وقوله وبالغاً في وصف فرسه أيضاً :
وهل ينعم من كان في العصر الحال	فعادي عداء بين ثور ونعجة
بسقط اللوى بين الدخول فحومل	وقوله راداً أتعجاذ الكلام على صدوره :
ما الليث كذب عن أقرانه صدقا	إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
وقوله في حسن الابتداء :	وقوله مصرعاً أول القصيدة :
يمين أو نثار أو جلاء	الأعلم صباحاً أنها الطلل البالى
ثمانين حولاً لا أبالك يسام	وقابنك من كرى حبيب ومنزل
سئت تکاليف الحياة ومن يعش	وفي قول زهير بن أبي سلمى مطابقاً :
و قوله في حسن التسهيم:	ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
لقد طمع الطماح من بعد أرضه	وقوله في حسن التقسيم وكان عمر رضى الله عنه يعجب منه ويردد:
لقد طمع الطماح من بعد أرضه	فإن الحق مقطعه ثلاثة
وقوله في حسن التسهيم:	وقوله في حسن التسهيم:

وقوله في التذليل :

على شعث أى الرجال المهدب

ولست بمستيق أخـا لا تلمـه

وفي قول طرفة بن العبد مخترسا :

صوب الغمام وديـة تهمـي

فسقـى ديارك غـير مفسـدـها

وقول حسان مبالغا :

وأسيافـنا يقطـرون من بـحـدة دـمـا

لـنا الجـفـنـات الـغـرـ يـلـمـعـنـ فـي الضـحـى

وقوله في حسن الاستطراد

فـنـجـوتـ منـجـىـ الحـارـثـ بـنـ هـشـامـ  
وـنـجـاـ بـرـأـسـ طـمـرـةـ وـلـجـامـ

إـنـ كـنـتـ كـاذـبـةـ الـذـىـ حـدـثـتـىـ  
تـرـكـ الأـحـبـةـ أـنـ يـقـاتـلـ دـونـهـمـ

وقوله في حسن التخلص :

سـطـوـاتـ نـيـرانـ الـهـوىـ ثـمـ اـهـجـرـىـ  
فيـنـالـ قـومـكـ سـطـوـةـ مـنـ مـعـشـرـىـ  
طـلـعـتـ عـلـىـ كـسـرـىـ بـرـيـحـ

قـولـىـ لـطـيفـكـ أـنـ يـكـفـ عـنـ الـحـشـاـ  
وـانـهـىـ جـمـالـكـ أـنـ يـنـالـ مـقـاتـلـهـمـ  
إـنـىـ مـنـ الـقـوـمـ الـذـيـنـ جـيـادـهـمـ

وفي قول الأعشى موغلا:

فـلـمـ يـضـرـهـ وـأـوـهـ قـرنـهـ الـوعـلـ

كـنـاطـحـ صـخـرـةـ يـسـوـمـ لـيـوهـنـهـاـ

وقوله مغالياً:

فـنـىـ لـوـ يـنـادـىـ الشـمـسـ أـلـقـتـ قـنـاعـهـاـ  
أـوـ القـمـرـ السـسـارـىـ لـأـلـقـىـ المـقـالـدـاـ

وفي قول النابغة الجعدي مغالياً:

وـإـنـاـ لـنـرـجـوـ فـوـقـ ذـلـكـ مـظـهـرـاـ

بـلـغـنـاـ السـمـاءـ بـحـدـنـاـ وـسـنـاؤـنـاـ

وفي قول حرير مطابقاً :

و باسط خير فيكم يمينه  
وقوله راداً أعجز على صدره :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً  
وقول الفرزدق في اللف والنشر:

لقد جئت قوماً لو جأت إليهم  
لأنقيت منهم معطياً أو مطاعنا  
وفي المذهب الكلامي :

لكي امرئ نفسان نفس كريمة  
ونفسك من نفسك تشفع للندي  
والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : هل كان هؤلاء القدماء في تلك العصور :  
الجاهلي والإسلامي والأموي ، يعرفون هذه الفنون ، ويقفون على مسمياتها المذكورة؟ .

والجواب : لا ، فتلك المصطلحات لم تكن قد وضعت بعد ، وهؤلاء إنما كانوا  
ينظمون على السليقة العربية وعلى طريقة العرب في التعبير والقول ، وكانت تلك  
السائل التي لا يعرفون مسمياتها ترد في كلامهم عفو الخاطر وبلا تكلف .

فإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا الإكثار والإسراف في صور البديع  
ومسائله، إذ ظهر مجموعة من الشعراء أمثال بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد  
وأبي تمام وأبن المعتز وغيرهم . وهؤلاء قد أسرفوا في الصور البديعية وتتكلفوا مسائل  
البيان . إذ نظروا في الشعر القديم مقلدين ما فيه من فنون بديعية وصور بيانية وسائل  
بلاعية ، وأسرفوا في استخدام هذه الصور معتقدين أن الإبداع في الإكثار من تلك  
الفنون ، ها هو ذا بشار يقول : " ما زلت أروى في بيت امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويايساً لدی وكرها العناب والخشف البالى

إذ شبه شيئاً بشيئين ، حتى صنعت :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا  
وأسيافتا ليل تهاوى كواكبـه

ويستمع إلى قول كثير :

إلا إنما ليلى عصا خيزرانة  
إذا غمزوها بالأكف تلين

فيقول : " والله لو جعلها عصا مخ أو عصا زيد ما أحسن ، لقد جعلها حافـة  
خشنة ، إلا قال كما قلت :

ودعجاء المـحاجر من معـد  
كـأن حـديثـهـا ثـمـرـ الجـنـانـ

إـذـ قـامـتـ لـحـاجـتـهـاـ تـشـنـتـ  
كـأنـ عـظـامـهـاـ مـنـ خـيزـرانـ

وـكـأنـهـ قدـ أـدـارـ المعـنىـ فـىـ نـفـسـهـ وـتـأـمـلـهـ ثـمـ صـاغـهـ هـذـهـ الصـيـاغـةـ الـجـدـيـدةـ الـتـىـ جـلـتـهـ  
مـنـ جـفـوـتـهـ وـخـشـونـتـهـ<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن عصور الأدب ليست بينها حواجز قوية ، بل يتداخل بعضها في بعض ، والفنون أو الظواهر الجديدة لا تبرز في حالة تامة مستوية الجوانب واضحة المعالم ، بل توجد موزعة في أواخر العصر السابق وأوائل العصر اللاحق ، ولذا فإن هؤلاء الشعراء الذين أسرفوا في البديع وأكثروا من صوره وتتكلفوا مسائله في العصر العباسى ، لم يكونوا على مستوى واحد ودرجة واحدة من حيث الإكثار والإسراف والتكلف والاصطناع ، بل هم متفاوتون ، ونستطيع تقسيمهم إلى أربع فئات أو مدارس ، لكل مدرسة منها طابعها الخاص ورجالها الذين يمثلونها ، فالمدرسة الأولى مدرسة بشار بن برد ومن تلامذتها ابن هرمة والعتابي ومنصور النميري وأبو نواس : والمدرسة الثانية يمثلها مسلم بن الوليد الذي زاد في الإسراف وبالغ في التكلف والمدرسة الثالثة يمثلها أبو تمام الذي حلف لا يصلى حتى يحفظ ديوان مسلم بن الوليد ، فبلغت الصور البدوية على يديه

---

(١) انظر الأغانى حـ ١ / ١٥٤ ، ١٩٦.

من التنميق والتأنق والتتكلف والتعقيد والمرج بألوان الثقافات الواسعة والخوض في بحوار الفلسفة والمنطلق ميلغاً لم تبلغه على يد شاعر غيره . والمدرسة الرابعة عمادها : البحترى وابن المعتر ، وقد تحمل البديع على أيديهما من تلك الأعباء الشاقال التي أرهقه بها أبو تمام وأخذ يرجع إلى عهد الفطرة السلسة العذبة والطبع القويم<sup>(١)</sup> .

ولن نخوض في تلك المدارس ، فليس المقام مقام إفاضة وتفصيل ، بل سينكتفي بالنظر في شعر شاعر من هؤلاء الشعراء لنرى مدى ازدياد وطغيان الصنعة البدعية عن ذي قبل ، ول يكن هذا الشاعر بشاراً إذ يقول مطابقاً :

**حتم قلبی مشغول بذکر کم** یهذی و قلبک مربوط بنسیانی

## لهفي عليها ولهفي من تذكرها یدنو تذکرها منی وتنانی

إنني لست بآهلاً لصفوة حران  
إن كان أدناه لا يصفو لها

فلا يخلو بيت من هذه الآيات الثلاثة من طباق وتلك كثرة لم نشهدها في الأدب القديم . ومن طباقه أيضاً قوله :

إذا أيقظتك حروب العدى فنبه لها عمراً ثم نم

وقوله :

وَمَا نَلْقَاهُمْ إِلَّا صَدْرَنَا  
بَرِيٌّ مِنْهُمْ وَهُمْ حَرَارٌ

ومن تقسيماته الرائعة :

فراحوا فريق في الإسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومن الرجوع قوله :

**نبشت فاضح أمه يغتابنى عند الأمير و هل على أمير**

ومن التوجيه قوله في خياط أعيور يدعى عمرا :

خاطلی عمرزو قباء لیت عینیه سواء

(١) انظر الصيغ البديعي ٦٢ وما بعدها

قلت شعرا ليس يدرى  
ومن مبالغاته قوله :

سلبت عظامي لحمها فتركتها  
وأنحليت منها مخها فجعلتها  
خذى بيدى ثم أرفعى الثوب فانظرى  
ضنى جسدى لكننى أستر

وليس الذى يجرى من العين ماوها  
ولكنها نفس تذوب فنقط  
ومن جناسه قوله :

وقد كانت بتدمير خيل قيس  
وقوله وقد جمع فيه بين الجناس والمقابلة :

ر بما سرك البعيد وأصلاك      القريب النسب ناراً وعاراً  
ولا يخفى عليكم ازدياد الصور البدعية فيما عرضنا من شعره كما لا يخفى قصده  
إلى تلك الصور وعمده إليها ، وقد صرخ هو بذلك إذا كان يروى نفسه في كلام القدماء  
حتى يصنع نحوه ويأتى بمثل ما فيه من صور.

وما من ريب في أن ظهور الثقافات الأجنبية كالهندية واليونانية والفارسية كان  
له أثر كبير في إكثار الشعراء وإسرافهم وتتكلفهم فنون البدع ومسائله ، إذا أقبل بعض  
الشعراء كأبي تمام على تلك الثقافات ونهلوا منها وأغرموا بما فيها من عمق الفلسفه  
والمنطق ، وقد أدى بهم هذا إلى الغموض والتعقيد ، والبعد في صورهم وأخيلتهم على  
نحو ما نرى في قول أبي تمام :

لآلء كالنجوم الزهر قد ليست

أبشارها صدف الإحسان لا الصدفا

إذا جعل للطهر والعفاف صدفا ... وفي قوله معللا :

لا تنكرى منه تحديدا بجملة

فالسيف لا يزرى إن كان ذا شطب

فقد نزع إلى تحسين القبيح بقياسه على أمر مستحسن محمود إذ يقول لصاحبته لا  
تصدى عنه لما بوجهة من تحديد فالسيف يروق ويعجب إذا كان ذا شطب بادية على  
صفحته .

وفي قوله مبالغة في ضياء المحبوبة :

يضاء تسرى في الظلام فيكتسى نوراً وتسرب في الضياء فيظلم

فاعجب لهذا الضياء الذي يبدد الظلام والضياء معًا . إلى آخر ما نجده في شعره  
من تعقيد وغموض وبعد في الخيال والصور مما جعل البحترى ينفر من أثر الفلسفة والمنطق  
على الشعر إذ يقول :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغنى عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القرؤح يلهم بالـ منطق ما نوعه وما سببه

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

\*\*\*

وقد نظر الباحث إلى كثرة صور البديع وفنونه في هذا العصر فجعله مقصورةً  
على العرب ، إذ يقول " والبديع مقصور على العرب ومن أحله فاقت لعنتهم كل لغة  
وأربت على كل لسان <sup>(١)</sup> ، وهو لا يعني أن اللغات الأخرى تخلي من البديع وإنما أراد أن

---

(١) البيان والتبيين ٤/٥٥ .

البدىع قد كثر فى عصره فى اللغة العربية كثرة جعلت ما عداه مما يوجد فى اللغات الأخرى لا يعد شيئاً<sup>(١)</sup>.

كما نظر البعض إلى تلك الكثرة فعدوا البدىع وليد هذا العصر ، مما جعل ابن المعز يتصدى هؤلاء مؤلفا كتابه : " البدىع " ، مثبتا فيه بالشواهد والبراهين أن البدىع قد يم موجود فى القرآن والحديث وفي الشعر الجاهلى والإسلامى ، وليس وليد هذا العصر كما يزعمون<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

### متى بدأت الكتابة في مسائل البلاغة؟

البدىع أو البلاغة أو البيان أو الفصاحة ، كلها مترادفات تعنى شيئاً واحداً ، إذا لم تقسم مسائل البلاغة إلى علومها الثلاثة - كما ذكرت - إلا في عصر السكاكي: ت ٦٢٦ هـ ، وقد بدأت الكتابة في تلك المسائل منذ بدأ التأليف في علوم العربية ومسائلها ، ولكن الإشارة إليها والحديث عنها قد بدأ قبل ذلك بزمن طویل ، ولا بعد إذا قلنا إن الحديث عن البلاغة والإشارة إلى فنونها ومسائلها قد بدأ منذ العصر الجاهلي ، وكانت آنذاك في صورة ملاحظات نقدية أو توجيهات تعليمية إرشادية ، فنحن نعلم ما كان للعرب في الجahلية من أسواق أدبية كسوق عكاظ بجوار مكة ، وكانوا يجتمعون في تلك الأسواق فيتناولون الشعر ، ويتبارون يابراز نتاجهم الأدبي ، وما يروى أن النابغة الذياني كانت تضرب له قيمة في سوق عكاظ ويأتي الشعراء الناشيون فينشدون شعرهم ويحكمون عليه ، فمن نوه به طارت شهرته في الآفاق ، وكان في أثناء ذلك يძى ملاحظاته على معانى الشعراء وأساليبهم، ويقال إنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت

(١) انظر البلاغة تطور وتاريخ ٥٦.

(٢) انظر البدىع ٤، ١.

وفضل الخنساء على بنات ، جنسها ، فغضب حسان وثار عليه وقال له ، أنا والله أشعر  
منك ومنها ، فقال له النابغة حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحي  
وأسيافنا يقطرون من نجدة دما  
فأكرم بنا حالا وأكرم بنا إينما  
ولدنا بنى العنقاء وأبني مُحرّقٍ

قال له النابغة : إنك لشاعر لو لا أنك قلت عدد جفانك فقلت : الجفنات ولو  
قلت الجفان لكان أكثر وقلت : يلمعن بالضحي ولو قلت : يرقن بالدجى لكان أبلغ في  
المديح لأن الضيف أكثر طروقا بالليل ، وقلت يقطرون من نجدة دما فدللت على قلة القتل  
ولو قلت يجررين لكان أكثر لا نصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك .  
فقام حسان منكسراً منقطعاً<sup>(١)</sup> .

فالنابغة قد لاحظ أن حسانا لم يراع مقتضى حال المديح والفاخر فتلك الحال  
تقتضى المبالغة والفاخر بمآثر الآباء قبل الأبناء وحسان قد تخلى عنهما . وعلى الرغم من أن  
البعض قد شكك في هذه الرواية ، والبعض قد دفع ملاحظة النابغة دفاعاً مقوولاً<sup>(٢)</sup> . إلا  
أنها توضح لنا أن الجاهليين كانوا يراجعون بعضهم بعضاً ، وإن تنافسوا على السيادة  
والتقدمة فالحكم هو النتاج الشعري وليس أدلة على ذلك من أن الشاعر منهم كان يعكف  
على قصيده يهذب وينفع ويصلح ولا يخرجها للناس إلا بعد تنقيف طويل حتى سمى هذا  
بالثقب وذا المتخلل وذلك بالمنخل والمهلل والمرقش . ونحن نعلم مدرسة عبيد الشعر  
التي كان يترعها زهير بن أبي سلمى ، تلك المدرسة التي كان شعراؤها يطيلون الوقوف  
 أمام قصائدهم ، إذ كان الواحد منهم يقف أمام قصيده حولاً كاملاً يهذب فيها وينفع

(١) انظر الأغانى ٣٤٠/٩.

(٢) انظر نقد الشعر والأغانى ٣٤٠/٩.

ولا يذيعها إلا بعد أن يكون قد رضى عنها وتأمل كل بيت من أبياتها ، وقد سميت تلك القصائد بالحوليات والنقحات والمذهبات والمحكمات<sup>(١)</sup>.

فإذا انتقلنا إلى العصر الإسلامي وجدنا أن القرآن الكريم كان له أثر كبير في تنمية الذوق وتهذيب النفوس، فها هو ذا النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بأن يتخير السلم الكلمة الملائمة : " لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل : لفست نفسي ". وذلك كراهة أن يضيف المسلم الحديث إلى نفسه . وهذا هو أبو بكر بن عمر على رجل معه ثوب فيقول له : أتبיע هذا الثوب؟ فأجابه : لا ، عافاك الله ، فيتأذى أبو بكر ويقول للرجل : " قل لا وعافاك الله " ، وتلك إشارة إلى باب من أهم أبواب البلاغة ، باب الفصل والوصل . وذاك هو عمر يعجب بشعر زهير ويقول : " زهير أشعر الناس " ثم يعلل هذا الحكم : " لأنه لا يتبع حوشى الكلام ، ولا يعاظلل فى المنطق ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ولا يقول مالا يعرف<sup>(٢)</sup> .

وتزداد هذه الملاحظات البلاغية في العصر الأموي. إذا تراهم يحاولون تحديد مفهوم البلاغة ، فقد سأله معاوية صهار العبدى وقد رأوه بخطابته : " ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : البلاغة الإيجاز . فقال معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صهار : أن تجيز فلا تبطئه وتقول فلا تخطيء "<sup>(٣)</sup> . كما نراهم يشيرون إلى جودة الابتداء وجودة القطع ويفضلا الشاعر أو الخطيب الذى يجيد الابتداء ويسهل التخلص والانتقال<sup>(٤)</sup>.

وقد قام سوق المريد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية، ودعا الشعراء إلى الابتعاد عن الألفاظ الغريبة وإلى تجنب الألفاظ الملائمة التي تتسرق

(١) البيان والتبيين ٢/١٣.

(٢) انظر البيان والتبيين ١/١٥١.

(٣) انظر البيان والتبيين ١/٦٩.

(٤) انظر البيان والتبيين ١/١٢٢.

مع السياق ، كما نبهوا إلى ضرورة مراعاة التناظر بين الكلمات وألا يباعد الشاعر في القول وإلى أن تكون الأبيات ملتحمة متقارنة .

هذا هو جرير يستمع إلى قول عمر بن جلأ في وصف إبله :

قد وَرَدْتُ قَبْلَ إِنْسَى صَحَائِهَا      وَتَفَرَّسَ الْحَيَاةِ فِي خِرْشَائِهَا  
جر العجوز الثُّنْيَ من ردائها<sup>(١)</sup>

فيقول له : كان أولى بك أن تقول : جر العروس ، لا جر العجوز التي تساقط خوراً وضعفاً<sup>(٢)</sup> فقد لاحظ جرير أن كلمة " العجوز " نافية قلقة في سياقها . ويستمع أحد الشعراء إلى قول الأخطل في مدح أحد سادة بنى ربيعة :

قد كُنْتَ أَحْسَبْهُ قَبِنَا وَأَخْسِرْهُ      فَالْيَوْمَ طُبِّرَ عَنْ أُثُوَابِهِ الشَّرَّ<sup>(٣)</sup>

فيقول : " ظنه قيناً وهو سيد نابه "<sup>(٤)</sup> فقد لاحظ هذا الشاعر وهو ضوء بن اللحلاح أن كلمة " قيناً " في بيت الأخطل : لا تلائم المقام ولا تناسب المدح بالكرم والسيادة . ويروى أن النصيб والكميت وذا الرمة قد اجتمعوا فأنشد الكمييت قصيده " هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب ، حتى إذا بلغ منها قوله :

أَمْ هَلْ ظَعَائِنَ بِالْعَلِيَّاءِ يَافِعَةٌ      وَإِنْ تَكَمَّلْ فِيهَا الْأَنْسُ وَالشَّنْبُ<sup>(٥)</sup>  
عَقْدَ نَصِيبِ عَقْدَةِ فَقَالَ لِلْكَمِيَّتِ : مَاذَا تَحْصِي؟ قَالَ : حَطَّاكَ بِسَاعِدَتِ فِي  
الْقَوْلِ مَا الْأَنْسُ مِنَ الشَّنْبِ أَلَا قَلْتَ كَمَا قَالَ ذُو الرَّمَةِ :  
لَمِيَّا فِي شَفَتِهَا حُمْرَةٌ لَعْسٌ      وَفِي الْلِثَاثِ وَفِي أَسْنَانِهَا شَنْبٌ<sup>(٦)</sup>

(١) إنى: وقت . وضباء الإبل: مرعاها في الضاحي - وتفرس: تدق وتحطم والخرشاء: جلد الحياة .

(٢) انظر الأغانى ٨/٧٠.

(٣) القين : العبد

(٤) انظر الصناعتين ٨٦ .

(٥) الظعائن : مفردتها ظعينة وتطلق على المرأة في الهوج . والشنب : ماء ورقية وعدوبية في الأسنان .

(٦) لمياء : اللمى سمرة في الشفة . والحوة : حمرة في الشفتين تضرب إلى السواد واللمس : سواد : سواد مستحب في الشفة .

فانكسرت الكلمة<sup>(١)</sup> وهذه الملاحظة التي لاحظها نصيبي هي ما أطلق عليه  
البلاغيون فيما بعد اسم : مراعاة النظير .

وقال عمر بن جعفر لأحد الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : وهم ذاك ؟  
فأجاب : لأنني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه ، وقال شخص  
لرؤبة بن العجاج :رأيت اليوم ابنك عقبة ينشد شعر الله أعجبني قال  
رؤبة : نعم إنه يقول ولكن ليس لشعره قران<sup>(٢)</sup> . فعمر ورؤبة ينبهان إلى ضرورة إتحاد  
أجزاء القصيدة وتلاحم أبياتها وهو ما عرف فيما بعد باسم وحدة السياق أو الوحدة  
العضوية للقصيدة .

وتكثر هذه الملاحظات في العصر العباسي بين الكتاب والشعراء فهذا هو ابن  
المفع " ت ١٤٢ هـ " أحد كتاب الدواوين وهو فارسي الأصل ترجم عن الفارسية إلى  
العربية كتباً كثيرة تاريخية وسياسية وأدبية منها كتاب " كليلة ودمنة " ، يقول وقد سئل  
عن البلاغة : " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في  
السکوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في  
الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً وخطباً  
ومنها ما يكون رسائل ؛ فعامة ما يكون من هذه الأبواب التوحى فيها والإشارة إلى المعنى  
والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب بين السماطرين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير  
خطلل والإطالة في غير إملال . ول يكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن  
خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأغاني ٣٤٨/١.

(٢) انظر البيان والتبيين ٢٠٥/١.

(٣) البيان والتبيين ١١٥/١.

ففى هذا القول تحديد واضح لمفهوم البلاغة ومنه استمد البلاغيون المتأخرون تعريفهم للبلاغة بأنها : " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته " <sup>(١)</sup>. فللايجاز مواضع وللإطناب مواضع وما يصلح لهذا لا يصلح لذاك ، لكل مقام مقال.

كما أن فيه إشارة إلى ما سمي فيما بعد " براعة الاستهلال " ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك " . وإشارة أخرى إلى ما عرف باسم " رد الأعجاز على الصدور " . " خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيةه " .

وفي هذا العصر - كما نعلم - بدأ التأليف ونشط في مختلف العلوم العربية. وسجلت الملاحظات والمسائل البلاغية في تلك المؤلفات . وهي إما مؤلفيها وإما محكية ومنقوله عن غيرهم فتعالوا نظر في هذه المؤلفات لنرى كيف بدأت فيها أسس المسائل والفنون البلاغية ثم نمت وتطورت حتى صارت إلى ما هي عليه الآن .

سيبويه " ت ١٨٠ هـ " : تحدث سيبويه في الكتاب عن بعض خصائص التركيب وأوجه الدقة في استعمال الألفاظ مثل : التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والمحذف ، وعن معانى بعض الأدوات مثل أدوات الاستفهام وأدوات الشرط وذا ما تناوله البلاغيون فيما بعد في علم المعانى . يقول مثلاً عن سر بلاغة التقديم عند جواز تقديم المفعول على الفاعل : " كأنهم إما يقدمون الذى بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى ، وإن كانوا جميعاً يهمنهم ويعنianهم " <sup>(٢)</sup> .

ويتحدث عن همزة الاستفهام فيذكر أن قوله : أزيداً لقيت أم عمر؟؟؟ تقديم الإسم فيه أحسن وأفضل ، ولو قلت ألقيت زيداً أم عمر؟؟؟ لكان جائزأ حسناً <sup>(٣)</sup> . وما أجازه سيبويه وعده حسناً رفضه عبد القاهر والبلغيون بعده حيث أوجبوا إيلاء المستفهم عنه الهمزة إذا كانت للتصور فلا يجوز عندهم في المثال المذكور إلا : " أزيداً لقيت

(١) الإيضاح ٢٦/١.

(٢) الكتاب ١٥/١.

(٣) انظر الكتاب ١٦٧/٣.

أم عمرًا؟ . وهو ما جعله سيبويه أحسن وأفضل<sup>(١)</sup> . وقد ذكر صاحب دلالات التراكم وجهًا حسناً في التوفيق بين الرأيين فارجع إليه<sup>(٢)</sup> .  
ويشير إلى المجاز العقلي عند حديثه عن بيت النساء:

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

فيقول : " جعلتها الإقبال والإدبار بمحاجة على سعة الكلام "<sup>(٣)</sup> كما يتحدث عن التشبيه ويورد أمثلة له نحو قوله : مررت برجل مثل الأسد ، إذا كنت تشبهه<sup>(٤)</sup> . إلى غير ذلك من الإشارات البلاغية التي تجدها متداولة هنا وهنالك والتي تحتاج من دراسي البلاغة إلى تتبعها واستخلاصها.

الفراء " ت ٢٠٧ هـ ويتحدث الفراء في كتابه معاني القرآن عن مسائل بلاغية مختلفة كالتقديم والإيجاز والإطناب والمعانى التى تفيدها بعض الأدوات كأدوات الاستفهام ، والتشبيه والاستعارة والكلناء ، وهى إشارات موجزة يدركها المتأنل فى كتابه معانى القرآن . نراه مثلا يشير إلى الكلناء فى الآية الكريمة : ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرَّا﴾<sup>(٥)</sup> فيقول : " السر فى هذا الموضوع : النكاح ثم يرويه عن ابن عباس رضى الله عنه وينشد لامرئ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنتى  
كبرت وألا يشهد السر أمثالى<sup>(٦)</sup>

ويتحدث عن الاستعارة فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُمَا لَيَامَامٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٧)</sup> فيقول : " طريق لهم يمرون عليها فى أسفارهم فجعل الطريق إماماً لأنه يوم ويتبع<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر دلائل الإعجاز ١٤١.

(٢) ارجع إلى دلالات التراكم ٢١٩ للدكتور محمد أبو موسى.  
(٣) الكتاب ١/١٦٩.

(٤) انظر الكتاب ١/٢٣١.

(٥) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٦) معانى القرآن ١/١٥٣.

(٧) سورة الحجر آية ٧٩.

(٨) معانى القرآن ٢/٩١.

ويتحدث عن إفادة الاستفهام لغير طلب الفهم في الآية الكريمة : ﴿ كَيْفَ تَكُفِّرُونَ بِاللَّهِ وَكُتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> . فيقول : " قوله " كيف تكفرون ... " على وجه التعجب والتوجيه لا على الاستفهام المخصوص أى : ويحكم كيف تكفرون؟"<sup>(٢)</sup> .

وهذه إشارة دقيقة لو تنبه لها البلاغيون المتأخرون ما تعبوا وأتعبوا ، فقد قالوا : إن إفادة الاستفهام لمعانة البلاغية عن طريق المجاز ثم راحوا يلتمسون العلاقات بين طلب الفهم وبين المعانى البلاغية كالإنكار والتعجب والتهكم والوعيد والتقرير . وقد تعبوا كثيراً في الوصول إلى علاقات مناسبة لا تسمن ولا تغنى ، ولا تفيid الدرس شيئاً ، وكانوا في غنى عن هذا التعب لو أنهم تباهوا لإشارة الفراء إلى أن تلك المعانى دخلت الاستفهام وشابتها فأفادها بالإضافة إلى إفادة طلب الفهم ، وصار بإفادته إليها استفهاماً غير مخصوص .

أبو عبيدة " ت ٢٠٨ هـ " ألف أبو عبيدة كتابه " بجاز القرآن " بسبب مسألة  
تعلق بالتشبيه إذ سأله سائل في مجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه في قوله تعالى : ﴿ طَلَعْهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقال : إنما يقع الوعد والإياد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف ، فأجاب أبو عبيدة : إنما كلام الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول أمرىء القيس :

أيقتلنى والمشترى مضاجعى  
ومسنونة زرق كأنىاب أغوال

(١) سورة البقرة آية ٢٨ .

(٢) معانى القرآن ٢٣/١ .

(٣) سورة الصافات الآية ٦٥ .

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به<sup>(١)</sup> ، والمحاز عند أبي عبيدة لا يراد به المحاز الاصطلاحي المقابل للحقيقة ، وإنما يراد به المعنى اللغوي لكلمة "محاز" فهي مصدر ميمى أو اسم مكان من جاز يقال : جاز الطريق وجاز محازا إذا عبر . فالمراد إذاً بمحاز القرآن : التفسير وبيان الطرق التي يسلكها القرآن في التعبير عن المعانى . وقد أشار أبو عبيدة إلى هذا المراد حيث يقول في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> : محازه تأليف بعضه إلى بعض ، ثم قال : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> محازه . فإذا ألقنا منه شيئاً فضمناه إليك فخذ به واعمل به وضمه إليك<sup>(٤)</sup> . وفي أثناء تفسيره للآيات الكريمة تحدث عما فيها من استعارة وتشبيه وكناية وتقديس وتأخير وحذف وتكرار ، كما أشار إلى الصورة العامة للالتفات وإن لم يسمه بهذه التسمية إذ يقول : " ومن محاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرِينَ بِهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> أي : بكم "

الأصمى " ت ٢١١ هـ " : لم يترك الأصمى كتاباً في صيغ التعبير القرآني كالفراء وأبي عبيدة ، ولكن من جاءوا بعده كابن المعتز وابن رشيق وأبي هلال وقدامة نقلوا آراءه وإشاراته البلاغية ، فقد تحدث عن الجناس ويقال إنه ألف فيه كتاباً وتحدث عن المطابقة وعن صورة أخرى للالتفات غير الصورة التي ذكرها أبو عبيدة . كما تحدث عن الإيغال وعن المبالغة .

يقول ابن المعتز : التجنيس هو أن تجئ الكلمة بجانس آخر في بيت شعر وكلام ومحانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل التي ألف الأصمى كتاب

(١) نزهة الألباء . ٧٠

(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .

(٣) محاز القرآن . ١١ .

(٤) سورة يونس الآية ٢٢ .

(٥) محاز القرآن . ١١ .

الأجناس عليها<sup>(١)</sup> . ويقول ابن رشيق : " ذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشى ذات الأربع ، ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

ليث بعشر يصطاد الرجال إذا

ما الليث كذب عن أقرانه صدق<sup>(٢)</sup>

وتحدث الأصمعي عن الالتفات وهو أول من وضع له هذه التسمية وقد أضاف له صورة أخرى غير التي ذكرها أبو عبيدة وهي أن يفرغ المتكلم من المعنى ونظن أنه سيتجاوزه إلى غيره فإذا به يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره .

يقول أبو هلال : " سأله الأصمعي بعض من كان يتحدث إليهم أتعرف التفاتات جرير ؟  
قال له . فما هي ؟ قال :

أنسى إذا تودعنا سليمي      بعود بشامة سقى البشام

ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعاه و قوله :

لazلت في غلل وأيك ناضر      طرب الحمام بذى الأراك

فالتفت إلى الحمام فدعاه ..<sup>(٣)</sup> كما أشار الأصمعي إلى الإيفال وعرفه بأنه : أن ينقضي كلام الشاعر قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى

---

(١) كتاب البديع . . ٢٥

(٢) العدمة ٢/٧.

(٣) الصناعتين ٣٩٢ والبشام : شجر لاثر له ذو الأراك : موضع والغلل : الماء على سطح الحدائق : والأيك : الشجرة الملتقة .

كقول ذى الرمة :

## قف العيس فى أطلال مية فاسأل

رسوما كأخلاق الرداء المسلسل<sup>(١)</sup>

فتم كلامه بالرداء ثم أفاد بالمسلسل شيئاً جديداً.

و كقول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل<sup>(٢)</sup>

فتم كلامه بيضرها فلما احتاج إلى القافية قال : وأوهى قرنه الوعل ، فزاد

معنى<sup>(٣)</sup>.

صحيفة بشر بن المعتمر " ت ٢١٠ هـ " وصحيفة بشر من الأصول البلاغية

المهمة التي أفاد منها الدارسون كثيراً إذا ألمتهم كثيراً من الأفكار والقضايا وقد رواها  
الجاحظ في كتابة " البيان والتبيين " وإليك خلاصة ما تضمنته هذه الصحيفة من أفكار.

١- يوصى بشر في أول صحفته الأديب أن يقبل على عمله في وقت نشاطه  
وعندما يكون مستعداً لهذا العمل فارغ البال مما سواه ولا يخوض في أدبه عندما يكون  
مجهداً متعباً .

٢- ينبغي للأديب سواء أكان خطيباً أم كاتباً أم شاعراً أن يتبع عن التعقيد وعن  
الألفاظ الغريبة الورعة وأن يتخير الألفاظ الملائمة للمعنى الذي ينشده .

٣- المعنى الشريف الكريم يلائمه اللفظ الشريف فينبغي للأديب أن يصون معانيه  
وألفاظه بما يفسدهما ويجهنهما.

(١) الرداء الأخلاق والخلق : اللبابي . والمسلسل : الردى النسج .

(٢) أو هي : أضعف .

(٣) انظر الصناعتين ٢٨٠ .

٤- ينبغي للأديب أن يلائم ويوازن ويراعي المقامات والأحوال ؛ مقامات الكلام وأقدار المعانى وأحوال المستمعين ، فإن كان من المتكلمين ويحاطب غيرهم تجنب الفاظ المتكلمين ، وإن حاطب المتكلمين كان الأولى والأجدر استعمال ألفاظهم ومصطلحاتهم إذا هم على فهمها أقدر وإليها أميل وبها أشغف ، فعلى الأديب إذاً أن يلائم بين الألفاظ والمعانى وأحوال المستمعين الذين يوجه إليهم الحديث.

٥- ثم يضع بشر الأديب في منزلة من منازل ثلات :

أولاها : منزلة البليغ النام وهو الذى يقدر على أن يصوغ معانيه فى ألفاظ رشيقه عذبة وسهلة فخمة وأن تكون معانيه ظاهرة واضحة وقريبة معروفة ، وأن يمكنه إفهام العامة معانى الخاصة بأن يكسوها الألفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تحفظ عن الأكفاء فالمعنى لا يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، ولا يتضمن بأن يكون من معانى العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال.

ثانيتها : منزلة من لا تسuffهم طبائعهم بالألفاظ الملائمة والقوافي الجيدة المتمكنة بل يجدون فى ذلك عسرا وصعوبة ، ومثل هؤلاء يحسن أن يتأنوا ، لأن طبائعهم لا تسمح لهم بالكلام الجيد لأول وهلة ؛ فعليهم أن يتركوا العمل إذا تأبى عليهم سواد الليل وبياض النهار ثم يعاودوه عند نشاطهم واستعدادهم واكتمال تهيؤهم ، فإن كان لهم فى الأدب طبيعة ومنزع فسيواتهم عندئذ وإن لم يكن غزيرا.

ثالثتها : منزلة من شحت طبائعهم وقضبت بنيابع القول فى نفوسهم ، فهم مهما تأنوا وتهيأوا ونشطوا وخلصوا أنفسهم من أى شاغل آخر ، لا يقعون من الأدب إلا على المستكره المرذول أو لعلهم لا يقعون على شيء منه أبدا وهم حرى بهم أن يهجروا صناعة الأدب إلى صناعة أخرى تشاكلهم وتناسبهم.

تلك خلاصة ما عرضه بشر فى صحفته من آراء وأفكار ونصائح  
وما من ريب فى أن النقاد والبلغيين قد أفادوا كثيراً مما جاء فى هذه  
الصحيفة ...<sup>(١)</sup>

الباحث " ت ٢٥٥ هـ " يعد الباحث من الأعلام الذين أسهموا بنصيب وافر فى  
إرساء دعائم الفنون البلاغية ، فلقد أشار فى كتاباته إلى كثير من الأسس البلاغية التي  
أثرت البحث البلاغي ، وأهمت الدارسين الكثير من الآراء والأفكار .

والناظر فى كتابات الباحث فى " البيان والتبيين " أو " الحيوان " أو " البخلاء "  
أو فى " رسائله " . يقف على أسلوبه المتميز بكثرة الاستطراد والخروج من فكرة إلى  
أخرى ثم العود بعد زمن طويل إلى الفكرة الأولى ، ولعله يهدف بهذا إلى دفع الملل عن  
السامع أو القارئ ، كما أن الأسس البلاغية التي يعرض لها تراها متناثرة فى كتاباته ،  
والفكرة الواحدة تراه يعرضها فى عدة مواضع ، مما يتطلب من الدراس أن يبذل الكثير من  
الجهد فى تبعه واستقصاء كتاباته حتى يقف على هذه الأسس ويلم بذلك الفكر .

### ما أهم الأسس البلاغية التي تحدث عنها الباحث؟

عرض الباحث لملاءمة اللفظ للمعنى ، وملاءمة الكلام للمقام والأحوال المستمعين  
" وقد مرت بنا صحفة بشر التي ذكرها ، كما عرض الباحث للنظم وأشار إلى كتاب له  
في " نظم القرآن " ولكنه لم يصل إلينا . وقد رجع الباحث إعجاز القرآن الكريم إلى  
نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد"<sup>(٢)</sup> ويختطىء كثير من الدارسين عندما يقرون أن  
الباحث قدم اللفظ على المعنى مستندين إلى عبارته : " المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها  
العجمى والعربى والبدوى والقروى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتحير اللفظ وسهولة  
الخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السبك وإنما الشعر صياغة وضرب من

(١) ارجع إلى نص الصحيفة في البيان والتبيين ١٣٥/١.

(٢) انظر الحيوان ٤/٩٤ .

التصوير ...<sup>(١)</sup> وبتأمل هذه العبارة لا نجد تقديمًا للفظ على المعنى وإنما المقدم هو النظم أى اللفظ المسبوك ، المقام في وزن ، المصاغ في شعر ، الذي صور به معنى ، " إقامة الوزن .. جودة السبك .. الشعر صياغة وضرب من التصوير " . أما اللفظ المجرد الذى لم يوضع في نظم فلا مزية له ، ويقوى هذا الرعم قول الجاحظ في موضع آخر : " ثم اعلم - حفظك الله - أن حكم المعانى خلاف حكم الألفاظ لأن المعانى مبسوطة إلى غير غاية ومتدة إلى غير نهاية وأسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة"<sup>(٢)</sup> فهو هنا يقدم المعانى لأنها مبسوطة متدة ويؤخر الألفاظ لأنها معدودة محددة ولكن ما المعانى المقدمة هنا ؟ إنها المعانى المركبة . إنها الصياغة والتصوير والسبك ، وليس المراد بها المعانى العامة واللفظ المؤخر هنا هو اللفظ المجرد ، لأنه هو المحدود المعدود أما الألفاظ المنظومة المركبة فهي متدة لا نهاية لها . المزية إذا مرجعها عند الحاجظ إلى النظم ، وسوف نرى نمو نظرية النظم هذه عند القاضى عبد الجبار ثم ازدياد ثبوتها عند الإمام عبد القاهر الذى فصلها وحلل شواهدها .

وما عرض له الجاحظ أيضًا من أساس وقضايا بلاغية : الإيجاز والإطناب والمساواة ، فتحدث عن التكرار في الوعظ والقصص القرآني ، وبين أن لكل من الإيجاز والإطناب مقام يقتضيه وأن المعتد به في الإيجاز ليس مجرد قصر الألفاظ وقلة كمياتها ، وإنما هو مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة فقد يمتد الكلام صفحات ويسمى موجزاً<sup>(٣)</sup> .

وتحدث عن التعقيد المخل بالفصاحة وعن تنافر الحروف وتنافر الكلمات وأطال الوقوف أمام بعض الشعر الذى اشتد فيه التنافر بين ألفاظه<sup>(٤)</sup> .

(١) الحيوان ٣/١٣١ .

(٢) البيان والتبيين ١/٧٦ .

(٣) انظر البيان والتبيين ١/١٠٥ .

(٤) انظر البيان والتبيين ١/٦٥ .

وتكلم عن السجع وعقد له بابا سماه " باب من الأسجاع في الكلام " ، وعن  
الازدواج والاقتباس من القرآن الكريم ونوه بالتقسيم وجودته وعلل به استحسان عمر  
رضي الله عنه لقول زهير :

إِنَّ الْحَقَّ مُقْطَعَةً ثَلَاثٌ  
يمينٌ أَوْ نُفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

واستحسانه لقول عبدة بن الطيب :

وَالْمَرْءُ سَاعٌ لِشَئٍ لَيْسَ يَدْرِكُه  
وَالْعِيشُ شَحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلٌ

فقد ردد عمر رضي الله عنه البيتين عند سماعهما متعجبًا من حسن ما قسم  
وفصل .. <sup>(١)</sup>

وتكلم عن حسن الابتداء وحسن التخلص والانتهاء فقال : " وحدثني صالح ابن  
خاقان قال : قال شبيب بن شيبة : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه  
وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبة " <sup>(٢)</sup>.  
وتحدث عن الإرصاد وهو ما يعرف بالتسهيم أو التوشيح وإن لم يسمه بهذا  
الاسم بل جعله من صفات البلاغة التي تكسب الكلام حسناً وجمالاً ، حيث يقول :  
" لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظة معناه فلا يكون  
لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك " <sup>(٣)</sup>.

وتكلم عن أسلوب الحكيم وسماه باسم اللغز في الجواب وعرض له عدة  
شواهد <sup>(٤)</sup>. كما تحدث عن المذهب الكلامي ويذكر ابن المعتر أن الجاحظ هو الذي سماه  
بهذا الاسم ، والمراد به عند الجاحظ وكذلك عند ابن المعتر: طريقة المتكلمين العقلية في

---

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٤٠.

(٢) البيان والتبيين ١/١١٢.

(٣) البيان والتبيين ٢/١١٥.

(٤) انظر البيان والتبيين ٢/١٤٧.

إقامة الحجج وإبراز الأدلة والجدل .. يقول الجاحظ " لولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى ... وللعقل في خالل ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتنشأ للخواطر أسباب ، ويتهيأ لصواب الرأى أبواب "(١) .

ويعد الجاحظ أول من أشار إلى مسألة السرقات الشعرية التي شغل بها كثير من النقاد والبلغيين - على أن المسألة في رأى لا تعدو أن تكون تأثراً وتأثيراً "(٢) .

يقول الجاحظ . " لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء بعده من الشعراء أو معه إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعنه بأسره فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى و يجعل نفسه شريكاً فيه كالمعني الذي تنازعه الشعراء فتحتلي فيهم ألفاظهم وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحدهم أحق بذلك المعنى من صاحبه أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال إنه : خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول "(٣) .

وأشار إلى الاحتراس في بيت طرفة بن العبد.

فسقى ديارك - غير مفسدتها - صوب الغمام وديمة تهمى

وسماه : إصابة المقدار ، حيث طلب الغيث على قدر الحاجة لأن الفاضل ضار ... "(٤)

وتحدث عن الاستعارة في قول الشاعر :

يا دار قد غيرها بلاها كأنما بقلم مواجهها

(١) الحيوان ١/١١٥.

(٢) ارجع إلى السرقات الشعرية في القسم الثاني.

(٣) الحيوان ٣/٣١١.

(٤) انظر البيان والتبيين ١/٢٢٨.

أخر بها عمران من بنها  
وكر مساحتها على مفناها

وطفت سحابة غشاها  
تبكي على عراصها عيناها

إذ يقول : "مساحتها يعني مساءها" ومساحتها : موضعها الذي أقيم فيه ، والمغاني  
المنازل التي كان بها أهلوها ، وطفقت : ظلت تبكي ، على عراصها عيناها ، وعيناها  
ه هنا للسحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم  
غيره إذا قام مقامه ..<sup>(١)</sup>.

ونراه في أكثر من موضع يتحدث عن التشبيه وعن الكنية والتعريض وعن المجاز  
معناه الاصطلاحى المقابل للحقيقة ولكنه لم يحدد أنواعه فقد أطلقه على الاستعارة  
بأنواعها وعلى المجاز المرسل .

فمن حديثه عن الكنية قوله : "إذا قالوا فلان مقتصد فتلك كنایة عن البخل،  
وإذا قيل للعامل مستقص فذلك كنایة عن الجور"<sup>(٢)</sup> : قوله . "رب كنایة تربى على  
إفصاح ولحظ يدل على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية قائماً على النهاية..<sup>(٣)</sup>"  
ومن حديثه عن التشبيه مقارنته بين قول النبي صلى الله عليه  
 وسلم : "الناس كلهم سواء كأسنان المشط" وبين قول كثير عزة :  
سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا

إذ يقول "إذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقةه ، وتشبيه النبي وحقيقةه عرفت  
فضل ما بين الكلامين"<sup>(٤)</sup> . وقد ساق كثيرا من الآيات والأشعار معلقا على ما فيها من  
تشبيهات ذاكرا التشبيه بنفس معناه الاصطلاحى<sup>(٥)</sup> ، ومن حديثه عن المجاز تعليقه على  
 الآية الكريمة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاٰ﴾

(١) البيان والتبيين ١/١٥٢.

(٢) البيان والتبيين ٢/٧.

(٣) البيان والتبيين ٢/٧.

(٤) البيان والتبيين ٢/١٩.

(٥) ارجع إلى الجزء السابع من الحيوان.

وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا<sup>(١)</sup> حيث جعلها من باب المجاز ثم قال : " وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بذلك الأموال الأنبلة ولبسو الحال وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل ... قد قال الله عز وجل في تمام الآية : ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ وهذا بجاز آخر ... ونار تأتي على طريق المثل لا على طريق الحقيقة نحو قول ابن ميادة : وناراه نار نار كل مدفوع وأخرى يصيب الجرميين سعيرها<sup>(٢)</sup>

ولما رأى الجاحظ إكتار الشعرا المعاصرين له من ألوان البديع المختلفة لم يعتد بما في اللغات الأخرى منه وجعله مقصوراً على العرب ، وذلك حيث يقول : " والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان ، والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع والعتابي يذهب شعره في البديع "<sup>(٣)</sup>.

فلا عجب إذا قلنا بعد ذلك كله ، إن ما ذكره الجاحظ في كتبه من أسس بلاغية ، قد أثرى البلاغة العربية ، وقد انتفع بهذه الأسس كثير من الدارسين بعده ...

ابن قتيبة " ت ٢٧٦ هـ " يعد ابن قتيبة من أعلام أهل السنة كما أن الجاحظ من أعلام المعتزلة ، يقول ابن تيمية : " هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، كان خطيب أهل السنة كما كان الجاحظ خطيب المعتزلة "<sup>(٤)</sup> . وقد ألف ابن قتيبة كتابه : " تأويل مشكل القرآن " للرد على الملاحدة الذين يطعنون في أساليب القرآن الكريم ويشككون في نظمه وإعرابه ، وقد عرض في كتابه للذكر من آى الذكر الحكيم مستشهاداً لها بنصوص الشعر القديم ليبطل دعوى الطاعنين ، ويذهب ريب المشككين ..

(١) سورة النساء آية ١٠.

(٢) انظر الحيوان ١٣٣/٥.

(٣) البيان والتبيين ٤/٥٥.

(٤) تفسير سورة الإخلاص ص ٨٦.

كما أن له كتاب "الشعر والشعراء" ، و "تأويل مختلف الحديث" ، وفي هذه الكتب نثر ابن قتيبة ملاحظاته البلاغية ، فتحدث عن المجاز بمعناه الواسع وتحدث عن الحذف والتقديم والتأخير والتكرار في القصص القرآني ، وعن مخالفة ظاهر الفظ معناه وهو ما عرف فيما بعد باسم المشاكلة كقوله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> . كما تحدث عن الكنية والمبالغة وعن المقلوب كتسميتهم اللديغ سليما والفلة مفازة وتحدث عن الاستعارة وعن الاستفهام وإفادته لمعانيه البلاغية وعن الأمر وإفادته لغير طلب الفعل ... إلى غير ذلك من الملاحظات التي أثارها وتحدث عنها ... انظر إلى قوله : " وللعربي المجازات في الكلام ومعناها طرق القول وما تحدده ، وفيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والخذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكنية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع والجمع خطاب الواحد ، والواحد والجمع خطاب الإثنين ، والقصد بلفظ الخصوص إلى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ، مع أشياء كثيرة سترتها في باب المجاز"<sup>(٢)</sup>

ونلاحظ أنه يستعمل المجاز بمعناه الواسع على الرغم من أن الجاحظ قد استعمله في معناه الاصطلاحي المقابل للحقيقة .

وإذا كان ابن قتيبة قد استعمل المجاز بمعناه الواسع ، فإننا نراه يستعمل الكنية في معناها الاصطلاحي الذي حدد فيما بعد وذلك حيث يقول في قول العرب: فلان طويل النجاد: " والنجاد حمائل السيف وإنما يريدون أنه طويل القامة ، فيدللون بطول نجاده على طوله ، ويقولون: فلان عظيم الرماد ، ولا رماد في بيته ولا على بابه ، وإنما يريدون أنه

(١) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٢) تأويل مشكل القرآن ١٥.

كثير الضيافة<sup>(١)</sup> ونجد ابن قتيبة في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" يسوى بين اللفظ والمعنى في البلاغة ، ويقسم الكلام على هذا الأساس إلى أربعة أقسام : ما حسن لفظه ومعناه معاً ، وما حسن معناه دون لفظه ، وما حسن لفظه دون معناه ، وما ساء وقبح في لفظه ومعناه معاً<sup>(٢)</sup>. وكأنه قد نظر في قول الجاحظ " المعانى مطروحة في الطريق " واعتقد أنه يقدم اللفظ على المعنى ، فأراد أن يجعل للمعنى مزية في البلاغة كما للفظ... وقد أوضحنا أن الجاحظ لم يقدم اللفظ ولا المعنى؛ وإنما رجع البلاغة إلى النظم وجودة السبك فارجع إلى ما قلناه هناك ...

المبرد " ت ٢٨٥ هـ " ونلتقي بالمرد صاحب المؤلفات والمصنفات التي أربست على الأربعين مصنفاً ، وأشهرها كتاب " الكامل " في اللغة والأدب الذي يقول عنه : " هذا كتاب أفنان ، بجمع ضروريًّا من الآداب ما بين كلام مثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة باللغة و اختيار من خطبة شريفة ورسالة بلغة "<sup>(٣)</sup> . وقد اشتهر المبرد بال نحو فعرفه أكثر القدماء محمد بن يزيد النحوي وكان فصيحاً بلينا مليح الاختيار ثقة فيما يرويه ، وقد ضمن كتابه " الكامل " كثيراً من أنواع البديع وألوان البلاغة ، من أهمها حديثه عنه التشبيه حيث أفرد له باباً وذكر أن العرب تشبه على أربعة أضرب تشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقلوب وتشبيه بعيد وقد ساق كثيراً من الشواهد منها قول أمرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويا بسا  
لدى وكرها العناب والخشف للبالي

ذا كرا أنه أحسن تشبيه الرواة عليه حيث شبه شيئاً واحداً في حالتين بشيئين مختلفين ، ثم يقول : " فإن اعترض معارض فقال ، فهلا فصل التشبيهين فقال : كأنه رطباً العناب وكأنه يا بساً الخشف البالي "، ويجيب عن هذا الاعتراض بأن العربي

(١) تأويل مختلف الحديث ٦٣.

(٢) ارجع إلى مقدمة الشعر والشعراء

(٣) الكامل ٢/١

الفصيبح الفطن يرمى بالقول مفهوماً ويرى ما بعد ذلك من التكثير عيناً ... ونجد المبرد يطلق التشبيه على التمثيل ، فلا فرق عنده بين التشبيه والتتمثيل ، إذا يذكر أن من تمثيل أمرئ القيس الحسن العجيب قوله :

وأرحننا الجزء الذى لم يثبت  
كأن عيون الوحش حول خبائنا

ومن التشبيه المصيب فى رأى المبرد قول ذى الرمة :

كأنها فضة قد مسها ذهب

ومن أغرب التشبيهات عنده قول النابغة :

إإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع<sup>(١)</sup>

كما تحدث المبرد عن الاستعارة حيث يقول معلقاً على قول الراعى :

داع دعا فى فروع الصبح شحاج  
يا نعمها ليلة حتى تخونها

و"شحاج" إنما هو استعارة في شدة الصوت وأصله للبلغ والعرب تستعير من بعض لبعض<sup>(٢)</sup> ، فقد جعل "شحاج" استعارة على أنه صوت للبلغ استعير للغراب ، والحقيقة أنه صوت للبلغ والجمل والحمار والغراب ، قال ابن سيدة : "والشحاج والتشحيج صوت البغل والحمار والغراب إذا أسن"<sup>(٣)</sup> .

وتحدد عن الكنية حيث قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام : حقيقة وكناية ومثل ، ثم جعل الكنية على ثلاثة أوجه ، فهي إما للتعمية والتغطية ، وإما للرغبة عن اللفظ والخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره ، وإما للتعظيم والتخفيف ، ومن أمثلتها عند قوله أبي قيس بن الأسلت الأنبارى :

تنام عن كبر شأنها فإذا  
قامت رويداً تکاد تصرف

تمشى الهوينا فإذا مشت فضلاً  
كأنها عود بانة قصف<sup>(٤)</sup>

(١) الكامل ٣٢/٣.

(٢) الكامل ٢٨١/١ .

(٣) انظر لسان العرب مادة شحاج.

(٤) انظر الكامل ٢٨٩/٢ .

وتحدث عن الالتفات إذا يقول : "والعرب ترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد إلى المتكلم ، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب ، قال الله عز وجل ﷺ حتى إذا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ<sup>(١)</sup> كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - إخباراً عنهم ، وقال عنترة :

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً على طلابك ابنة محرم  
فكان يتحدث عنها ثم خاطبها..

ومثل ذلك قول جرير :  
وترى العواذل تبتدرن ملامتى

فإذا أردن سوى هواك عصينا<sup>(٢)</sup>

ونلاحظ أنه تحدث عن صورة واحدة من صورتي الالتفات وهي الانتقال من إحدى طرق التكلم إلى الأخرى ، وتلك هي الصورة التي ذكرها أبو عبيدة ، أما الصورة الأخرى التي ذكرها الأصماعي فلم يشر إليها .

والبرد هو أول من أشار إلى أضرب الخبر ، فقد قال له الفيلسوف الكندي ذات يوم : "إنني أجد في كلام العرب حشوا ، يقولون عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد فأحاجيه البرد : "بل المعانى مختلفة . "عبد الله قائم ، إخبار عن قيامه و "إن عبد الله قائم" حواب عن سؤال سائل ، و "إن عبد الله لقائم" حواب عن إنكار منكر<sup>(٣)</sup> وقد ألمحت هذه الإجاجة البلاغيين الحديث عن أضرب الخبر ، وسموا الخبر الأول ابتدائياً ويخاطب به حالى الذهن والثانى طليباً ويخاطب به المرتد السائل والثالث إنكارياً ويخاطب به المنكر .

كما تحدث عن التعقيد اللغظى فى بيت الفرزدق :

أيو أمه حسى أبسوه يقاربه وما مثله فى الناس إلا مملكا

(١) سورة يونس آية ٢٢ .

(٢) الكامل ٢٢/٣ .

(٣) انظر دلائل الإعجاز ٢٢٦ .

وعن التعقيد المعنى في قول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجموا<sup>(١)</sup>

وتحدث عن الإفراط في الصفة أو الغلو إذ يقول معلقاً على بيت الأعشى :

فلو أن ما أبقيت مني معلق بعود ثام ما تأود عودها

"إن هذا يتجاوز، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذ شبه وأحسن منه ما أصاب

الحقيقة فيه "<sup>(٢)</sup>

كما تحدث عن اللف والنشر وسماه هذه التسمية إذ يذكر قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : "ما أحسن الحسنات في آثار السيئات وأقبح السيئات في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيئات في آثار السيئات ، والحسنات في آثار الحسنات ، ثم يقول معلقاً عليه : "والعرب تلف الخرين المختلفين ، ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كل خيره"<sup>(٣)</sup>

وتحدث عن التحرير إذ يقول في بيت الأعشى باهله :

أخو رغائب يعطيها ويأسها يأتي الظلامة منه النوفل الزفر<sup>(٤)</sup>

" وإنما يريده بعينه كقولك : لكن لقيت فلاناً ليلقينك منه الأسد ".

ثم يسوق بيت الأعشى :

ياخير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بحلا

ويقول : " قال إنما تشرب بكفك ولست بيخيل "<sup>(٥)</sup>

(١) انظر الكامل ١٨/١.

(٢) انظر رغبة الآمل ٣٩٣/١.

(٣) الكامل ١٢٧/١.

(٤) النوفل . من قوله : فلان ذو فضل ونوفل والزفر: يطلق على الأسد والبحر .

(٥) الكامل ٥٧/١ .

إلى غير ذلك من المسائل البلاغية التي تجدها مبعثرة في كتاب "الكامل" وغيره من كتب المبرد.

ابن المعتر "ت ٢٩٦هـ" هو العباس عبد الله بن المعتمر بن المتوكل بن المعتصم ابن هارون الرشيد ، ولـى الخلافة يوماً وليلة ثم مات مقتولاً وقيل مخنوقاً سنة ٢٩٦هـ ، وكان شاعراً مطبوعاً ، حسن الإبداع ، سهل اللفظ جيد القراءة بديع التشبيه ، انظر إلى تشبـيهاته التي أعجب بها عبد القاهر وعدها من التشبـيهات الحسنة البدـيعة:

كـأن عـيون النـرجـس الغـضـ حـولـنـا مـداـهـنـ درـ حـشـوـهـنـ عـقـيقـ

\* \* \*

سـعـيـا لـرـوـضـاتـ لـنـا  
عـيـبـونـ آذـرـيـوـنـهـ لـكـالـيـهـ  
مـداـهـنـ مـنـ ذـهـبـ فـيـهـا بـقـايـا غـالـيـهـ

\* \* \*

وـكـأـنـ السـيـرـقـ مـصـحـفـ قـارـ فـانـطـبـاقـاـ مـرـةـ وـانـفـتـاحـاـ

\* \* \*

وـأـرـىـ الشـرـياـ فـيـ السـمـاءـ كـأـنـهـاـ قـدـمـ تـبـدـتـ مـنـ ثـيـابـ حـدـادـ

تأمل مدى قدرة الشاعر على التصوير والإبداع ، وغير خاف عليك الترف والنعيم وحياة القصور التي كان يعيشها الشاعر والتي تبدو من خلال الأبيات .

كما كان ابن المعتر محباً للعلماء والأدباء مخالطاً لهم معدوداً في جملتهم ، وله بضعة عشر مؤلفاً في فنون شتى ، وصل إلينا منها : ديوانه وطبقات الشعراء وكتاب البديع .

ويعد " كتاب البديع " أول كتاب يقوم بدراسة مسائل البلاغة وفنون البديع دراسة منهجية دقيقة منظمة ، فقد كانت تلك الفنون مبعثرة في كتب السابقين ، فقام ابن المعتر يجمعها ذاكراً أنه لم يسبقها إلى هذا الجمع أحد ثم قسمها إلى قسمين :

١ - فنون البديع وحصرها في خمسة : الاستعارة والجناس والطباق ورد الأعجاز على ما تقدمها والمذهب الكلامي .

٢ - محاسن الكلام : وقد ذكر منها ثلاثة عشر فنا ثم قال إنها أكثر من أن يحاط بها . ولعل سبب حصره فنون البديع في تلك الفنون الخمسة يرجع إلى شهرتها في عصره وإلى أنها كانت موضع الأخذ والرد بين البلاغيين والمتفلسفة ومن ينتزعنون نحو التحديد المسرف . وكانت غاية ابن المعتر وغرضه من تأليف كتابه أن يثبت أن ما أكثر منه المحدثون وسموه بدليعاً موجود من قديم في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام الجاهلين والإسلاميين . وليس وليد العصر الحديث . يقول : " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون " البديع " ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأيانوساً ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكن كثراً في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه" <sup>(١)</sup> ويقول في موضع آخر : " وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريفة الناس أن المحدثين لم يسبقوا المقدمين إلى شيء من أبواب البديع" <sup>(٢)</sup> .

ولذا كان منهجه الذي سلكه أن يبدأ بتعريف الفن ثم يسوق له الشواهد الكثيرة من القرآن والحديث وكلام الصحابة وأشعار الجاهلين والإسلاميين وكلام المحدثين المنظوم

---

(١) البديع ١.

(٢) البديع ٣.

والمشور ، وهو منهج دقيق محقق للغرض الذى من أجله ألف الكتاب ، وقد بدأ بالاستعارة فعرفها بأنها " استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها "<sup>(١)</sup> ثم ساق شواهدنا من مختلف الكلام ، معقباً بذكر طائفة من الاستعارات الرديئة ، وبذاد سن للبلاغيين بعده أن يتحدثوا عن عيوب الفنون البلاغية ، وكان ابن المعتز معتدلاً في حكمه ، فهو يستحسن حين ينبغي الاستحسان ويستهجن حين ينبغي الاستهجان ، بعض النظر عن القدم والحداثة ، فلم يتعصب للقدماء ضد المحدثين . وبعد أن يفرغ من الاستعارة ينتقل إلى الجنس فالطريق فرد الأعجاز على الصدور ثم المذهب الكلامي ، وقد أراد به - كما أراد الجاحظ - طريقة المتكلمين العقلية في دقة الاستنباط والتعليل والكشف عن المعانى الخفية . وبعد أن ينتهي من فنون البديع الخمسة يقول : " قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندينا وكأنى بالمعانيد المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال : البديع أكثر من هذا أو قال : البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التي قدمناها . والبديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعرا ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدركون ما هو ، وما جمع فنون البديع ولا سبقنى إليه أحد " ونحن الآن نذكر بعض محسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة ،

ولا ينبغي للعالم أن يدعى الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره ، وأحبينا لذلك أن تكثُر فوائد كتابنا للمتأدبين ، وتعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة ، فمن أحب أن يقتدى بما ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ، فله اختيار "<sup>(٢)</sup>" وكأنه كان يدرك أن البديع أكثر من هذه الفنون الخمسة فأضاف ما ذكره من محاسن الكلام وأباح لمن يأتي بعده أن يضيف منها أو من غيرها إلى فنون البديع ما يريد إضافته .

(١) البديع ٥٧.

(٢) البديع ٥٧.

ويبدأ بعد ذلك حديثه عن محسن الكلام فيذكر "الالتفات" ويشير إلى صورته التي عرضنا لها عند أبي عبيدة والأصممي والمرد ويتعلق إلى الاعتراض وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه كقول كثير :

لو ان الباحثين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطala

ويستمر في عرض هذه المحسن الثلاثة عشر وهي :

الرجوع ، والخروج من معنى وعرف فيما بعد بالاستطراد وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والمزلم يراد به الجد وحسن التضمين والتعریض والکنایة والإفراط في الصفة وسماه قدامة "المبالغة" وفرع منها الغلو وقد تبعه البلاغيون في ذلك ، وحسن التشبيه و "إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتتكلفه من ذلك ما ليس له" ، وقد سمي فيما بعد بلزمون ما لا يلزم نحو قول الشاعر :

يقولون في البستان للعين لذلة وفي الخمر والماء الذي غير آسن

فإن شئت أن تلقى المحسن كلها ففي وجه من تهوى جميع المحسن

فقد التزم السين قبل النون، والحسن الثالث عشر هو "حسن الابتداءات" وقد استشهد ابن المعتر لهذا المحسن - كما ذكرت - من القديم والحديث ليثبت أنها ليست من اختراع المحدثين ، ويلاحظ أن ابن المعتر لم يجمع في كتابه كل ما قيل قبله من مسائل البديع بل ترك كثيراً منها كالسجع والازدواج وحسن التقسيم والاحت TAS وأسلوب الحكيم والإرصاد والتجريد واللف والنشر<sup>(١)</sup> وقد أقر هو ذلك حيث ذكر أنه لا يمكن الإحاطة بتلك الفنون .

بقي أن تعلم أن ابن المعتر لم يكن راضياً عن الإكثار من البديع والإسراف في استخدام صوره ، فقد عارض في شدة هؤلاء الذين أسرفوا في التجديد واستخدام البديع وذكر منهم أبو تمام وصالح بن عبد القدوس ، حيث أسرف الأول في استخدام البديع وأسرف الثاني في بناء شعره جميعه على الحكم والأمثال .

---

(١) انظر الصبيح البديعي ١٤١ ، وارجع إلى هذه الفنون فيما ذكرناه عند الجاحظ والمرد.

يقول ابن المعتز : " لو أن صالحًا نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصوولاً من كلامه لسبق أهل زمانه وغلب على مد ميدانه " <sup>(١)</sup> ويقول : " إن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقليلهم وسلوك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه ، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه ، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وتلك عقبي الإفراط وثرة الإسراف " <sup>(٢)</sup> .

قدامة بن جعفر " ت ٣٣٧ " : يعد قدامة بن جعفر من أغزر أهل عصره علماء وأوسعهم ثقافة ، فقد أخذ بحظ وافر من علوم متعددة ، وبرز في اللغة والأدب والفقه والكلام والفلسفة والمنطق ، كان نصراانيا ثم أسلم في أواخر القرن الثالث الهجري على يد المكتفي بالله ، وقد درس قدامة الفلسفة والمنطق وتأثر بهما تفكيراً ومنهجاً في مؤلفاته التي بلغت أربعة عشر مؤلفاً في موضوعات مختلفة <sup>(٣)</sup> .

والذى يهمنا من مؤلفاته . كتابه " نقد الشعر " فقد أسهם به بتصنيف وافر في نمو البلاغة وتطور مسائلها وتأثير من سبقه وأثر فيمن بعده . ويختلط كثير من الباحثين عندما يتحدثون عن تأثير قدامة بالفلسفة ومنطق أرسطو ، فتراهم يسرفون ويعالجون في هذا التأثير ، إذا يتبعون ما تحدث عنه قدامة من فنون ومسائل بلاغية محاولين رجوعه إلى منطق أرسطو وفلسفته <sup>(٤)</sup> . وهذا تعسف لا نرتضيه ولا نقبله ، فقدامة شأنه شأن سلفه وخلفه من العلماء تأثر وأثر وهذا واضح عندما ننظر فيما عرض له من مسائل البلاغة ، إذ نجد أن ما تحدث عنه قد سبقه به كثير من العلماء ، ثم نرى له إضافات معينة تأثر بها من خلفه ، وهذا هو شأن البحث والدراسة ، نحن لا ننكر تأثر قدامة بالفلسفة والمنطق ، فقد تأثر

(١) البديع ١.

(٢) البديع ٣.

(٣) انظر في ترجمته معجم الأدباء ١٢/١٧ والالفهرست ١٣٠.

(٤) انظر البلاغة تطور وتاريخ ٧٨ وما بعدها .

بها في منهجه العام الذي سلكه ، وفي طريقة بحثه وتفكيره ، ثم في مواقف معينة ومحضات مثل حديثه عن تعريف الشعر إذ يقول : "الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى " ثم يأخذ في ذكر محترزات التعريف بطريقة منطقية فلسفية<sup>(١)</sup> . ومثل حديثه عن الفضائل عندما تناول نعوت الجودة لأغراض الشعر ، إذ قسمها إلى أربعة أصول كبرى هي العقل والشجاعة والعدل والعفة وفرع منها مفردة أو مركبة بعضها مع بعض فضائل كثيرة<sup>(٢)</sup> .

مثل هذا لا ننكر تأثر قدامة فيه بالمنطق والفلسفة ، بل لا يتأتى لدارس إنكاره ، ولكن الذي ننكره هو التعسف والإسراف في إثبات هذا التأثر ورد كل ما تحدث عنه قدامة أو محاولة رده إلى منطق أرسطو وفلسفته.

فعالوا ننظر في "نقد الشعر" لنعرف غاية قدامة من تأليفه " ومنهجه الذي سلكه ، وفنون البديع التي تحدث عنها وما أضافه إليها من جديد في ضوء ما عرفنا عند سابقيه من تلك الفنون .

تحدث قدامة عن غايتها من تأليف الكتاب فقال : " ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخلص جيده من رديه كتابا ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة "<sup>(٣)</sup> . فهو يهدف - كما قال - إلى تمييز جيد الشعر من رديه حيث نظر فوجد العلم بالشعر ينقسم أقساما : قسم يناسب إلى علم عروضه وزنه ، وقسم يناسب إلى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم يناسب إلى علم غريبه ولغته ، وقسم يناسب إلى علم معانيه والمقصد منه ، وقسم يناسب إلى علم جيده ورديه وقد خاض الناس في هذا الأقسام ما عدا القسم الأخير فلم يجد فيه كتابا<sup>(٤)</sup> وهذا وضع "نقد الشعر" ليميز بين جيده ورديه .

(١) نقد الشعر ١٣ .

(٢) انظر نقد الشعر ٥٥ .

(٣) مقدمة نقد الشعر .

(٤) انظر مقدمة "نقد الشعر" .

ونلاحظ أن ابن المعتز كان يتحدث في نهاية كل فن من فنون البديع عمما ورد معه منه ويعرض طائفة من الشواهد الرديئة والمعيبة ، وما من شك في أن قدامة قد أفاد من ذلك وإن كان قد أغفله فلم يشر إليه.

منهجه الذي سلكه : وقد تأثر قدامة بالمنطق والفكر اليوناني في منهجه الذي سار عليه ، حيث قسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول : تحدث في المقدمة عن أنواع العلم بالشعر والباعث له على تأليف الكتاب ، ثم تحدث في الفصل الأول عن حد الشعر وبيان مراتبه وعن مقدمات تتعلق بالشعر ، وعن المنهج الذي اخترعه لنفسه ، وتحدث في الفصل الثاني عن نعوت الجودة أما الفصل الثالث فقد خصه بعيوب الشعر ونعوت رداءته.

وكانت الطريقة التي مضى عليها في تحلية هذه النعوت ، أن تناول عناصر الشعر الأربع وهى : اللفظ والوزن والقافية والمعنى فتحدث عن نعوت الجودة لكل عنصر منها وبعد ذلك يركب هذه العناصر ويتحدث عن نعوت جودة المركب ، فتحدث عن نعوت الجودة لاتفاق اللفظ مع المعنى واتفاق اللفظ مع الوزن ، واتفاق المعنى مع الوزن واتفاق القافية مع ما يدل عليه سائر البيت.

وما صنعه قدامة في الفصل الثاني مع نعوت الجودة ، يصنع مثله في الفصل الثالث مع نعوت الرداءة ، فيذكر بيازاء كل نعوت جيد في الشعر النعت الرديء الذي يقابلها وهو جانب يتصل بالنقد الأدبي ، وقد تأثر فيه بابن المعتز حيث رأينا الأخير يذكر في نهاية حديثه عن كل فن من فنون البديع التي تناولها ، ما ورد منه معه ، ويعرض لطائفة من تلك الشواهد الرديئة المعيبة.

أهم ما تضمنه الكتاب من فنون البديع : وعندما نتبع قدامة في منهجه الذي اختطه لنفسه نجد أنه في أثناء حديثه عن نعوت الجودة لعناصر الشعر مفردة أو مركبة يعرض لكثير من الفنون البديعية ، وأهم ما قد تعرض له ما يلى :

١- التشبيه : تحدث عنه عندما تحدث عن نعوت جودة المعنى حيث جعله غرضا من أغراض الشعر ، وهذا خطأ منهجي ؛ لأن التشبيه ليس من أغراض الشعر ، بل فن من فنون البلاغة ، وقد أضاف قدامة جديداً إلى مبحث التشبيه فذكر أن التشبيه يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها ، وأحسن التشبيهات ما وقع بين شيئاً اشتراكاً كهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد ، ويسوق أمثلة كثيرة للتشبيهات الحسنة ، ثم يشير إلى أن التشبيهات تقع على أضرب ، منها أن تجمع في بيت واحد أو ألفاظ يسيرة تشبيهات كثيرة ، ومنها أن يشبه شيء واحد بأشياء ، ومنها أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال . ويسرى قدامة أن للشاعر أن يتصرف في تشبيهاته وأن يجدد في صوره بالخروج على مألوف الشعراء في تشبيهاتهم<sup>(١)</sup> .

٢- الترصيع : وقد جعله من نعوت جودة الوزن . وعرفه بأن يتونخي في البيت تقطيع أجزاءه إلى فقرات مسجوعة أو شبيهة بالمسجوعة ، كما في قول الشاعر:

سود ذوابها يضـض ترائبها

محض ضرائبها صبغت على الكرم

وبذكر قدامة أن الترصيع يحسن إذا لم يتوارد في القصيدة أو المقطوعة ، فإن توادر كان معيناً؛ لأنه عندئذ يدل على التتكلف وعلى أن الشاعر يقصد إليه ويعمد . وقد أشار الجاحظ إلى هذا اللون وإن سماه بالسجع والازدواج وسماه قدامة بالترصيع لأن قدامة كان مولعاً بتغيير المصطلحات وتبدل ما استقر عليه العلماء واتفقوا على تسميته ، كما سترى في كثير من الفنون التي أشار إليها .

٣- صحة التقسيم : بعد أن فرع قدامة من أغراض الشعر التي ذكر فيها التشبيه - كما أسلفنا - يشير إلى أن هذه الأغراض إنما هي وجوه من جملة معانى الشعر ،

---

(١) انظر نقد الشعر ٦٥.

أما ما يعم جميع تلك المعانى فإنه سيعنى بذكره وبيانه ، ثم يأخذ فى سرد تلك التى تعم جميع المعانى الشعرية فيذكر : صحة التقسيم وصحة المقابلات وصحة التفسير والتميم والبالغة والتكافؤ والالتفات.

يقول فى تعريف صحة التقسيم : هى أن يتدبى الشاعر فيضع أقساما ثم يستوفيها ولا يغادر قسما منها ، ، كما فى قول نصib:

فقال فريق القوم : لا وفريـهم

نعم وفريق قال : ويحك ما ندرى

فليس فى أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام ويشير فى نعوت الرداءة إلى فساد الأقسام فى بيت جرير:

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

فيقول : بلغنى أن هذا الشعر أنشد فى مجلس ورجل من بنى حنيفة حاضر فقيل له من أيهم أنت ؟ فقال من الثالث الملغى ذكره <sup>(١)</sup>. وقد مر بك حديث الجاحظ ، عن هذا اللون وإفاضته فى إياضه وفي الاستشهاد له ، فقدماء يستمد منه ويتأثر به .

٤ - صحة المقابلات : وهى أن يرتب الشاعر معانى ترتيبا يوفق فيه بين طائفتين منها ويخالف بين طائفة ثانية بحيث تقابل فى وضوح ، أو يشرط شروطا ويعدد أحوالا فى أحد المعندين ، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدده ، وفيما يخالف بضد ذلك ، ونلاحظ أنه يشير فى هذا التعريف إلى مراعاة النظير وإلى المقابلة وهى لون من ألوان الطباق ، وقد استمد السكاكي ما اشترطه فى المقابلة من تعريف قدامة هذا.

---

(١) انظر نقد الشعر ١٨٨.

وما استشهاد به قدامة قوله الشاعر :

فواعجبنا كيف اتفقنا فناصع وفي مطوى على الغل غادر

حيث قابل الشاعر النصح والوفاء بالغل والغدر... ومن فاسد المقابلة قوله أمرى

القيس :

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

ومعنى البيت : لو أنها نفس تموت موتة واحدة لكان الأمر ولكنها نفس تموت موتات " وتساقط أنفسا " ، يقول قدامة : وللعدول عن هذا العيب غير الرواية هذا البيت ، فأبدلوا في مكان : " سوية " : " جماعة " لأنه في مقابلة : " تساقط أنفسا " أليق من سوية<sup>(١)</sup> .

٥- صحة التفسير : وهي أن يذكر الشاعر في بيت معينين في إجمال ، ويفسرهما ويستوفي شرحهما إما في الشطر الثاني وإما في بيت لاحق ، كما في قول الفرزدق :

لقد جئت قوماً لو حلت إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مغمراً

لألفيت فيهم معطياً أو مطاعناً وراءك شزاراً بالوشيج المقسم

حيث ذكر في البيت الأول معينين وهما : " طريد دم وحاملاً ثقل مغمراً " ثم فسرهما بقوله في البيت الثاني : " معطياً أو مطاعناً " .

وكما في قول سهل بن هارون :

فواحسرتا حتى متى القلب موجع بفقد حبيب أو تعذر إفضل

فراق حبيب مثله يورث الأسى وخلة حرّ لا يقوم بها مالى

---

(١) انظر نقد الشعر ١١٨.

فقد فسر بالبيت الثاني سبب إيجاع قلبه بفقدان الحبيب وتعذر الإفصال.  
ويذكر قدامة من فاسد هذا اللون قول أحدهم :

في أيها الحيران في ظلم الدجى

ومن خاف أن يلقاه بغى من العدى

تعال إليه تلق من نور وجهه

ضياء ومن كفيه بحراً من الندى

حيث فسر : " ظلم الدجى " بقوله : " تلق من نور وجهه " وهذا صواب ثم فسر : " أن يلقاه بغى من العدى " بقوله : " ومن كفيه بحراً " وهذا فاسد ؛ لأنه ينبغي أن يأتي في جانب بغى العدى ، بالنصرة أو بالعصمة أو بما يمحى نس

ذلك مما يحتمى به الإنسان من أعدائه ، لا بالكرم ، لأن الكرم يذكر مع العدم أو الفقر<sup>(١)</sup> .

٦- التعميم : وهو أن يذكر الشاعر معنى ثم لا يدع شيئاً يتم به صحته وجودته إلا أتى به إما بقصد المبالغة وإما بقصد الاحتياط فمن الأول قول نافع بن خليفة العنوي :

رجال إذا لم يقبل الحق منهـــ

ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع

فقد تم جودة المعنى بقوله : " ويعطوه " ، وابن المعتز - كما مر بك - قد سمي هذا بالاعتراض ومن الثاني قول طرفة :

فسقى ديارك - غير مفسدتها - صوب الريبع وديمة تهمى

وقد سمي بالجاحظ هذا بإصابة المقدار ، وسماه المؤاخرون باسم الاحتراض أو التكميل .

---

(١) انظر نقد الشعر . ١١٩

٧- المبالغة : وقد جعلها في مرتبة أقل من الغلو الذي يبني على الإفراط الشديد ، فهو يفضل الغلو على المبالغة ، وقد سمي ابن المعتر المبالغة باسم الإفراط في الصفة ، وأكثر البلاغيين على تسمية قدامة .

ومن أمثلتها عنده قول عمر بن الأيمم التغلبي:

ونكرم حارنا مادام فيما وتبعه الكراهة حيث مالا

٨- التكافؤ : وهو الطباق عند ابن المعتر وغيره ، فقد سماه قدامة بالتكافؤ ، وأطلق الطباق على الجنس النام ، وكأنه مولع - كما قلت - بتبديل وتغيير المصطلحات ومن شواهد التكافؤ قول الشاعر:

حلو الشمائل وهو مسر باسل يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

٩- الالتفات : وقد أطلقه على صورة من صورته وهو أن يفرغ الشاعر من المعنى ونظن أن سينتقل إلى غيره فإذا به يعود إليه واصلاً كلامه به ، وقد ذكر الأصمى هذه الصورة مع الصورة الأخرى - كما رأيت - وتبعه في ذلك ابن المعتر ، وجاء قدامة فذكر إحدى الصورتين دون الأخرى .

١٠- المساواة : وبعد أن فرغ قدامة من نعوت جودة المعنى انتقل إلى ائتلاف اللفظ مع المعنى فذكر نوعت الجودة لهذا الائتلاف وهي : المساواة والإشارة والإرداد والتمثيل والمطابق . فالمساواة : أن يكون اللفظ مساوياً المعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه . والإشارة : أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة إيماء إليها أو لمحًا يدل عليها ... والإرداد : أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى : بل بلفظ يدل على معنى هو رده وتابع له ، كقول ابن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

وقد سمى الجاحظ هذا بالكتابية وتبعد في هذه التسمية ابن المعتر كما رأيت  
والتمثيل وهو عنده يشمل الاستعارة التمثيلية وبعض صور الكتابة ، وقد عرفه  
قدامة : بأن يريد الشاعر الإشارة إلى معنى فيضع كلاماً يفهم منه معنى آخر ، كقول  
ابن ميادة :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتني      فلا تجعلنى بعدها فى شمالك

، والمطابق وقد أطلقه - كما ذكرت - على الجناس التام ،

كما في قول الأفوه الأودي:

وأقطع الهوجل مستأنسا      بهوجل عيرانة عنتريس

أما الجناس غير التام فقد أبقى على تسميته بالجناس أو المحسن كما في قول حيان  
بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أن قومى      لهم حد إذا لبس الحديد

وينتقل إلى ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت فيذكر من نعوت الجحودة  
لهذا التالف :

١- التوشيع : وهو ما سماه عبد الله بن المعتر برد أعيجاز الكلام على ما تقدمها ،  
وقد عرفه قدامة بقوله : أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به ، حتى أن  
الذى يعرف قافية القصيدة التى منها البيت إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له  
قافية .

٢- الإيغال : وقد استمد من الأصمعى على نحو ما مر بك عنده .

وما يلاحظ أن قدامة لم يتحدث عن الاستعارة في نعوت الجحودة بل تحدث عنها في  
نعوت الرداءة ، على الرغم من أن ابن المعتر قد جعلها من فنون البديع الخمسة ، وقد  
أطلق عليها قدامة أى على الاستعارة المعيبة اسم العاذهلة وقال : العاذهلة هى فاحش

الاستعارة ، كما في تسمية بعض الشعراء رجل الإنسان حافرا ، ولا نوافقه على هذا الإطلاق ، لأن المعروف أن المعاظلة هي ركوب الكلام بعضه بعضا أو التعقيد اللغطي .

وما أشار إليه قدامة أيضاً : " التصریع " وقد تحدث عنه في نعوت جودة القافية وعرفه بقوله : أن يقصد لتصیر مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها ، وذكر أن فحول الشعراء يتroxون ذلك ولا يکادون يعدلون عنه وربما صرعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول وذلك يدل على اقتدار الشاعر وسعة بحره .

تلك أهم فنون البدیع في كتاب " نقد الشعر " وقد استمدتها قدامة من كتابات السابقين . وكانت له إضافات جيدة ، كما كان مولعاً بتغيير المصطلحات وتسمية الفنون بغير ما سماها به من سبقة وبخاصة عبد الله بن المعتز ، أما تأثيره بالفلسفة والمنطق فقد كان محدوداً على نحو ما بينا ، وليس إلى الحد الذي ذكره شوقي ضيف وغيره ، حيث أسرفوا في قولهم بهذا التأثر وتتكلفوا أشد التكلف في رد ما قاله قدامة إلى المنطق والفلسفة وهذا ما لا نقبله ولا ننكر في ذات الوقت أن قدامة قد تأثر بالثقافات الأجنبية وبخاصة الفلسفة والمنطق على نحو ما بينا .

كتاب " البرهان في وجوه البيان " . هذا الكتاب لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب ، كانت أسرته تخدم في الدواوين العباسية منذ عصر المؤمن و كان جده سليمان من جلة الكتاب وقد وزر إسحاق للخليفة المهتم بالله وال الخليفة المعتمد على الله وتوفي سنة ٣٧٢ هـ ، وهذا ما يؤكّد أن إسحاق الذي سكتت المراجع عن التعريف به ، كان يعيش في أوائل القرن الرابع الهجري فهو معاصر قدامة بن جعفر ، وهذا ما يفسر لنا السبب في أن جزءاً من هذا الكتاب قد طبع باسم " نقد النثر " ونسب خطأ إلى قدامة ، وقد شكل طه حسين في تلك النسبة ، وذكر أنه في الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع قد صنف كتاباً عدة في الفقه وعلوم الدين .<sup>(١)</sup>

(١) انظر مقدمة نقد النثر ص ١٩ .

وظل التشكيك قائماً حتى حل محله اليقين بأن الكتاب ليس لقدامة وإنما هو ابن وهب ، وذلك عندما نشر مقال في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ، يقول فيه ناشره : "إن هذا الكتاب الذي طبع باسم "نقد الشر" ، ونسب خطأ إلى قدامة إنما هو جزء من كتاب "البرهان في وجوه البيان" لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب ، عشر عليه في بعض المكتبات الأوروبية."<sup>(١)</sup>

وفي خاتمة الكتاب ومقدمته ما يدل على أن اسمه الحقيقي : "البرهان في وجوده البيان" وليس نقد الشر ، إذ يقول ناسخه في خاتمة : "كميل البيان بحمد الله تعالى وحسن عونه" ويقول مصنفه في مقدمته ميرزا سبب تأليفه مخاطباً أحد أصدقائه : "ذكرت لي وقوفك على كتاب عمرو بن بحر الجاحظ الذي سماه كتاب البيان والتبيان ، وأنك وجدته إنما ذكر فيه أخباراً متتحلة وخطباً منتخبة ، ولم يأت فيه بوصف البيان ولا أتى على أقسامه في هذا للسان وكان عندما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه ، وسألتني أن أذكر لك جملة من أقسام البيان آتية على أكثر أصوله محيبة بجماهير فصوله ، يعرف بها المبتدئ معانيه ، ويستغنى بها الناظر فيه ، وأن اختصر لك ذلك لثلا يطول له الكتاب ، وقد ذكرت في كتابي هذا جملة من أقسام البيان وفقرة من آداب حكماء أهل هذا اللسان ، لم أسبق المتقدمين إليها ، ولكنني شرحت في بعض قولي ما أجملوه واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه وأوضحت في كثير منه ما أوعروه"<sup>(٢)</sup> ، وبهذا يتضح لك أن الكتاب لابن وهب وليس لقدامة وأن اسمه "البرهان في وجوه البيان" وليس "نقد الشر" ولعل السبب في نسبته إلى قدامة خطأ - كما ذكرت - يرجع إلى سكوت المراجع عن التعريف بالمؤلف الحقيقي للكتاب ، ومعاصرة المؤلف "ابن وهب" لقدامة بالإضافة إلى تأثيره بالفلسفة والمنطق ، كما تأثر قدامة بهما . وبعد أن وضع لك اسم الكتاب ومؤلفه ، تعال ننظر في سبب تأليفه له وما تضمنه من فسون البديع ...

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الرابع والعشرين ص ٧٣.

(٢) نقد الشر .٣

يطالعنا المؤلف في المقدمة - كما أشرنا - بأنه ألفه معارضه لكتاب الجاحظ "البيان والتبيين" ، وقد وصفه بأن مسائل البيان فيه تختلط ولا تتضح ، فرأى أن يوضح وأن يشرح ما أجمل ، وكأنه يريد أن يقول : إن البحث في البيان ليس من شأن المتكلمين من أمثال الجاحظ إنما هو من شأن المتفلسفه أمثاله ....

ولا يعنينا ما في الكتاب من آرائه واعتقاداته المبنية على التشيع وإنما يعنينا ما فيه من حديث عن فنون البلاغة ومسائل البيان . فقد أشار إلى أن العبارة تنقسم إلى خبر وطلب ، وقد أفاد البلاغيون من ذلك فتحدثوا عن تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء . كما تحدث عن التشبيه وقسمه إلى تشبيه حسى وتشبيه معنوى وعن اللحن والرمز مستمدًا من كتابات الجاحظ ، وقد أطّال في ذلك وقسم الرمز إلى قسمين : رمز يراد به التعمية ورمز يراد به كثرة الصور والأخيلة وهو الرمز الأدبي .. وتحدث عن الوحي ويريد به ما سماه قدامة باسم الإشارة وهما يستمدان من الجاحظ الذي ذكر أن "ما مدحوا به الإيجاز والكلام الذى هو كالوحي والإشارة" كما تحدث عن الأمثال واللغز والحدف ، وعن الالتفات وقد سماه باسم "الصرف" وعن المبالغة ، وعن القطع والعطف ، وربما هيأ ذلك لظهور مبحث الفصل والوصل عند البلاغيين المتأخرین ... كما تحدث عن التقديم والتأخير وعن صحة المقابلات .. إلى غير ذلك من فنون البلاغة .. وكان أثر الفلسفة والمنطق - كما ذكرت - بادياً على المؤلف في أفكاره وعباراته ، كما أن الكتاب مليء بالأراء والاعتقادات الشيعية التي ينبغي أن نضرب عنها صفحًا...

كتب الإعجاز القرآني : وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري برزت مؤلفات عدة للمتكلمين الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز القرآني ، وقد حوت تلك المؤلفات العديد من مسائل البلاغة وفنونها ، ومن أهم هذه المؤلفات :-

رسالة النكست في إعجاز القرآن للرمانى ت ١٣٨٦ : والرمانى هو على ابن عيسى الرمانى ، أحد أعلام المعتزلة في عصره ، وله مصنفات كثيرة في التفسير واللغة

والنحو وعلم الكلام ، وقد ألف هذه الرسالة جواباً لسؤال وجه إليه ، طلب سائله من الرمانى أن يجمل له نكات الإعجاز ويفسرها له بلا تطويل في الحاجاج .. وقد استهل الرمانى الرسالة برد تلك النكت إلى سبع جهات هي: ترك المعارضة مع توافر الدواعى وشدة الحاجة ، التحدى للكافة ، الصرفة ، البلاغة ، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة. نقض العادة ، قياس القرآن بكل معجزة ، ثم أخذ يفسر القول في كل جهة من هذه الجهات .. ويعيننا منها البلاغة ، وكان حديثه عنها على النحو التالي : جعلها ثلاثة طبقات : عليا ووسطى ودنيا ، فالعليا هي بلاغة القرآن الكريم ، والوسطى والدنيا تتفاوت فيما بينها بلاغات البشر علواً ودوناً . ثم يذكر أن البلاغة على عشرة أقسام هي : الإيجاز والتشبیه والاستعارة والتلاؤم والفوائل والتجانس والتصریف والتضمين والبالغة وحسن البيان . وأخذ يفصل القول في كل قسم من هذه الأقسام مبتدئاً بتعريفه ثم مصوّراً شعبه ، مثلاً لها بأى الذكر الحكيم .. فيعرف الإيجاز بقوله . إنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، ثم يذكر أنه على وجهين : إيجاز بالحذف ، وهو ما أسقطت فيه الكلمة للاستغناء عنها بدلالة غيرها من الحال أو من فحوى الكلام ، ويسوق الشواهد العديدة من الآيات الكريمة لأنواع الحذف المختلفة كحذف الأجوية وحذف المضاف ، وحذف الموصوف وحذف الصفة . وغير ذلك ، والوجه الثاني : إيجاز القصر وهو بناء الكلام على تقليل اللفظ وتکثیر المعنى من غير حذف ، مثل **﴿وَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾**<sup>(١)</sup> ، ثم مضى يفرق بين الإيجاز والإخلال والإطناب والتطويل وبهذا صور الرمانى الإيجاز بتنوعية تصويرها نهائياً .

وانتقل إلى التشبیه فعرفه بأنه : " العقد على أن أحد الشبيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ، وبذلك قسم التشبیه إلى حسي وعقلی وسي المحس تشبيه حقيقة والعقلی تشبيه بلاغة وأخذ يفصل القول في تشبيه البلاغة مبيناً طبقاته فذكر أنه يأتي على وجوه :

(١) سورة البقرة آية ١٧٩.

منها إخراج مala تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه كتشبيه أعمال الكفار بالسراب في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> ومنها إخراج ما لم يجر به العادة إلى ما جرت به العادة كتشبيه ارتفاع الجبل بارتفاع الظللة في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَقَنَا الْجَبَلَ فَوَقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلْلَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، ومنها إخراج مala يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة كقوله تعالى : ﴿وَجَنَّةٌ عَرَضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> ومنها إخراج مala قوة له في الصفة إلى مالة قوة في الصفة ، كما في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ النَّاسَ مِنْ صَلَصَالٍ كَالْفَخَارِ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويدرك الرمانى أن حسن التشبيه يكمن في تقريره بين الأمور المتبااعدة ، ويمتاز تشبيه البلاغة بأنه يقرن الأغمض بالأوضح فيبين وينكشف ، إلى غير ذلك من التفصيات التي ذكرها الرمانى في التشبيه والتي انتفع بها البلاغيون بعده وبخاصة الإمام عبد القاهر الجرجانى ، ثم يمضى إلى الاستعارة فيعرفها بأنها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة ، فالفرق بينها وبين التشبيه أن الكلمات في التشبيه تظل لها معانيها الحقيقة بخلاف الكلمات في الاستعارة فإنها تدل على ما لم توضع له في اللغة . ثم يذكر أن كل استعارة لابد فيها من مستعار ومستعار له ومستعار منه . ويعرض أمثلة مختلفة يصور فيها فضل الاستعارة على الحقيقة وأنها أبلغ منها في قوة البيان . وهكذا يستمر الرمانى في الحديث عن أقسام البلاغة العشرة ، فيتحدث عن التلاؤم وهو يريد به حسن النظم وقوية السبك ويقسم الكلام إلى متنافر يستقله اللسان ومتوجه الآذان . ومتلائم في الطبقه الوسطى وفيه تدخل بلاغة البلاغاء ، ومتلائم في الطبقه العليا وهو أسلوب القرآن الكريم ، وهو هنا يستمد من الجاحظ وينقل كثيراً من الشواهد التي عرضها لتنافس الحروف وتنافس

(١) سورة التور آية ٣٩.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧١.

(٣) سورة الحديد آية ٢١.

(٤) سورة الرحمن الآية ١٤.

الكلمات . ويتحدث عن الفوائل فيعرفها بأنها : حروف متشاكلة مع المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، ويدرك أنها ترد على وجهين : وجه على الحروف المتجانسة كما في قوله تعالى : ﴿وَالظُّرُورُ . وَكِتَابٌ مَسْطُورٌ . فِي رَقٍ مَنْشُورٍ﴾<sup>(١)</sup> . وجده على الحروف المتقاربة ، كما في قوله عز وجل : ﴿هُقُّ . وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ . بِلْ عَجِيبُوا أَنْ جَاءُهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>

ويفرق بين الفوائل في القرآن وبين الأسحاق ، فيقول : " الفوائل بلاغة والأسحاق عيب وذلك أن الفوائل تابعة للمعاني وأما الأسحاق فالمعاني تابعة لها ، وهذا فالأسحاق يتضح فيها التكلف والاستدعاء ، بخلاف الفوائل فإنها تصير إلى قرارها وتنزل في مكانتها . ويتحدث عن التجانس فيذكر أن تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة ، ويجعله على نوعين مزاوجة ، وقد عرفت فيما بعد بالمشاكلة كما في قوله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ومناسبة وأراد بها جناس الاشتقاد كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويتحدث عن التصريف فيعرف بأنه تصريف المعنى في الدلالات المختلفة ، كتصريف الألفاظ المشتركة في أصل واحد .. وقد أراد به القصص القرآني وورود القصة بطرق مختلفة وفي مواضع متعددة لوجه من الحكمة منها التصرف في وجوه البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة ومنها تحكيم العظة والعبرة ومنها فل الشبهة في المعجزة ، ويتحدث عن التضمين فيقول إنه : حصول معنى في الكلام من غير ذكر له ، وهو على وجهين ما يدل عليه الكلام دلالة إخبار كدلالة الكلمة مكسورة على " كاسر " ، وما يدل عليه دلالة قياس كدلالة البسمة على تعظيم الله تعالى ، ويتحدث عن المبالغة فيعرفها بأنها : الدلالة على

(١) سورة الطور الآية ٣-١.

(٢) سورة ق الآية ٢-١ ..

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٤) سورة التوبة آية ١٢٧.

كثير المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبابة ، ويدرك أنها على وجوه : منها مبالغة عن طريق البنية كصيغ المبالغة مثل : غفار وغفور وتواب ، ومنها مبالغة بالتعريم كقولك : أثاني الناس والذى أثاك جماعة منهم ، ومنها مبالغة باخراج التعبير مخرج الشك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أُولَئِكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> ومنها مبالغة بمحض الأحوجة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وتحدث عن البيان وهو القسم العاشر فعرفه بقوله " الإحضار لما يظهر به تميز الشئ من غيره فى الإدراك "<sup>(٣)</sup> ، فهو يريد به أنواع الدلالة على المعنى ويدرك أنها على أربعة أقسام : كلام وحال وإشارة وعلامة ، وهو يستمد هنا من كلام الجاحظ الذى أفضى فى الحديث عن أوجه الدلالة وبين أنها خمسة أوجه : اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال<sup>(٤)</sup> .

إعجاز القرآن للباقلانى " ت ٤٠٣ هـ " : هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، من أعلام الأشاعرة ، وله مصنفات كثيرة ، وهذا الكتاب " إعجاز القرآن " من أهم مصنفاته ، وهو يرد فيه ردًا عنيفاً على الملاحدة والمشككين فيفتقد مطاعنهم ويدفع شبههم ويرفض رفضاً قوياً القول بالصرف راجعاً إعجاز القرآن الكريم إلى ثلاثة أوجه وهى : تضمنه الأخبار عن الغيب ، القصص الدينى وسير الأنبياء ، بلاغته ، وعندما تقرأ فى إعجاز القرآن للباقلانى تدرك أنه ينقضه عدم الدقة فى التبويب والتنظيم ، فهو غير دقيق فى منهاجه ، إذ تجده يخرج من فصل إلى فصل والمضمون الذى يتحدث عند واحد... وقد عقد الباقلانى فصولاً عدة لبيان أن القرآن معجزة وإيضاح أوجه إعجازه والرد على الملاحدة والمشككين ، ونفى الشعر والسجع عن القرآن ، ونراه يسوق طائفتين

(١) سورة سباء آية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام آية ٢٧.

(٣) النكت - ضمن ثلاثة وسائل في الإعجاز ص ١٠٦.

(٤) انظر البيان والتبيين ..

من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأقوال الصحابة ليتم القاريء فرق ما بينها وبين القرآن..... ويدرس معلقة امرئ القيس ولامية البحترى:  
أهلاً بذلك الخيال المُقبل      فعل الذى نهواه أم لم يفعل

ويبين ما فيهما من عوار وتكلف وحشو وخلل وتطويل ولفظ غريب ، وكيف تتفاوت أبياتهما بين الجودة والرداة ، والغرابة والسلasse ليبرز بذلك جمال النظم القرآنى وأنه وحده الذى لا تتفاوت فيه ، بينما يتفاوت كلام البلغاء من الشعراء حتى فى القصيدة الواحدة فالقرآن بديع النظم عجيب التأليف متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز جميع الخلق عنه . ويعقد فصلاً يتحدث فيه عن وجوه البديع وهل يمكن تعليل الإعجاز القرآنى بها أو لا يمكن ، فيتحدث فيه عن الاستعارة والإراداف والمماثلة والمطابقة والجنس والبالغة والغلو والإيغال وصحة التقسيم والتعميم والتوصيع وطبقات السلب والكناية والتعریض والعکس والتبدل والالتفات والاعتراض والرجوع والتذليل ، وغير ذلك من فنون البديع ، ويشير في كل ذلك إلى آراء الساقدين وما بينهم من خلافات في تحديد هذه الفنون وتقرير مصطلحاتها ، ثم يقول : "ووجه البديع كثيرة جداً ، فاقتصرنا على ذكر بعضها ونبهنا بذلك على ما لم نذكر كراهة التطويل ، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع ، وقد قدر مقدرونه أنه يمكن استفاده إعجاز القرآن الكريم من هذه الأبواب التي نقلناها وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه ، وليس كذلك عندنا ، لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبية عليها يمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنيع لها "<sup>(١)</sup> . ثم يذكر أن الإعجاز القرآنى مرده إلى نظمه العجيب الذى لا يمكن أن يختذلى . ويعقد فصلاً آخر بعنوان : " وصف وجوه من البلاغة" : فيلخص فيه الوجوه العشرة التي ذكرها الرمانى . ثم يذكر أن بلاغة القرآن لا تقع بوجه من الوجوه التي عددها الرمانى ، بل هي تقع بها مقتنة في نسقه الحكم ، بحيث لا يقال : إن التشبیه معجز أو التجنیس معجز ، إنما يقال :

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ص ١٦١.

إنهم معجزان بنظمهما وصوغهما الذي يسمى إلى الطبقة العالية من طبقات البلاغة الثلاث<sup>(١)</sup> ، وبهذا يتضح لنا رأى الباقلاني في وجوه البديع أتحقق الإعجاز أم لا؟ فهو يرى أن وجوه البديع إذا نظر إليها مجردة عن نظمها بعيدة عن سياقها، لا يقال إنها تتحقق الإعجاز ، لأنها مما يتعلم ويتوصل إليها بالتدريب والمران . أما إذا نظر إليها في سياقها ونظمها البديع العجيب الذي لا يدارنه نظم ، فعندئذ يقال إنها معجزة بنظمها وسياقها وصياغتها التي تسمى إلى الطبقة العليا من طبقات البلاغة الثلاث.

إعجاز القرآن لعبد الجبار "ت ٤١٥ هـ" هو القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادى قاضي قضاة الدولة البويمية بإيران أكبر أعلام المعتزلة في عصره ، وإعجاز القرآن هذا هو الجزء السادس عشر من كتابه : "المغني في أبواب التوحيد والعدل" ويقع في ثمان وأربعين وثلاثمائة صحفة " وقد عرض عبد الجبار في هذا الجزء رأيين في الإعجاز ، أوهما لأستاذه أبي هاشم الجبائى وثانيهما رأيه هو ، وكأنه أدرك أن في فكرة أستاذه نقصاً حيث لم يعتمد بالنظم في القول بالإعجاز ، وقد عرض عبد الجبار كل رأى منهما في فصل مستقل . يقول في أوهما : " وقال شيخنا أبو هاشم : إنما يكون الكلام فصيحاً بجزالة لفظه وحسن معناه ، ولا بد من اعتبار الأمرين؛ لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى " لم يعد فصيحاً . فإذا يجب أن يكون جاماً لهذين الأمرين ، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص ، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفضح من الشاعر والنظام مختلف ، إذا أريد بالنظام اختلاف الطريقة ، وقد يكون النظم واحداً وتقع المزية في الفصاحة ، فالمعتبر ما ذكرناه ، لأنه الذي يتبيّن في كل نظم وكل طريقة ، وإنما يختص النظم بأن يقع بعض الفصحاء يسبق إليه ثم يساوريه فيه غيره من الفصحاء ، فيساوريه في ذلك النظم ، ومن يفضل عليه يفضله في ذلك النظم"<sup>(٢)</sup> ، فهو لا يعتمد بالنظام ، ولا يقر بأنه يصلح مفسراً للفصاحة والبلاغة وكأنه يرد على الحاجز وغيره من العلماء الذين يرجعون إعجاز القرآن إلى نظمه البديع العجيب ، والمعلول عليه عنده فصاحة

(١) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٩٦

(٢) إعجاز القرآن "المغني" ج ١٦ ص ١٩٧

الكلام هو جزالة اللفظ ، وحسن المعنى وقد أدرك عبد الجبار ما في رأى أستاذه من  
 قصور - كما قلنا - ومن خطأ إهمال النظم وعدم الاعتداد به فقد فصلاً ثانياً يصور فيه  
 رأيه ويقر بالنظم مرجعاً للمزية والفصاحة، ثم أخذ بين معنى النظم وما ينبغي مراعاته  
 واعتباره فيه من عوامل ، وقد أفاد عبد القاهر من ذلك كثيراً في تقرير نظرية النظم  
 وإبرازها والكشف عن دقائقها وتحليل شواهدتها - كما سترى - يقول عبد الجبار :  
 " وأعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة  
 مخصوصة ، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة  
 أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد  
 تكون بالموقع ، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع ، وأنه إما أن تعتير فيه الكلمة أو حركاتها  
 أو موقعها ، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة ، ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات  
 إذا انضم بعضها إلى بعض ؛ لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة ، وكذلك لكيفية  
 إعرابها وحركاتها وموقعها ، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه  
 الوجوه دون ما عدتها . فإن قال قائل : فقد قلتم إن في جملة ما يدخل في الفصاحة  
 حسن المعنى ، فهلا اعتبرت مثواه ؟ قيل له : إن المعنى وإن كان لا بد منها فلا تظهر فيها  
 المزية - ولذا نجد المعربين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أorrect من الآخر والمعنى  
 متفق على أنا نعلم أن المعنى لا يقع فيها تزايد . فإذا يجب أن يكون الذي يعتير التزايد  
 عنده الألفاظ التي يعبر بها عنها . فإذا صحت هذه الجملة ، فالذي تظهر به المزية ليس إلا  
 الإبدال الذي به تختص الكلمات أو التقدم والتأخر الذي يختص الموضع أو الحركات التي  
 تختص الإعراب ، فبذلك تقع المباينة بين الكلام<sup>(١)</sup> ، وواضح أنه هنا ينافق رأى أستاذه  
 الذي ذكره آنفاً ، ويقر بالتعوييل على النظم الذي هو الضم على طريقة مخصوصة ،  
 فالكلمة لا تعد فصيحة في نفسها ، بل لا بد من ملاحظة صفات مختلفة لها ، لا بد من  
 ملاحظة أبدالها ونظائرها . ولا بد من ملاحظة حركاتها في الإعراب . ولا بد من ملاحظة  
 موقعها في التقديم والتأخير .

---

(١) المغني جـ ١٦ ص ١٩٩.

ويضيف عبد الجبار في شرح هذه النظرية وبيان ما للنظم من مزايا معتبرة فيقول:

"ولا يمتنع في اللغة الواحدة أن تكون إذا استعملت في معنى تكون أفعى منها إذا استعملت في غيره ، وكذلك فيها إذا تغيرت حركاتها ، وكذلك القول في جملة من الكلام : وهذا يبين أن المعتبر في المزية ليس بنية اللغة ، وأن المعتبر فيها ما ذكرناه من الوجوه ، فاما حسن النغم وعدوبة القول فمما يزيد الكلام حسناً على السمع، لا أنه يوجد فضلا في الفصاحة ، ولا فضل فيما ذكرناه بين الحقيقة والمجاز ، بل ربما كان المجاز أدخل في الفصاحة لأنه كالاستدلال في اللغة . وكذلك فلا معتبر بقصر الكلام وطوله وبسطه وإيجازه ، لأن كل ضرب من ذلك ربما يكون أدخل في الفصاحة في بعض المواضع من صاحبه"<sup>(١)</sup>.

وقد أفاد عبد القاهر الجرجاني في تحليله لنظرية النظم ، من كلام عبد الجبار هذا، وبين أن اللغة المجردة لا يعتد بها ، ودليل ذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر ، وقد عرض لذلك الشواهد الكثيرة مخلاها وموضحا ، كما بين أن الصور البينية من الاستعارة وغيرها لا دخل لها في النظم الذي عليه المعمول في معرفة الإعجاز ومزايا الكلام ، على نحو ما سترى عند حديثنا عن أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز إن شاء الله .

وبجانب هذه الكتب التي برزت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وتناولت أوجه الإعجاز القرآني ، وجدت مؤلفات أخرى أديمة دارت حول الشعر والشعراء ، وأهم هذه المؤلفات : عيار الشعر لابن طباطبا ، والموازنة بين أبي تمام والبحترى للأمدي ، والوساطة بين المتبنى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجاني ، فأنت تعلم أنه في القرآن للثالث الهجري وجد مذهبان واضحان في الشعر ، مذهب أبي تمام الذي أسرف في المحسنات البدعية إسراها شديداً وتميز بالتعنت في المعانى والغوص

(١) المغني ج ١٦ ص ٢٠٠.

وراءها. ومذهب البحترى الذى لم يسرف فى البديع ولم يكن يأخذ نفسه بفلسفة ولا ثقافة ، وكان لكل شاعر أنصار ومؤيدون ، فجاء كتاب الموازنة لينظر فى شعر الشاعرين ويوازن بين طرفيتهما ... وفي الوقت نفسه كان المتنبى قد ملأ الدنيا دوياً بشعره وما اتخذه من أسلوب التكليف الذى يؤدى المعانى الموروثة بطرق ملتوية جديدة وكان ذا بصيرة نافذة ، كثير الترحال معتداً بنفسه ، ذا كبراءة وترفع فكثير خصومه فى كل مكان ، فى حلب ومصر وبغداد ومدينة الرى ، وألقوا كتاباً ورسائل ليبيان سرقاته والكشف عن مساوئه ، فجاء كتاب الوساطة لينظر فى شعر المتنبى متوسطاً بينه وبين خصومه ليحق الحق ويبطل الباطل فى شعره وكلام النقاد .. أما كتاب عيار الشعر فكتاب عام لا يختص بشاعر بعينه ، وهذه الكتب الثلاثة كتب نقدية قامت على أساس بلاغية ، وامتزجت فيها مباحث النقد بالبلاغة ... فتعالوا نظر فيها ونتجول فى صفحاتها لنقف على ما بها من أساس بلاغية ، ونعرف مدى إفادتهم من السلف ، وإفاده الخلف مما أشاروا إليه وقرروه.

عيار الشعر لابن طباطبا " ت ٣٢٢ هـ" : مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوى الأصبهانى ، كان من نقاد عصره وشعرائه ، وكتاب عيار الشعر من أهم مؤلفاته ، وهو كتاب ألفه فى صناعة الشعر ومعرفة الميزان الذى به تقاس بлагنته ... وقد تأثر كثيراً بالجاحظ وكتاباته وبيان قتيبة ، إذ نراه يتحدث عن الملاعة بين الألفاظ والمعانى ، وبين الكلام وأحوال المستمعين ، وما ينبغي على الشاعر من إحكام العبارة وحسن النظم ، وحسن التخلص من غرض إلى غرض ، وينقل حديث ابن قتيبة عن اللفظ والمعنى ، فى مقدمة كتابه الشعر والشعراء ، فيشير إلى تقسيم الشعر إلى ما حسن لفظه وجاد معناه ، وما حسن لفظه دون معناه ، أو معناه دون لفظه ، وما تأخر لفظه ومعناه .

ومن أهم المباحث البلاغية التى عرض لها "مبحث التشبيه" فقد فصل فيه القول ، وبخاصة فى التشبيهات الحسية ، وعرض لروائعه ورديه ، وتحدث عن طريقة العرب فى التشبيه ، فذكر أنهن ضمنوا أشعارهم من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانهم وحسهم

إلى ما في طبائعهم وأنفسهم من محمود الأخلاق ومذمومها ، وفصل القول في وجوه التشبيه وأقسامه ، فأبرز أن الشيء قد يشبه بالشيء صورة وهيئة كما في قول أمرئ القيس :

كأن عيون الوحش حلو خبائنا  
وارحلنا الجزع الذي لم ينثقب

والجزع : خرز فيه بياض وسود . وقد يشبه الشيء بالآخر لونا وصورة كتشبيه التغر بالأقحوان ، إذ لونهما وصورتهما سواء ، وقد يشبه الشيء بالشيء صورة ولونا وحركة وهيئة كقولهم : الشمس كالمرأة في كف الأشل وقد يشبه الشيء بالآخر حركة وهيئة ، كقول الأعشى متغلاً :

كأنه مشيئتها من بيت جارتها  
مر السحابة لا ريث ولا عجل

وقد يشبه الشيء بالشيء معنى لا صورة ، كتشبيه الجعود بالبحر والشجاع بالأسد ، والماضي في الأمور بالسيف ، وقد يشبه الشيء بالشيء حركة وبطأ وسرعة ، كقول أمرئ القيس في وصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبر معاً  
كمحمد صخر حطه السيل من على

وقد يشبه الشيء بالشيء لونا ، كتشبيه الخمر بدم الذبيح والليل بلون الغراب وقد يشبه الشيء بالشيء صوتاً ، كتشبيه صوت النيل في الحرث بناواح الشكلي . وبهذا يتضح لك اختلاف وجهة ابن طباطبا إلى التشبيه ، عن وجهة نظر الرمانى في بينما اهتم الأخير بالتشبيه العقلى وسماه تشبيه البلاغة اهتم ابن طباطبا بالتشبيهات الحسية ، وفصل فيها القول على نحو ما رأيت ، وقد أشار إلى بعض أدوات التشبيه كالكاف وكأن ومثل وتراء وتخاله ويقاد ، ونوه بالتشبيهات الغريبة البديعة ، كقول مسلم بن الوليد :

وإنى وإسماعيل يوم فراقه  
لكلغمد يوم الروع زايله النصل  
فإن أغشَّ قوماً بعده أو أزْرَهُم<sup>(١)</sup>

(١) يوم الروع : يوم الحرب . زايله : فارقه : المخل : الجدب .

وتحدث عن التشبيهات المعيبة معللاً أسباب عيبيها ، فقد يكون العيب راجعاً لشدة الغلو فيها أو لنبو التشبيه عن الذوق أو لتشبيه كبير بصغر كتشبيه السهام بأعناق الظباء...

كما تحدث ابن طباطبا عن فنون بديعية كثيرة أشار إليها السابقون منها : رد الأعجاز على الصدور وما ينبغي على الشاعر من مراعاة تمسك المعانى ، واتصال أول الكلام بما يليه ، حتى لكانه يستدعى ، ومنها الكتابة وقد سماها التعریض ، وعن الغلو كما في قول أبي نواس :

لتحاول النطف التي لم تخلق وأخافت أهل الشرك حتى إنـه

وتحدث عن السرقات الشعرية ، فأشار إلى أن للشاعر أن يتناول المعانى الموروثة بشرط أن يتلطف في عرضها وأن يعمل الحيلة في تناولها فينقلها من غرض إلى غرض . ونبه الشعراء إلى ضرورة تخbir الكلمات المعبرة الموحية والبعد عن الكلمات القلقة التي ينبو بها موضعها وتستقر فيه . وتحدث عنه براعة الاستهلال وحسن التخلص وما ينبغي على الشاعر من الملاءمة بين معانى الشعر ومبانيه ، وأن يخلو في افتتاحياته مما يتشاءم به ويتطير وبخاصة في المديح ، وتحدث عن الوحدة العضوية فأشار إلى ضرورة أن تسترابط أبيات القصيدة حتى تغدو بناء محكمًا متشاشاً كلاماً انظر إلى قوله : "أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره على نحو ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها ، وكلمات الحكم المستقلة بذاتها والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمها ، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أو لها باآخرها نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر عن كل معنى يصنعه إلى غيره من المعانى خروجاً لطيفاً على ما شرطناه في أول الكتاب حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً كالأشعار

التي استندنا بها في الجودة والحسن واستواء النظم ، لا تناقض في معانيها ولا وهى في مبانيها ولا تكلف في نسجها تقتضى كل كلمة ما بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقاً بها مفتراً إليها<sup>(١)</sup> ..

### الموازنة بين أبي تمام والبحترى للأمدى :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى ، له مؤلفات مختلفة في اللغة والشعر ، وأهمها هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه "الموازنة" وقد ألفه ليوازن بين شعر الشاعرين الكبيرين : أبي تمام والبحترى - كما أسلفنا - والذى يعنيها هنا ونحن نورخ للبلاغة ، ما في الكتاب من أساس بلاغية قامت عليها تلك الموازنة ، وأهمها ما يلى :

السرقات الشعرية : فقد تحدث عن سرقات الشاعرين : وذكر أن كثيراً من المعانى عام فهو للشعراء جمِيعاً يشتَرِكُون فيه دون أن يقال إن أحدهما أخذ من الثاني ، لأن حكمه فيه كحكم صاحبه ، فلا فضل لسابق على تال .. أما الذي ينبغي أن يقال إنه مأخوذ أو مسروق فهو المعانى الخاصة والبديع الذى ليس للشعراء فيه اشتراك .

الاستعارة : وتحدث الأمدى عن الاستعارة فقال : "إنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه"<sup>(٢)</sup> ، ويعرض لطائفة من الاستعارات القبيحة عند أبي تمام كقوله :

يا دهر قوم من أخذَعَيكَ فَقدْ أَضْجَحَتْ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكِ  
وَقُولَهُ :

خَطُوبَ كَأْنَ الدَّهْرَ مِنْهُنَ يَصْرُعُ تَرُوحَ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي  
وَقُولَهُ فِي رَثَاءِ غَلَامٍ :

بَعْدَ إِثْبَاتِ رَجْلِهِ فِي الرَّكَابِ أَنْزَلَهُ الأَيَّامُ عَنْ ظَهُورِهِ مَنِ

(١) عيار الشعر ص ١٢٩.

(٢) الموازنة ص ١٢٤.

ويرجع الآمدى قبح هذه الاستعارات إلى بعد المشبه عن المشبه به وعدم وجود وجه شبه يجمع بينهما ... ولنا أن ندافع عن أبي تمام فنقول أن الاستعارة في الأبيات من قبيل الاستعارة المكتبة التي تبني - غالباً - على التشخيص والتجسيد ونقل عناصر الطبيعة والمعنيات من عالمها إلى العالم الحى المتحرك ، بعض النظر عن التدقيق ومحاولة التماس وجه شبه ، أو إدناء وتقريب المستعار له من المستعار منه<sup>(١)</sup> .

الجناس والطباقي : وتحدث عن الجناس والطباقي مبرزاً أخطاء الشاعرين وإساءاتهم في استخدام هذين اللذين ، ومشيراً إلى إفراط أبي تمام وإسرافه في استخدامهما ... وتلوم قدامة في مخالفته لابن المعتر وتسميته الطباقي باسم التكافؤ ، والجناس التام باسم المطابق ..

التعقيد اللغظى : وتحدث عن سوء نظم أبي تمام وتعقيد ألفاظه وما يجري في شعره من غريب ، وأشار إلى أن قدامة قد أخطأ في فهم معنى العاذهلة ، حيث أطلقها على فاحش الاستعارة وإنما المراد بها سوء النظم وتدخل أجزاء الكلام ورکوب بعضه بعضاً ، أي : التعقيد اللغظى المخل بالفصاحة .

حسن الابتداء : كما تحدث عن حسن الابتداءات ، فنوه كثيراً بابتداءات البحترى ، وأزرى بكثير من ابتداءات أبي تمام :

الوساطة بين المتبني وخصومه : مؤلف هذا الكتاب - كما أشرنا - هو على ابن عبد العزيز الجرجانى " ت ٣٩٢ " ، وكان يتولى القضاء للدولة البوهيمية فى إيران ، وقد أراد بهذا الكتاب أن يتوسط بين المتبني وخصومه ، وأن يحكم بينهما بالقسطان المستقيم ، وقد بدأ بالحديث عن أخطاء الشعراء قدماء ومحديثين فى ألفاظهم ومعانيهم ثم أشار إلى أن أبو تمام يتفاوت شعره بين السهولة والإغراب اللغظى ، بينما يمتاز البحترى بالسهل الممتنع والسماح المنقاد ... ومضى يتحدث عن البديع ووجوهه وصوره ، فذكر أنها كانت تأتى قليلة وبدون تعمد ولا تكلف فى أشعار الجاهلين والإسلاميين ، فلما

(١) انظر البلاغة تطور وتاريخ ص ١٣٠ .

أفضى الشعر إلى المحدثين من العباسين أكثرها منها إكثاراً ... والذى يهمنا هو مَا فى الكتاب من فنون البدىع ومسائل البلاغة ... وأهم ما نجده :

التشبيه والاستعارة : تحدث الجرجانى عن التشبيه وأغراضه وعن الاستعارة

و معناها ، والفرق بينها وبين التشبيه البليغ ، فنراه يذكر بيت المتبنى :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف      وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

ثم يعلق عليه فائلا " إن التشبيه والتتمثل قد يقع تارة بالصورة والصفة وأخرى بالحال والطريقة ، فإذا قال الشاعر وهو يريد إطالة وقوفه : إنى أقف وقوف شحيح ضاع خاتمه ، لم يرد التسوية بين الوقوفين فى القدر والزمان والصورة ، وإنما يريد : لأقفن وقوفا زائدا على القدر المعتمد خارجا عن حد الاعتدال ، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف فى أمثاله وعلى ما جرت به العادة فى أضرابه ، وإنما هو كقول الشاعر :

رب ليل أمد من نفس العا      شق طولا قطعته بانتحاب

ونحن نعلم أن نفس العاشق بالغاً ما بلغ لا يمتد امتداد أقصر أجزاء الليل ، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أنفاس لا تُحصى ، كائنـة ما كانت فى امتدادها وطوها ، وإنما مراد الشاعر أن الليل زائد فى الطول على مقدادـير اللـيـل ، كـريـادة نفس العـاشـق عـلـى الأنـفـاس<sup>(١)</sup> وهذه ملاحظة دقيقة فى تفهم مراد الشاعر وفقـه الصـورـة التـشـبـيهـية ، وما يـكـمـن وراءـها من دـلـالـات وإـيحـاءـات ... ويـتـحدـث عن أغـرـاض التـشـبـيهـة فيـقـول : " للـشـعـراء فـي التـشـبـيهـ أغـرـاضـ ، فـإـذا شـبـهـوا بـالـشـمـسـ فـي مـوـضـعـ الوـصـفـ بـالـحـسـنـ أـرـادـوا بـهـ الـبـهـاءـ وـالـرـونـقـ وـالـضـيـاءـ وـنـصـوـعـ الـلـوـنـ وـالـتـامـ ، وـإـذا ذـكـرـوهـ فـي الوـصـفـ بـالـبـاهـةـ وـالـشـهـرـ أـرـادـوا بـهـ عـمـومـ مـطـلـعـهـ وـاـنـتـشـارـ شـعـاعـهـ ، وـاـشـتـراكـ الـخـاصـ وـالـعـامـ فـي مـعـرـفـتهاـ وـتـعـظـيمـهاـ ، وـإـذا قـرـنـوهـ بـالـجـلالـ وـالـرـفـعةـ ، أـرـادـوا بـهـ أـنـوارـهـ وـاـرـتـفـاعـ مـحـلـهـ ، وـإـذا ذـكـرـوهـ فـي بـابـ النـفـعـ وـالـإـرـفـاقـ ، قـصـدـوا بـهـ تـأـثـيرـهـاـ فـيـ النـشـوـءـ وـالـنـمـاءـ

---

(١) الوساطة ٤٧١.

والتحليل والتوصيفية . ولكل واحد من هذه الوجوه باب مفرد وطريق متميز ، فقد يكون المشبه بالشمس في العلو والباهة والنفع والجلالة أسود ، وقد يكون متير الفعال كمد اللون واضح الأخلاق كاسف المنظر <sup>(١)</sup> ، وتلك نظرة دقيقة في تحديد وجه الشبه ، فقد يكون المشبه به واحداً ويختلف وجه الشبه باختلاف الغرض من التشبيه ، وقد أفاد البلاغيون من هذه النظرة في بيان وجه الشبه وتحديد أغراض التشبيه ... ويفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ فيقول : "ورما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس :

والحب ظهر أنت راكبه فإذا صرفت عنانه انصرف

ولست أدرى هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر أو الحب كظاهر تدیره كيف شئت إذا ملكت عنانه ، فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء ... وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ... وملائكتها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر ... <sup>(٢)</sup> فهو هنا يفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة ويشير إلى خطأ البعض في الخلط بينهما ويجعل الاستعارة مبنية على النقل كما صنع الجاحظ وابن المعتر والرمانى قبله، ثم نراه متأثراً بالأمدى يشير إلى ضرورة وجود الشبه والمناسبة والامتزاج وعدم التناقض بين المستعار له والمستعار منه ... وقد تأثر عبد القاهر بالقاضى وأفاد منه كثيراً من مباحثه في الاستعارة والتشبيه ، إذ نراه يستمد منه ، ويصرح باسمه كثيراً ... انظر إلى قوله : " أعلم أن الوجه الذى يقتضيه القياس وعليه يدل كلام القاضى فى الوساطة ،

(١) الوساطة ٤٧٤.

(٢) الوساطة ٤١.

ألا تطلق الاستعارة على نحو قولنا : زيد أسد وهند بدر ، ولكن تقول هو تشبهه ، فإذا قال قائل هو أسد لم تقل استعار له اسم الأسد ، ولكن تقول : شبهه بالأسد<sup>(١)</sup> .

التجنيس : وينتقل القاضى إلى التجنيس فيقسمه أقساماً ويطلق على كل قسم مصطلحاً ، وقد رأيت ابن المعتر يذكر شواهد مختلفة لأقسام الجنس ، ولكنه لم يسمها كسماتها القاضى ، وكأن القاضى قد استمد من تلك الشواهد ، وأطلق عليها هذه المصطلحات التى تناقلها البلاغيون بعده . فمن هذه الأقسام المطلق ، وقد سمّاه بعض البلاغيين باسم : جناس الاشتقاد كما فى قول أبي تمام :

تطل الطلول الدمع فى كل موقف  
وتمثل بالصبر الديار المؤائل  
ومنه المستوفى وهو الجناس الكامل الذى أطلق عليه قدامة المطابق ، كقول  
أبي تمام .

ما مات من كرم الزمان فإنه  
يحيى لدى يحيى بن عبد الله  
ومنه الناقص ، كقول الأخنس بن شهاب :

لواء منعنا والسيوف شوارع  
وحامى لواء قد قتلنا وحامل  
ومنه التجنيس المضاف كقول البحترى :

أيا قمر التمام أعنلت ظلماً  
على تطاول الليل التمام  
وذلك أن معنى التمام واحد فى الموضعين ، ولو افراد لم يعد تجنيساً ، ولكن  
أحدهما صار موصولاً بالقمر والأخر بالليل ، فكانا كالمحلفين ومنه التصحيف كقول  
البحترى فى المعتر بالله وبعض الخارجين عليه :

ليعجز والمعتر بالله إذ سرى  
ولم يكن المعتر بالله إذ طاله

---

(١) أسرار البلاغة ص ٢٩٨ .

فحانس بين " المفتر والمعتر " جناس تصحيف<sup>(١)</sup>.

المطابقة : وتحدث القاضى عن المطابقة فأورد كثيرا من شواهدها وذكر أن لها  
شعبا خفية، وأشار إلى طباق السلب ، كقول البحترى:

يقيض لي من حيث لا أعلم الهوى      ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم  
وقد أشار إلى ذلك الباقلانى - كما مر بك فى الحديث عنه ...

السرقات الشعرية : وتحدث عن السرقات الشعرية ففصل فيها القول وذكر أنها  
أنواع مختلفة ، واضعاً لكل نوع منها اسمًا ، وقد اقتدى به البلاغيون فتناولوا هذه  
التسميات . يقول القاضى فى ذلك : "هذا باب لا ينهض به إلا الناقد البصير والعالم الميرز  
وليس كل من تعرض له أدركه ، ولا كل من أدركه استوفاه واستكمله ، ولست تعد  
من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علمًا برتبه  
ومنازله فتفصل بين السرق والغصب وبين الإغارة والاحتلال ، وتعرف الإمام من  
الملاحظة ، وتفرق بين المشترك الذى لا يجوز ادعاء السرق فيه والمبتذل الذى ليس أحد  
أولى به ، وبين المختص الذى حازه المبتدىء فملكه ، وأجيال السابق فاقتطعه ، فصار  
المعتدى محتلساً سارقاً والمشارك له محظياً نابعاً ، وتعرف اللفظ الذى يجوز أن يقال فيه :  
أخذ ونقل ، والكلمة التى يصح أن يقال فيها هي لفلان دون فلان<sup>(٢)</sup> .

وأخذ القاضى يعرض الأمثلة للأقسام التى ذكرهما من الغصب والإغارة  
والاحتلال والملاحظة ، ومن طريف ما وقف عنده تبادل المعانى والأغراض ،  
وهو يدخل فى الاحتلال ، كما في قول حرير متغلاً :

بعشن الهوى ثم ارتمى قولينا      بأسهم أعداء وهو صديق

(١) انظر الوساطة ص ٤١ وما بعدها.

(٢) الوساطة ١٨٣.

فقد نقله أبو نواس إلى ذم الدنيا والزهد فيها فقال :  
 إذا امتحن الدنيا ليبت تكشفت له عن عدو في ثياب صديق  
 ومن ذلك أيضاً ما يجئ به الشعراء على وجه القلب والنقض مما يدخل في الإلحاد  
 والملاحظة ، كقول أبي الشيص :  
 أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليلمنني اللوم  
 فقد نقضه المتبنى بقوله :  
 أحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه  
 إلى غير ذلك من الفنون البلاغية التي عرض لها القاضي ، كصحة الأقسام وبراعة الاستهلال وحسن التخلص والخاتمة ، والبالغة والغلو ، يقول في الغلو " أما الإفراط فمذهب عام في الحديثين ، موجود كثيراً في الأوائل ، والناس فيه مختلفون فمستحسن قابل ومستقبع راد ، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ، ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت له العاية ؛ وأدته الحال إلى الإحالة وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغرار ، والباب واحد ولكن له درج ومراتب ... " <sup>(١)</sup> .

كتاب الصناعتين لل العسكري " ت ٥٣٩ هـ " : هو أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، له مؤلفات كثيرة زادت على العشرين مؤلفاً ، ما زال معظمها مخطوطاً ، وأهم هذه المؤلفات : كتاب الصناعتين ، ويريد بالصناعتين : صناعتي الكتابة والشعر ، وليس هو أول من سمي الأدب : صناعة ، بل سبقه إلى ذلك بشر بن المعتمر ، - كما رأينا في صحيحته - ، وقدامة الذي ذكر أن الشعر صناعة وكل صناعة لها طرفان : غاية في الجودة ، وغاية في الرداءة وبينهما وسائل ... ويفتح أبو هلال كتابه بمقعدة ينوه فيها بشأن البلاغة ، وضرورة معرفتها والإلمام بمسائلها ، ذاكراً أهميتها بين العلوم الأخرى ،

. (١) الوساطة ٤٢٠

فهي ضرورية لفهم إعجاز القرآن الكريم ، وللتمييز بين جيد الكلام وردئيه ، والوقوف على ما ينبغي استخدامه من أساليب اللغة الرفيعة وألفاظها الجيدة ، ثم يخبر عن الغاية من تأليفه الكتاب فيقول : " فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والبخل ، ووجدت إليه الحاجة ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان أكابرها وأشهرها كتاب " البيان والتبيين " لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو لعمري كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقير اللطيفة ، والخطب الرائعة والأخبار البارزة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقداديرهم فى البلاغة والخطابة ، وغير ذلك من فنونه المختارة ونوعته المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتشرة فى أثنائه فهى ضالة بين الأمثلة ، لا توجدد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير ، فرأيت أن أعمل كتابى هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه فى صنعة الكلام نثره ونظمه ، ويستعمل فى محلوله ومعقوده من غير تقصير وإخلال ، وإسهام وإهزار ... " <sup>(١)</sup> .

ثم يذكر أنه لم يؤلفه على طريقة المتكلمين ، وإنما ألفه على طريقة صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، وهو كذلك فقد مضى فيه على طريقة ابن المعز يكثر من الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام الصحابة والعرب وأشعار المتقدمين والمخدين . وقد احتوى الكتاب على عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا .

**الباب الأول :** للإبانة عن موضوع البلاغة ويكون من ثلاثة فصول ، وقد تحدث فيه عن البلاغة فى أصل اللغة ، وما جاء فيها من أقوال السابقين فى ذكر حدودها وشرح وجودتها ، وما يجرى معها من تصرف لفظها ، وضرب لذلك الأمثلة والشواهد .

(١) الصناعتين ١٠، ١١.

**الباب الثاني** : في معرفة الكلام وتمييز جيده من ردئه ومحموده من مذمومه وقد تكون من فصل واحد .

**الباب الثالث** : في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ ويكون من فصلين .

**الباب الرابع** : في الحديث عن حسن السبك وجودة الرصف ويكون من فصل واحد .

**الباب الخامس** : في ذكر الإيجاز والإطناب ويكون من فصلين وقد جعل بينهما المساواة ، فالكلام عنده إيجاز أو إطناب أو مساواة .

**الباب السادس** : في السرقات ويكون من فصلين تحدث فيما عن حسن الأخذ وقبحه ، وعن جودته ورداءته .

**الباب السابع** : في التشبيه ويكون من فصلين .

**الباب الثامن** : في ذكر السجع والازدواج وهو فصلان .

**الباب التاسع** : في شرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفتوبيه ويكون من خمسة وثلاثين فصلاً .

**الباب العاشر** : في ذكر مقاطع الكلام ومبادئه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه ، ويكون من ثلاثة فصول .

وقد تأثر أبو هلال في تناوله لهذه الأبواب بمن سبقة من العلماء واستمد كثيراً من أقوالهم ، تأثر بالجاحظ في حديثه عن حسن السبك وجودة النظم وتمييز جيد الكلام من ردئه ، وتأثر بالرمانى في حديثه عن التشبيه ونقل أقواله فيه وكذا باين طباطبا ، كما تأثر بالرمانى في حديثه عن السجع والازدواج وأدخل فيما فوائل القرآن الكريم مخالفًا له ، وكذا في حديثه عن الإيجاز وتقسيمه إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف ، واقتدى بقدماء في القول بالمساواة وبابن المقفع في ذكر الإطناب ، وكذا بالجاحظ ، وتأثر بالأمدي والقاضى في حديثه عن السرقات الشعرية وحسن الأخذ وقبحه ، وكان شديد التأثر بأستاذه وخاله " أبي أحمد العسكري " وعندما ينقل عنه تراه يقول : " أخبرنى " ونحو ذلك مما يدل على السمع والمشاهدة وقد كانوا يقدمون السمع على النقل من الكتب .

هذا ونلاحظ أن الأبواب من الخامس إلى الثامن ، وكذا الباب العاشر يمكن إدماجها في الباب التاسع الذي تحدث فيه عن فنون البديع ، لأنه يتناول فيها فنونا بديعية الإيجاز والإطناب والسرقات والتشبيه والسجع والازدواج وحسن الابتداء وحسن التخلص ، وكلها تدخل أى : يمكن تناولها في الباب التاسع الذي خصص له فنون البديع... وعندما ننظر في فنون البديع التي ذكرها في الباب التاسع بخدها خمسة وثلاثين، يذكر أبو هلال أنه زاد فيها على ما أورده سابقاً ستة فنون ، فهو يلقي معهم في تسعة وعشرين فناً نقلها عن سابقيه وعن حاله : أبي أحمد العسكري، وهذه الفنون هي : الاستعارة - التطبيق - التجنيس - المقابلة - صحة التقسيم - صحة التفسير - الإشارة - الإرداد والتوازع - المماثلة - الغلو - المبالغة - الكنایة - والتعريض - العكس - التذليل - الترصيع - الإيغال - التوشيح - رد الأعجاج على الصدور - التتميم والتكميل والالتفات - الاعتراض - الرجوع - تحاصل العارف - الاستطراد ويعرفه بقوله : " هو أن يأخذ المتكلم في معنى فيما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه "(١) . وقد سماه ابن المعتر " الخروج " ، وما أنسد له أبو هلال قول حسان بن ثابت :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منحي الحارث بن  
ترك الأحبة أن يقاتل عنهم وبجا برأس طِمِّرةٍ ولجام

- جمع المؤتلف والمختلف ويعرفه بقوله : " هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو ممتدة كقوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْحَرَادَ وَالْقُمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدُّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ (٢) ، قوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلْحَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (٣) ، وساق شواهد كثيرة ترجع جميعها إلى ما سمي فيما بعد بـ مراعاة النظير (٤)

(١) الصناعين ٤١٤.

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٣.

(٣) سورة النحل آية ٩٠.

(٤) انظر الصناعتين ٤١٧.

والسلب والإيجاب - الاستثناء وهو تأكيد المدح بما يشبه النم - المذهب الكلامي - التعطف وهو نوع من الجناس وقد عرفه بقوله "أن تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف" <sup>(١)</sup>

أما الفنون الستة التي ذكر أنه زادها على ما ذكره السابقون فهي :

١- التشطير : ويريد به أن يستغنى كل مصراع عن صاحبه في معناه ، إذ يعرفه بقوله : " وهو أن يتوافق المصراعان والجزاءان وتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهمما بنفسه واستغنائه عن صاحبه " فمثاليه من التتر قول بعضهم : " من عتب على الزمان طالت معتبه ، ومن رضى عن الزمان طابت معيشته " ومن الشعر قول الشاعر :

فاما الذي يخصهم فمكثر  
واما الذي يطربهم فمقيل

وقول زهير :

ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
وليس هذا اللون من اختراع أبي هلال - كما ذكر - بل سبقه إليه ثعلب في  
كتابه : " قواعد الشعر " وسماه " بالمعدل " حيث قال : " أبلغ الشعر ما اعتدل شطراه  
وتكافأت حاشيتها ". كقول الشاعر :

الله أبْحَجَ مَا طَلَبَتْ بِهِ  
والبر خير حقيقة الرجل <sup>(٢)</sup>

والذى أضافه أبو هلال أن غير تسميته من " المعدل " إلى " التشطير " .

٢- المحاورة : ويعرفها بقوله : " تردد لفظتين في البيت ووقع كل واحدة منهما بحسب الأخرى أو قريبا منها من غير أن تكون إحداهما لغواً لا يحتاج إليها " كقول علقة :

أني توجه والمخروم محروم  
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه

(١) الصناعتين ٤٣٨.

(٢) قواعد الشعر ٦٣.

فقوله : " الغنم يوم الغنم " مجاورة ، وكذا : " المحروم محروم " ، ومنه قوله :  
إنما يغفر العظيم العظيم " وقد سى هذا اللون فيم بعد باسم التزدید . وأراه قريبا من الجناس  
النام ، أو ما سماه أبو هلال باسم : " التعطف " ، نقاً عن حاله : أبي أحمد العسكري .

٣- الاستشهاد والاحتجاج : ويعرفه بقوله " أن تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر  
يجرى مجرى الاستشهاد على الأول واللحجة على صحته " ، كقول بشار :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة

فإن الخوافي قوة للقوادم

ويرجع هذا اللون إلى ما عرف عند الجاحظ وابن المعتز بالذهب الكلامي .

٤- المضاعفة : وهى أن يتضمن الكلام معينين ، معنى مصرح به ، ومعنى  
كالمشار إليه ، ومثاله قول الأحطل :

قالوا لأمهem بولى على النار      قوم إذا استبع الأضياف كلبهم

فقد دل بإطفاء نارهم القليلة على بخلهم . ومنه قول المتنبي :

نهيت من الأعمر مالو حويته      هنئت الدنيا بأنك خالد

وبعض شواهد هذا الفن ترجع إلى الكنابة كالبيت الأول ، والبعض الآخر  
استشهد به المتأخرؤن لما عرف عندهم باسم الاستباع كبيت المتنبي .

٥- التطريز : وهو أن يقع في أبيات متواالية من القصيدة كلمات متساوية فى  
الوزن ، ف تكون فيها كالطراز فى الثوب .

ومنه قول أبي طاهر .

إذا أبو قاسم جادت لنا يده

لم يحمد الأجدان : البحر والمطر

وإن أضاءت لنا أنوار غرته

تضاءل الأنواران : الشّمس والقمر

وإن مضي رأيه أو حد عزمه

تأخر الماضيان : السيف والقدر

من لم يكن حذراً من حد صولته

## لم يدر ما المزعجان : الخوف والخذر

- التلطف : وهو أن تلتطف للمعنى الحسن حتى تهجهنـه والمعنى المحسـن حتى

تحسنـه ، فـمن ذلـك أـن يـحيـيـ بـن خـالـد الـبـرـمـكـي قـال لـعـبـد الـمـلـك بـن صـالـح : "أـنت حـقـودـ" فـقـالـ : "إـن كـان حـقـدـ عـنـدـكـ بـقـاءـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ فـإـنـهـمـاـ عـنـدـيـ لـبـاقـيـانـ" ، فـقـالـ يـحيـيـ : مـا رـأـيـتـ أحـدـاـ غـيرـكـ اـحـتـجـ لـلـحـقـدـ حـتـىـ حـسـنـهـ .

م يقول أبو هلال : وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع نوع آخر لم يذكره

أحد وسميته : المشتق وهو أن يشتق لفظ من لفظ أو معنى من لفظ ، لتحسين شيء أو

تقبيحه ، كما في قول أحد الشعراء في العالم اللغوي المشهور : "نفطويه" :

لـ أـوـحـيـ النـحـوـ إـلـىـ نـفـطـوـيـهـ ماـ كـانـ هـذـاـ النـحـوـ يـقـرـأـ عـلـيـهـ

أحرقه الله بنصف اسمه وصبر الباقي صراحتا عليه

ذلك هي الألوان التي عرض لها العسكري في الصناعتين ، وقد وضح لك مدى

تائث و عم: سقه ، وأنه قد أكثـر من الاستشهاد بهذه الفتن التي جمعها واستقصاها، كما

عند بشّحها وتحليلها، فجاء كتابه كما صُرِّح، علم طبقة صناع الكلام من الشعاء

و الكتاب.

كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق " ت ٤٦٣ هـ " مؤلف هذا

الكتاب هو الحسن بن رشيق القيرواني، أحد بلغاء القيروان وشاعرائها، ولد سنة

٤٥٦ هـ ، واختلفت الروايات في سنّة وفاته ، فقيل توفى سنة ٤٥٦ هـ ، وقيل سنة ٤٩٠

٤٦٤ هـ ، وأرجع الروايات أنه توفي سنة ٦٣٤ هـ . ويحدثنا ابن رشيق عن سبب

تألیفه لهذا الكتاب ، والغاية منه فيقول : " قد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرى أن تقبل شهادته ، وتمثل إرادته . وووجدت الناس مختلفين فيه، مختلفين عن كثير منه ، يقدمون ويؤخرون ، ويقلون ويكترون ، قد بوبسوه أبواباً مبهمة ، ولقبوه ألقاباً متهمة ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة ، وانتحل مذهبها هو فيه إمام نفسه ، وشاهد دعوه ، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتاب ، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، إن شاء الله تعالى " <sup>(١)</sup> .

ويقع الكتاب في جزئين يتضمنان ستة ومائة باب تناولت في مقدماتها محاسن الشعر من : بيان فضله ، والرد على من يكرهه وشعر الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ومن وضعه ، ومن قضى له الشعر ومن قضى عليه ؛ وفأله الشعر وطيرته ومنافعه ومضاره ، والتكميل بالشعر والأنفة منه .

وبعد هذه المقدمات تحدث عن حد الشعر وعن انصاره مفيداً في ذلك مما كتبه قدامة والسابقون ، ثم فتح فصلاً للحديث عن اللفظ والمعنى ، فذكر أنهما متلازمان ، إذا لفظ جسم روحه المعنى ، فما يوصف به أحدهما يعد وصفاً للآخر ، فإذا وصف اللفظ بالغرابة أو بالابتذال ، كان ذلك وصفاً للمعنى الجاثم وراءه وكذلك الشأن في المعنى إن وصف بالوضوح أو الغموض ، كان ذلك وصفاً للفظ الذي يعرضه ويجلسوه ، فليس اللفظ والمعنى شيئاً منفصليْن كالكوب وما يكون فيه من شراب ، بل هما متراابطان ترابط الثوب بمادته ، وهذه النظرة تختلف عن نظرية ابن قتيبة والتي تبعه فيها ابن طباطبا ، حيث قسماً الشعر إلى ما حسن لفظه ومعناه ، وما ساء لفظه ومعناه ، وما حسن لفظه دون معناه ، وما حسن معناه دون لفظه .

ثم يذكر القبراني أن للشعراء ألفاظاً معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعودها ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها .

---

(١) العمدة حـ ١ ص ١٦ .

ولعله يقصد بذلك ما أشار إليه الجاحظ من أن لكل أديب شاعراً كان أو ناثراً  
معجمه اللغوي الخاص الذي يردد في كلامه و يتميز به أسلوبه .

إلى غير ذلك مما تناوله الكتاب من حديث عن أوزان الشعر وقوافيه وأغراضه ،  
وعن المطبوع من الشعر والمصنوع فيه ، وعن البديهة والارتجال . والذى يعنيها هو حديثه  
عن البديع وفنونه ، وأول ما تلاحظه أن القิروانى قد فصل بعض فنون البديع ، وتحدى  
عنها فى أبواب مستقلة ، كما فعل أبو هلال ، فتراه يفرد باباً للحديث عن المبادىء  
والخارج والنهيات ، وباباً آخر للحديث عن الإيجاز . كما تلاحظ أنه أطلق كلمة : "  
الحلى" على ألوان البديع ، إذ يقول فى باب الاستعارة : " الاستعارة أفضل المجاز وأول  
أبواب البديع ، وليس فى حلى الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام إذا وقعت  
موقعها ، ونزلت موضعها "<sup>(١)</sup> . ويقول فى أثناء حديثه عن المثل السائر " وهذه الأشياء  
فى الشعر إنما هى نبذ تستحسن ، ونكت : تستظرف مع القلة وفي الندرة فاما إذا كثرت  
فهى دالة على الكلفة .. ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً حالياً مغسولاً من هذه الحللى  
فارغأً "<sup>(٢)</sup> ، تراه هنا يطلق كلمة : " حلى" على فنون البديع ، كما تراه ينبئه إلى أن  
الإكثار من تلك الفنون يدل على التكلف الذى لا يرغب فيه أحد ، فهى إنما تستحسن  
مع القلة وفي الندرة ، وعندما تأتى عفواً بلا تكلف . وليس القิروانى أول من أطلق لفظ  
" الحللى" على فنون البديع ، بل سبقه إلى ذلك القاضى صاحب الوساطة ، حيث يقول :  
" وقد تمنع بعض الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعاً ، ولكنه أحد أبواب الصنعة  
ومعدود في حللى الشعر" <sup>(٣)</sup> ومن قبلهما أطلق ابن المعتر على بعض هذه الفنون : " محاسن  
الكلام" ، ولعل هذا ما أغوى المتأخرین من البلاغيين ، أن يجعلوا فنون البديع محسنات  
تأتى بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة ، ولكن هؤلاء الأعلام : القاضى

---

(١) العمدة ١/٢٨٦.

(٢) العمدة ١/٢٨٥.

(٣) الصناعتين ٤٣٨.

والقيرواني وابن المعتر ، لم يقصدوا إلى ما فهمه المتأخرون ، بل الخلية عندهم أمر ذاتي ،  
وليس ترقىً يمكن الاستغناء عنه ، فهي حلية يقتضيها المقام ، ويتم الغرض من الأسلوب  
إن وجدت ، وينعدم إن لم توجد<sup>(١)</sup>

وابن رشيق لم يقف أمام الفنون البدعية التي ورثها عن سابقيه مكتوف اليدين  
جامداً ، بل فكر ووضح وغير بدل وضم وفرق وهذب ونفع ، تجده قد ضم الشبيه إلى  
شبيهه ، كعده الترصيع في التقسيم ، وعده الكناية واللغز وما شاكلهما من أقسام الإشارة  
وفرق بين الألوان المتقاربة ، كتضيقه بين الاستطراد والالتفات ، والتسميم والإغفال ، وقد  
امتاز تناوله لذلك بحسن اختيار الشواهد ، وإيضاحها وتحليلها تحليلاً دقيقاً..... وإليك  
أهم الألوان البدعية التي حواها العمدة .

عقد ابن رشيق باباً للتفرقة بين المخترع والبديع ، فذكر أن المخترع من الشعر  
هو ما لم يسبق إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره ، أو ما يقرب منه ،  
كقول أمير القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها      سمو حباب الماء حالاً على حال

فإنه أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، فلم ينافيه فيه أحد ولوّه احتراعات  
كثيرة ، والفرق بين الاختراع والإبداع وإن كان معناهما في العربية واحداً، أن الاختراع  
خلق المعانى التى لم يسبق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط ، والإبداع ، إتيان الشاعر  
بالمعنى المستظرف الذى لم يتحرى العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع ، وإن  
كثر وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع  
في لفظ بديع فقد استوى على الأمد وحاز قصب السبق.

ثم يذكر أن البديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة ، وأن عبد الله بن المعتر هو أول  
من جمع البديع وألف فيه كتاباً، ولعله يقصد بالتأليف : التأليف على طريقة منهجية

---

(١) الصناعتين ٤٣٨.

واضحة ، وإن فهناك كتب عديدة قبل كتاب البديع - كمارأيت - تناولت فنون البديع .. وبعد ذلك يأخذ في بيان فنون البديع ، حيث يبدأها بالمحاز فيه على كثرته في كلام العرب ، وينقل كلام ابن قتيبة في الرد على من ذهب إلى أن المحاز كذب ، ثم يؤكّد أن المحاز أبلغ من الحقيقة ، ويحدد مفهومه عند البالغين : وهو أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب . وينشد من أمثلة قول الشاعر :

إذا سقط السماء بـأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

وقوله عز وجل : **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾** ، وقولهم : عين ساهرة ، وبهذا يتضح لك أن القبروانى لم يفرق بين أنواع المحاز فهو يطلقه على المحاز المرسل والمحاز العقلى ، ومحاز الحذف والاستعارة كما يدخل فيه بعض أمثلة التشبيه والكلنائية .

ويعتقد فصلا للاستعارة ، فيبين أنها أفضل أنواع المحاز وأول أبواب البديع ، وليس في حل الشعر أعجب منها إذا وقعت موقعها ، ويعرض شواهد عديدة لصور من الاستعارة التصريحية والمكتنوية دون أن يفرق بينهما ...

من ذلك قول ليبد :

وغداة ريح قد كففت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وقول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى الععود والنوى

وساق الثريا فى ملائته الفجر

ثم ذكر أن جلة العلماء يستحسنون الاستعارة القرية ويستهجنون الاستعارة البعيدة ، واختيار هو من الاستعارات أو سلطتها بـالـأـلـأـتـه تكون بعيدة جداً ولا قرية جداً . ثم يسوق أمثلة للاستعارة الحسنة والأخرى القبيحة . وهكذا يستمر ابن رشيق في عرض فنون البديع ، فيتحدث عن التمثيل ويجعله من ضروب الاستعارة ، وعن المثل السائر فيشير إلى كثرته في كلام العرب شرعاً ونثراً ، وعن التشبيه ، فيعرفه ويبيّن أنه هو والاستعارة

يخرجان الأغمض إلى الأوضح ، ويقربان البعيد ، ويعرض لما قاله الرمانى وقدامة وغيرهما، وقد أفض فى عرض الشواهد والأمثلة وتحليلها ، ويشير إلى طائفة من التشبيهات البعيدة فيسمىها بالتشبيهات العقى . ويتحدث عن الإشارة فيدخل فيها الإيماء واللغز والرمز والتعریض والكناية والتلویح واللحن ، وعن التجنیس فيذكر أقسامه عند القاضى الجرجانى ، مضیقاً إليها أقساماً جديدة وعن المطابقة والمقابلة والتقسيم والالتفات والاستطراد والاستثناء والبالغة والغلو ، إلى غير ذلك مما عرضه من فنون جمعها من كتب السابقين ، كما كانت له إضافات أهمها :-

الاطراد : وهو أن تطرد الأسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ فإنها إذا أطردت دلت على قوة طبع الشاعر كقول الأعشى :

أقیس بن مسعود بن قیس بن خالد

وأنت امرؤ ترجم شبابك وائل

ونفى الشیء بإيجابه : كقول زهير:

بأرض خلاء لا يُسد وصيدها على ومعرفى بها غير منكر

فأثبتت لها في اللفظ وصيدا ، وإنما أراد : ليس لها وصيدها على... ومثله قولهم : " سرت على طريق لا يهتدى عماره " ، يريدون : لا منار ولا اهتداء.

والاتساع : وهو أن يكون في البيت من الامتداد في معناه ما يجعله يؤول تأويلات مختلفة ، فكلما تأمل فيه ناقد أو شارح استبط منه معنى جديداً.

والتبني: وهو أن يريد الشاعر ذكر الشیء فيتتجاوزه ويذکر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة ، وقد ساق له أمثلة ترجع جميعها إلى الكناية .

والاشراك والتغاير : وهما ضربان من ضروب السرقات المستحسنة ، وعلى هذا النحو درس ابن رشيق الصور البدوية في كتابه العمدة ، ولا ترجع أهمية الكتاب إلى ما أضافه من فنون بدوية فحسب ، بل إلى أن مؤلفه قد استوفى قراءة أكثر ما سبق من

مصنفات ، ونص في مواضع كثيرة على المصنفات التي استمد منها ، وقارن بين الآراء المختلفة ، وأشار إلى الاختلاف في ألقاب بعض المصطلحات ، وأكثر من عرض الشواهد وتحليلها وإيضاحها.

كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان "ت ٤٦٦هـ" مؤلف هذا الكتاب هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي وكان معاصرًا لابن رشيق القيرواني ، وعلى الرغم من تلك المعاصرة فإنك تجد تبايناً بينهما في عرض المسائل وطريقة الدراسة ، ولم يشر أحدهما إلى الآخر في مؤلفه ، وربما رجع ذلك إلى بعد الشقة بينهما ، فهذا في المشرق وذلك في المغرب ، وكان ابن سنان شاعرًا ومتآدباً تلمنذ على أبي العلاء المعري ، وكثيراً ما كان ينقل من شعره ويدعوه شيخه ، كما تلمنذ على غيره من العلماء والشعراء .

وقد استعان في كتابه "سر الفصاحة" بمؤلفات كثيرة أبرزها نقد الشعر لقدماء ، والموازنة للأمدى ، والوساطة للجرجاني والنكت للمرمانى ، والبيان والتبيين للحافظ والبديع لابن المعتز ، وغير ذلك ، وكثيراً ما يصرح بأسماء هذه المؤلفات عندما يأخذ منها ؛ وكان متعداً بنفسه واسع الاطلاع ، امتاز بحرية الرأى والمناقشة والبعد عن التقليد ... وقد توفي الخفاجي بقلعة إغراز سنة ٤٦٦هـ وترك ديوان شعر، وهذا الكتاب "سر الفصاحة" الذي نحن بصدده الحديث عنه .

#### ما الغاية من تأليف الكتاب؟

قصد ابن سنان من تأليفه هذا الكتاب إلى توضيح حقيقة الفصاحة والكشف عن سرها ، ولذا يقول في مقدمته . " أما بعد فإني لما رأيت الناس مختلفين في ما هي الفصاحة وحقيقةتها أودعت كتابي هذا طرفاً من شأنها ، وجملة من بيانها ، وقربت ذلك على الناظر ، وأوضحته للمتأمل ، ولم أمل بالاختصار إلى الإخلال ولا مع الإسهاب إلى الإملال ..<sup>(١)</sup> ، فهو يرمي إلى تحلية الفصاحة والكشف عن أسرارها ، ومن هنا تدرك

. ١٣ سر الفصاحة

مدى الصلة بينه وبين المعتزلة ، فهو أولاً يتجه إلى تفسير الفصاحة وما يطوى فيها من فنون بدئية ، وقد مر بك أن أبا هاشم الجبائى وأضرابه من المعتزلة ، يردون إلى الفصاحة وجوه التفاضل فى القول ، ويرجعون إليها المزية . وهو ثانياً من يقولون بالصرف ، وقد صرخ بذلك فى أكثر من موضع ، انظر إلى قوله " وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن هو صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التى بها كانوا يتمكنون من المعارضة فى وقت مرامهم ذلك " <sup>(١)</sup> ، قوله : " الصحيح أن وجه الإعجاز فى القرآن هو صرف العرب عن معارضته وأن فصاحته قد كان فى مقدورهم لو لا الصرف ، وهذا هو المذهب الذى يعول عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم وقد سطر عليه من الأدلة ما ليس هذا موضع ذكره " <sup>(٢)</sup> .. وقد مضى يتحدث عن الفصاحة ، فذكر نبذاً من أحكام الأصوات ومخارج الحروف وتاليفها ، وكيف نشأت اللغة ، أتوقيف هى أم تواضع ؟ ، وبين أن فى كلام العرب مهملاً ومستعملاً، وقد أفضى فى كل ذلك مما جعله هدفاً لنقد النقاد كابن الأثير وغيره ...

تم تحدث بعد ذلك عن فصاحة الكلمة المفردة ، فبدأ ببيان الفرق بين الفصاحة والبلاغة ، جاعلاً الفصاحة خاصة بالألفاظ والبلاغة عامة في الألفاظ والمعانى ، فكل بلية فصيح وليس كل فصيح بلينا ، وقد شاع ذلك عند المتأخرین ، ويعترض البلاغة تعريفات متعددة ، استمدتها من أقوال السابقين وبخاصة من البيان والتبيين للجاحظ ... ثم يرجع فصاحة الكلمة إلى ثمانية أمور :

- ١- أن تؤلف من حروف متباينة المخارج حتى لا تنقل على اللسان.
- ٢- أن تحسن في السمع ويكون لها مزية على غيرها.
- ٣- أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية .

(١) سر الفصاحة ٩٣ .

(٢) سر الفصاحة ٢١٤ .

٤- أن تكون غير ساقطة عامية .

٥- أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح في التصريف والاستعمال.

٦- ألا تكون قد هجر معناها اللغوي القديم وأصبحت تدل على شيء آخر يكره

ذكره ككلمة "الدلو" في قول أبي تمام :

متفجر نادمه فكأنى للدلو أو للمرزمين نديم<sup>(١)</sup>

٧- أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف ، ككلمة "معنطيسهن" في قول ابن

نباته :

فإياكم أن تكشفوا عن رءوسكم إلا إن معنطيسهن الذوائب

٨- أن تكون مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفيف أو قليل أو

ما يجري بجري ذلك ...

وهذه الشروط قد استقاها من كلام السابقين وبخاصة الجاحظ الذي تحدث عن التنافر ورجعه إلى شدة قرب المخارج أو شدة بعدها وشبهه بمشي المقيد والطفر ، وقد أفاد متأندو البلاغيين من هذه الأمور ووضعوها شرطاً ينبغي توفرها حتى تكون الكلمة فصيحة ... ويتنقل الخفاجي من فصاحة الكلمة إلى فصاحة الكلام، فيذكر أنه لابد لفصاحته من فصاحة مفرداته ثم يناقش الرمانى في تقسيمه الكلام إلى متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا ، فيذكر أن هذا فاسد وأن الصواب جعل الكلام قسمين اثنين : متنافر ومتلائم ، ويكرر هنا قوله بالصرف فيذكر أن في كلام العرب متلائماً كالقرآن وأن الإعجاز الحقيقى يرجع إلى صرف الله عز وجل لهم عن معارضته ، ثم يذكر لفصاحة الكلام بالإضافة لتوفير فصاحة مفرداته الأمور الآتية :

(١) فالدلو في البيت المراد به أحد الأبراج ولا يختار لموافقته اسم الدلو المعروف.. والمرzman : بمحان من نجوم المطر .

١- أن يتجنب في نظمته تكرار الكلمات ذات الحروف المترابطة كما في قول

المتنبي :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه

ولاضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

٢- أن يكون التأليف جاريا على قواعد النحو ، لأنه لا يرتضى اختيار الكلام

العربي والشهادة بمحسن ، وهو يخالف ما نطقت به العرب وتواضع عليه .

٣- ألا يتكرر التصغير والنداء والعطف والتوكيد ونحو ذلك من الظواهر الأسلوبية ، لأن الإسهاب في إيرادها معدود في جملة التكرار المعيب ، فينبغي التوسط فيها ، فإن لكل شيء حداً ومقداراً لا يحسن تجاوزه ولا يحمد تعديه .

٤- ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير يؤدي إلى اللبس وفساد المعنى ، ولا يخفى عليك مدى إفادته متأنرى البلاغيين من حديث الخفاجي في وضع الشروط التي ينبغي توافرها لفصاحة الكلام .

ويضى ابن سنان في الحديث عن تأليف الكلام أو نظمته فيتحدث عما يختص بالتأليف من الأصول والمقومات . وعن المناسبة بين الألفاظ إما من طريق الصنعة وإما عن طريق المعنى . ثم يتحدث عن المعانى المفردة ، وينتقل منها إلى آراء النقاد في الشعر وفي القدماء والمخذلين ، ويعرض في أثناء ذلك لمسائل بلاغية أهمها ما يلى :

١- حسن الاستعارة : فصل القول في الاستعارة ونقل عن الرمانى وناقش الآمدى وصاحب الوساطة والصولى في تخليلاتهم لكثير من الاستعارات ، وبين أن الحقيقة أصل وأن الاستعارة فرع عنها ، وفرق بين الاستعارة والتشبيه ، وتحدث عن قرب الاستعارة وبعدها ، وعن أسباب البعد ، وقد ساق أمثلة وشواهد كثيرة تكشف عن وجوه الحسن في الاستعارة ، ثم ساق أمثلة أخرى تكشف عن ردتها المسترذل متأثراً في ذلك بما صنعه ابن المعتر وقدماء والعسكري وابن رشيق وغيرهم .

٢- الحشو : ذكر أن من وضع الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشوًا ، ثم حدد مفهومه ، ونوعه إلى مفيد وغير مفيد ، وأدخل في المفید : الإيغال والتسیم والاعتراض ، ووشح ذلك بالأمثلة وال Shawahed ، وقد استفاد البلاغيون المتأخرین من تنویعه الحشو إلى مفید وغير مفید ، فجعلوا الحشو قسمین : حشوًا يفسد المعنى و حشوًا لا يفسد .

٣- المعاظلة : يذكر أن من الوضع الصحيح للألفاظ ألا يكون فيها معاظلة وهى تراكب الكلام وتداخل بعضه فى بعض ، ثم يشير إلى خطأ قدامة فى فهم معناها ، وتبين الآمدى لخطئه وفي أثناء ذلك يعرض لما عرف باسم التوشیح أو التسہیم .

٤- حسن الکنایة : جعلها من وضع الألفاظ موضعها فقال : " ومن هذا الجنس حسن الکنایة عما يجب أن يكنى عنه فى الوضع الذى لا يحسن فيه التصریح ، وذلك أصل من أصول الفصاحة ، وشرط من شروط البلاغة<sup>(١)</sup>" . وقد ساق لها الأمثلة وال Shawahed العديدة وهكذا يستمر الخفاجى فى عرض مسائل البلاغة فيتحدث عن السجع والازدواج والترصیع والجنس والطبقان والإيجاز وحذف فضول الكلام والتمثیل وصحة التقسيم وحسن التشبيه ، وصحة المقابلة وحسن التخلص والبالغة فى المعنى والغلو وصحة التفسیر ، والاستدلال بالتعلیل ، ورد الأعجاز على الصدور وعما عرف باسم اللف والنشر وقد سماه : " الترتیب " وعن اللغز فى الكلام والإراف والتسبیح . وفي كل ذلك يشرح ويحلل ويناقش السابقین ويعرض إلى خلافاتهم فى بعض المصطلحات ويرجح ما يراه أولى بالترجیح ، ويعرض الكثير من الشواهد والأمثلة .

وبهذا نرى أن كتاب " سر الفصاحة " إذا ما نحننا عنه رأى الخفاجى من القول بالصرف ، وما يتبعه من القول بأن الآيات القرآنية بعضها أفصح من بعض ، إذا ما نحنى عنه هذا وأمثاله ، فإنه يعد من المراجع البلاغية المهمة مناقشة وتحليلًا وجمعًا لأقوال

---

(١) سر الفصاحة ١٥٦ .

السابقين وعرضًا للشوahد والأمثلة وإضافة لما ينبغي إضافته من شرح وإيضاح وتبيين  
وترجيع .

### عبد القاهر الجرجاني " ت ٤٧١ هـ " هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

الجرجاني ، ولد بجرجان إحدى المدن المشهورة بين خراسان وطيرستان ، فانتسب إليها  
وظل بها لم يفارقها حتى توفي بها سنة ٤٧١ هـ ، وكان فقيها شافعياً ومتكلماً أشعرياً،  
وقد درس النحو على أبي الحسن محمد بن الحسن الفارسي ، ابن أخت أبي على  
الفارسي ، وكان يعد إمام النحاة بعده ، وله مؤلفات عديدة منها : العوامل المائة في  
النحو ، والشافية في إعجاز القرآن ، ولكنه اشتهر بكتابيه : " أسرار البلاغة " و "  
دلائل الإعجاز " ، فقد استطاع عبد القاهر أن يفيد من المؤلفات السابقة وأن يبرز في  
هذين الكتابين مسائل البلاغة بالشرح والتحليل والإكثار من الشواهد والأمثلة ،  
وأول ما نلاحظه أن كتاب " أسرار البلاغة " قد تضمن مسائل البيان وبعض فنون  
البديع وأن كتاب " دلائل الإعجاز " قد تناول مسائل المعانى ، وهذا لا يعني أن عبد القاهر  
قد قسم علوم البلاغة ، إن تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة : معانٌ وبيانٌ وبديع ، لم يتم  
إلا في عهد السكاكي ، أما عبد القاهر وسابقوه ، فقد كانت البلاغة عندهم علمًا  
واحداً يتناول مسائل البديع وفنونه ، وارجع إلى الكتابين فستجد كلمة البيان ترد  
مقرونة بكلمة الفصاحة والبلاغة ، والبديع ، وستجده يورد الاستعارة والتثنية والمجاز في  
" دلائل الإعجاز " ميرزاً أثراهما في النظم والصياغة وبناء الجمل وأغلب الظن أن عبد  
القاهر قد ألف كتابة : " دلائل الإعجاز " بعد تأليفه " أسرار البلاغة " إذ كثيراً ما يعد في  
الأسرار باستيفاء موضوعات ، فإذا فتش عنها لتحقق ذلك الوعود وجدتها في الدلائل <sup>(١)</sup>.

فتعالوا ننظر في هذه الكتابين لنرى مدى إفادته عبد القاهر من سابقيه ، وكيف  
أبرز مسائل البلاغة بالشرح والتحليل والإكثار من الشواهد والبحث على تأملها وتذوقها.

(١) انظر الصيغ البديعى . ٢٣٥

بدأ عبد القاهر كتابه : " دلائل الإعجاز " بالحديث عن نظرية النظم مفيداً من كتابات الجاحظ ، ومن حديث القاضي عبد الجبار ، فذكر أن الناظم يبدأ فيرتب المعانى فى نفسه ويذلل جهداً فى ترتيبها ثم يعمد إلى الألفاظ التى يعبر بها عن تلك المعانى ، فيرتتبها وفق ترتيب المعانى فى نفسه .

يقول عبد القاهر : " وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي فى نظمها آثار المعانى وترتباها على حسب ترتيب المعانى فى النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذى معناه ضم الشئ إلى الشئ كيف جاء واتفق <sup>(١)</sup> ، وقد عقد قبل ذلك فصولاً تحدث فيها عن الشعر وروايته وحفظه ، ورد على من زهد فيه ، وتحدث عن النحو وعن مدى الحاجة إليه ، ثم تحدث عن الفصاحة والبلاغة ، فيبين أن السبيل إلى معرفتهما هو معرفة النظم وأسراره ، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها فى التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التى بها يكون الكلام إخباراً أو أمراً أو نهياً أو استخباراً أو تعجباً ، وتنوى في الجملة معنى من المعانى التى لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظه على لفظة <sup>(٢)</sup> ، أى أن على الناظم بعد أن يرتب المعانى فى نفسه أن ينتقى ويتخير الكلمات التى يعبر بها عنها ، وأن يحسن ضم بعضها إلى بعض على وفق المعانى القائمة فى نفسه .

ويستمر عبد القاهر فى إبراز مزايا النظم ، وتقرير أنه مرجع الفصاحة فيقول : " وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها .

من النظم وحسن ملائمة معناها لمعانى جاراتها وفضل موانتها لأخواتها ؟ وهل قالوا : لفظة متمكنة ومقبولة ، وفي خلافه : قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن

(١) دلائل الإعجاز . ٩٣

(٢) انظر الدلائل . ٨٧

يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتألية في مؤداتها <sup>(١)</sup> .

ثم يتبع ذلك بسبيل من الشواهد فيبدأ بقوله عز وجل : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكَ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَ غِيْضَ المَاءِ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوْتَ عَلَى الْجُودِي وَ قِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ويرز عبد القاهر ما في الآية الكريمة من إعجاز مبيناً أن مرده إلى النظم فيقول : "هل تشک إذا فكرت في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ .. الْآيَة﴾ فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها بعض ، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ؟ وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها ، وأن الفضل تنتائج ما بينها وحصل من جموعها ، إن شكت فتأمل ، هل ترى لفظة منها بحيث لو أحذت من بين أحواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي مكانها من الآية ؟ قل ﴿ابْلَعِي﴾ واعتبرها وحدتها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ، وكذا فاعتبرسائر ما يليها ، وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديث الأرض ثم في أن كان النداء "بيا" دون "أى" نحو : يأتيها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال : ابلغي الماء ، ثم أن أتبع نداء الررض وأمرها بما هو شأنها ، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل : "وغيض الماء" فجاء الفعل على صيغة " فعل " الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر ، وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم ذكر ما فائدة هذه الأمور وهو : ﴿إِسْتَوْتَ عَلَى الْجُودِي﴾ ، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم مقابلة : ﴿قِيل﴾ في الخاتمة ﴿بِقِيل﴾ في الخاتمة ، أفترى شيء من هذه الخصائص التي تملئك بالإعجاز روعة ، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط

. ٨٨ الدلائل (١)

(٢) سورة هود آية ٤٤

بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق  
أم كل ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب؟ .. (١).  
وما يشهد لذلك إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك فى موضع ، ثم تراها بعينها  
تقل عليك وتحشك فى موضع آخر . كلفظ " الأخندع " فى بيت الحماسة :  
تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا  
وبيت البحترى :  
وإنى وإن بلقتنى شرف الغنى وأعتقدت من رق المطامع أخدعى  
فإن لها فى هذين المكانين ملا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها فى بيت أبى قتام:  
يادهر قوم من أخدعيك فقد أضجحت هذا الأنام من خرقك  
فتتجد لها من الشغل على النفس ومن التتفيص والتکدير أضعاف ما تجد لها هناك  
من الخفة والإيناس . وانظر إلى كلمة " شىء " فى قول عمر بن أبى ربيعة :  
ومن مالئ عينيه من شىء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى  
وقول أبى حية التميرى :

إذا ما تقاضى المرء يوم ليلة  
تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا  
فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول . ثم انظر إليها في بيت المتنبي :  
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه      لعقة شيء عن الدوران  
فإنك تراها تنقل وتكره بمقدار ما حسنت هناك وخفت (٢) ...  
ويستمر عبد القاهر في عرض الشواهد ميرزاً أن المعول عليه في رجوع المزية هو  
التلاؤم اللفظي واستقرار الكلمات حتى لا يتلاقى في النطق حروف تنقل على اللسان  
كالذى أنشده الجاحظ من قول الشاعر :  
وقبر حرب بمكان قفر      وليس قرب قبر حرب قبر

(١) دلائل الإعجاز . ٩

(١) ارجع إلى الدلائل ص ٩٠ - ٩٢

ويعرض بعد ذلك للمجاز والاستعارة والتشبيه والتمثيل ، فيذكر أن لها فضلاً ومزبة ويكشف عن ذلك ويجليه أتم تجليه . ثم يبين أن المزية والحسن والفصاحة والرونق لا يرجع إلى ذات هذه الفنون ، بل إلى نظمها الذي سيقت فيه ، يقول : " ترى المزية أبداً في ذلك تقع في طريق إثبات المعنى نفسه " ، فإذا سمعتهم يقولون : إن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعانى نبلاً وفضلاً ، وتوجب لها شرفاً ، وأن تفخمها في نفوس السامعين وترفع أقدارها عند المخاطبين . فإنهم لا يريدون الشجاعة والقرى وأشباه ذلك من معانى الكلم المفردة ، وإنما يعنون إثبات معانى هذه الكلم لمن ثبت له ويخبر بها عنه . هذا ما ينبغي للعامل أن يجعله على ذكر منه أبداً ، وأن يعلم أن ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة ، والفصاحة مع معانى الكلم المفردة شغل . ولا هي منا بسبيل ، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب <sup>(١)</sup> . وإذا كانت المزية لا ترجع إلى الألفاظ المجردة ، ولا إلى المعانى اللغوية للكلمات ، فإلى أي شيء ترجع ؟ إنها ترجع إلى النظم الذى يعرفه عبد القاهر بقوله : " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف منهاجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخيل بشيء منها " <sup>(٢)</sup> .

ثم يشرح مراده بعلم النحو وما يقتضيه فيقول : " وذلك أنا لا نعلم شيئاً يتغيره الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروعه ، فينظر فى الخبر إلى الوجوه التى تراها فى قولك : زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق ، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التى تراها فى قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجت خرجت وإن تخرج فأنا خارج وأنا خارج إن خرجت وأنا إن خرجت خارج ، وفي الحال إلى الوجوه التى تراها فى قولك : جاءنى

(١) الدلائل ١١٧ .

(٢) الدلائل ١١٠ .

زيد مسرعاً وجاءنى يسرع وجاءنى وهو يسرع أو وهو مسرع وجاءنى قد أسرع وجاءنى وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويحيى به حيث ينبغي له ، وينظر فى الحروف التى تشتراك فى معنى ثم يتفرد كل واحد منها بخاصية فى ذلك المعنى فيضع كلاماً من ذلك فى خاص معناه ، نحو أن يحيى بما فى نفى الحال ، وبلا إذا أراد نفى الاستقبال ؛ وبيان فيما يتوجه بين أن يكون أو لا يكون وبإذا فيما علم أنه كائن ، وينظر فى الجمل التى تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من ثم ، وموضع أو من موضع أم وموضع لكن من موضع بل ، ويتصرف فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، فى الكلام كله وفي الهدف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيضع كلاماً من ذلك فى مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له<sup>(١)</sup> .

فعبد القاهر يريد بعلم النحو وقوانينه : العلاقات بين المفردات والجمل وما يمكن وراء التعبيرات من دقائق وأسرار ، ويحيى الأبنية والصيغ على وفق ترتيب المعانى فى النفس ثمأخذ يوضح ذلك بالشواهد والأمثلة، فبدأ بالنظم الفاسد من نحو قول الفرزدق :

أبو أمه حى أبوه يقاربه  
وما مثله فى الناس إلا ملكا  
وقول المتibi :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها  
من أنها عمل السيف عوامل  
وقول أبي تمام :

ثانية فى كبد السماء ولم يكن  
وكاثنين ثان إذ هما فى الغار  
وذكر أن فساده راجع إلى سوء نظمه وتاليفه ، وما صنع فيه من تقديم أو تأخير  
أو حذف أو إضمار لايسوغ ولا يصح على أصول علم النحو ، فأدى إلى التعقيد واللبس .  
وأتبع ذلك بشواهد من النظم الجيد من نحو قول البحترى :

---

(٢) الدلالات .

فما إن رأينا لفتح ضربنا	بلونا ضرائب من قد نرى
عزمًا وشيكًا ورأيًا صليبيًا	هو الماء أبدت له الحادثات
سماحاً مرجى وبأسا مهيبا	تنقل في خلقى سؤدد
وكالبحر إن جنته صارخاً	فكالسيف إن مستشياً

فيذكر أن سبب حسته وبهائه ورونقه وجماله ، ليس إلا أنه قد م وأنحر وعرف  
ونكر وحذف وأضمر وأعاد وكرر وتوجه على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيهـا  
علم النحو ، فأصابـ فى ذلك كله ، ثم لطف موضع صوابـه ... ويتـسائل عبد القاهر :  
"أـفلا تـرى أنـ أولـ شـيءـ يـروـقـكـ مـنـهـاـ قـوـلـهـ : "ـ هوـ المـاءـ أـبـدـتـ لـهـ الحـادـثـاتـ "ـ ثـمـ قـوـلـهـ :  
"ـ تـنـقـلـ فـيـ خـلـقـىـ سـؤـدـدـ "ـ بـتـنـكـيرـ السـؤـدـدـ وـإـضـافـةـ الـخـلـقـينـ إـلـيـهـ ،ـ ثـمـ قـوـلـهـ : "ـ فـكـالـسـيـفـ"  
وـعـطـفـهـ بـالـفـاءـ مـعـ حـذـفـهـ الـمـبـدـأـ ،ـ لـأـنـ الـمـعـنـىـ لـامـحـالـةـ هـوـ كـالـسـيـفـ .ـ ثـمـ تـكـرـيرـهـ الـكـافـ فـىـ  
قوـلـهـ : "ـ وـكـالـبـحـرـ "ـ .ـ ثـمـ قـرـنـ إـلـىـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ التـشـبـيـهـينـ شـرـطاـ جـواـبـهـ فـيـهـ .ـ ثـمـ أـخـرـجـ  
مـنـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ الشـرـطـيـنـ حـالـاـ عـلـىـ مـثـالـ مـاـ أـخـرـجـ مـنـ الـآـخـرـ ،ـ وـذـلـكـ قـوـلـهـ : "ـ صـارـخـاـ"  
هـنـاكـ وـ "ـ مـسـتـشـيـاـ "ـ هـنـاـ .ـ

وقول إبراهيم بن العباس :

ولـكـنـ مـقـادـيرـ جـرـتـ وـأـمـورـ	فـلـوـ إـذـ نـبـاـ دـهـرـ وـأـنـكـ صـاحـبـ
لـأـفـضـلـ مـاـ يـرجـيـ أـخـ وـوـزـيرـ	تـكـوـنـ عـنـ الـأـهـواـزـ دـارـىـ بـنـجـوـةـ

فـإـنـكـ لـوـ تـفـقـدـتـ سـبـبـ الرـونـقـ وـالـطـلـاوـةـ وـالـحـلـاوـةـ فـسـتـجـدـهـ إـنـاـ كـانـ مـنـ  
أـحـلـ تـقـديـمـهـ الـظـرفـ الذـىـ هـوـ "ـ إـذـ نـبـاـ "ـ عـلـىـ عـاـمـلـهـ الذـىـ هـوـ "ـ تـكـوـنـ "ـ وـأـنـ لـمـ يـقـلـ : "ـ فـلـوـ  
تـكـوـنـ عـنـ الـأـهـواـزـ دـارـىـ بـنـجـوـةـ إـذـ نـبـاـ دـهـرـ "ـ .ـ ثـمـ قـالـ : "ـ تـكـوـنـ "ـ وـلـمـ يـقـلـ "ـ كـانـ "ـ ثـمـ أـنـ  
نـكـرـ الـدـهـرـ وـلـمـ يـقـلـ "ـ فـلـوـ إـذـ نـبـاـ الدـهـرـ "ـ ثـمـ أـنـ سـاقـ هـذـاـ التـنـكـيرـ فـيـ جـمـيعـ مـاـ أـتـىـ بـهـ مـنـ  
بـعـدـ .ـ ثـمـ أـنـ قـالـ : "ـ وـأـنـكـ صـاحـبـ "ـ ،ـ وـلـمـ يـقـلـ : "ـ وـأـنـكـرـ صـاحـباـ "ـ .ـ

ويستمر عبد القاهر في عرض الشواهد وابراز ما فيها من حسن وجمال مردهما  
 إلى النظم ، وفي أثناء ذلك يتحدث عرضا عن فنون بلاغية كالزاوجة في قول البحتري :  
 أصاحت إلى الواشى فلنج بها الهرج  
 إذا مانهى الناهى فلنج بي الهوى  
 وقوله :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها  
 وكالتشبيه في قول كثير :

تخليت مما بيننا وتكللت  
 وإنى وتهيامي بعزة بعدهما  
 تبؤ منها للمقيل اضمحلت  
 لكان المرتجى ظل العمامة كلما  
 وقول أمرىء القيس :

لدى وكرها العناب والخشف البالى  
 كأن قلوب الطير رطبا وياسا  
 وقول الفرزدق :

ليلا يصبح بمحانيه نهار  
 والشيب ينهض في الشباب كأنه  
 وقول بشار :

وأسيافنا ليل تهادى كواكب  
 كأن مشار النقع فوق رعوسنا  
 وقول زياد الأعجم :

لکالبحر مهمما تلق فى البحر يغرق  
 وإنما وما تلقى لنا إن هجوتنا  
 وكالتقسيم يصاحب الجم في قول حسان :

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم  
 إن الخلاق فا علم شرها البدع  
 سجية تلك فيهم غير مدثة  
 وكالاستعارة في قوله تعالى : **وَاشتعل الرأس شبياً**<sup>(١)</sup> ، وفي قول بن المعتز :  
 أنصاره بوجوه كالدنانير  
 سالت عليه شعاب الحى حين دعا

---

(١) الدلائل . ٨٨

إلى غير ذلك من شواهد ، فقد حللها وأبرز ما فيها من حسن وجمال منها إلى أن ذلك الحسن قد تم عن طريق النظم ، انظر إلى قوله معلقاً على بيت ابن المعز السابق ذكره .

" فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى ، بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وبتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها ، وإن شككت فاعمد إلى الجار والجرور والظرف ، فأزل كل منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، فقل : سالت شغل الحى بوجهه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره ثم انظر كيف يكون وكيف يذهب الحسن والخلاوة وكيف ت عدم أريحتك التي كانت ، وكيف تذهب النسوة التي كنت تجدها <sup>(١)</sup> ."

وما ينبغي التنبيه له أن عبد القاهر قد جعل لمعانى التشبيه والاستعارة والتمثيل والكتابية وغيرها من فنون البلاغة حسناً ومزية ، وأن حسنهـا ومزيتهاـا وجمالهاـا ورونقهاـا إنما يتم بالنظم . كما أنه لم يهمل التنبيه إلى ما للألفاظ وحذافة حروفها وسلامتهاـا مما يشقـل على اللسان من حسن يوجب لها الفضيلة والمزية ، ولكن الذى أنكره وكرر إنكاره فى مواضع كثيرة من كتابه ، أن يكون لهذه المعانى وما يثبت لها من حسن أو لتلك الألفاظ وما وجب لها من مزية ، أساس فى تحقيق الإعجاز ، ومهما يكن من أمر فإن الإعجاز يتأكد بمثل هذه الأمور ، ولا يكون بها وحدها ... ويوضح لك ذلك من أقواله : " وجملة الأمر أن ه هنا كلاماً حسنهـا للفظ دون النظم ، وآخر حسنهـا للنظم دون اللـفـظ وثالثاً قـرـىـ الحـسـنـ منـ الجـهـتـينـ ووجـبـتـ لهـ المـزـيـةـ بـكـلاـ الـأـمـرـيـنـ وـالـإـشـكـالـ فـيـ هـذـاـ الثـالـثـ وـهـوـ الذـىـ لاـ تـزالـ تـرىـ الغـلطـ قـدـ عـارـضـكـ فـيـهـ ، وـتـرـاكـ قـدـ حـفـتـ فـيـهـ عـلـىـ النـظـمـ فـزـكـتـهـ ، وـطـمـحـتـ بـيـصـرـكـ إـلـىـ الـلـفـظـ ، وـقـدـرـتـ فـيـ حـسـنـ كـانـ بـهـ وـبـالـلـفـظـ أـنـ لـفـظـ خـاصـةـ ، وـهـذـاـ هوـ الذـىـ أـرـدـتـ حـيـنـ قـلـتـ لـكـ : إـنـ فـيـ الـاسـتـعـارـةـ مـاـ لـاـ يـمـكـنـ بـيـانـهـ إـلـىـ مـنـ بـعـدـ الـعـلـمـ بـالـنـظـمـ وـالـوـقـوفـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـ ... اـعـلـمـ أـنـ الـكـلـامـ الـفـصـيـحـ يـنـقـسـمـ قـسـمـيـنـ: قـسـمـ يـعـزـىـ ذـلـكـ

---

(١) الدلائل ٨٨ .

فيه إلى النظم ، وقسم تعزى المزية والحسن فيه إلى **اللفظ** ، فالقسم الأول : الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الإستعارة وكل ما كان فيه على الجملة بمحاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية ... واعلم أنا لأنابي أن تكون حداقة الحروف وسلامتها ما يشق على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكده أمر الإعجاز ، وإنما الذي ننكره ونفينا رأى من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده ويجعله الأصل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من الشنائعات ، ثم إن العجب كل العجب من يجعل كل الفضيلة في شيء هو إذا انفرد لم يجب به فضل البنية ، ولم يدخل في اعتداد الحال ، وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه لا يكون سهولة الألفاظ وسلامتها مما يشق على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألف منها كلام ثم كان ذلك الكلام صحيحاً في نظمه والغرض الذي أريد به ، ولأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها و يؤلف منها كلاماً ، لم تر عاقلاً يعتد السهولة فيه فضيلة ، لأن الألفاظ لاتراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعانى . فإذا عدمت الذي له تراد أو اختل أمرها فيه لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها ، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحداً<sup>(١)</sup> .

وقد مر بك رأى الباقلانى فى أن الفنون البلاغية لا تعد معجزة إلا إذا نظر لها من خلال النظم . كما مر بك حديث المحافظ عن اللفظ والمعنى ، وقد أوضحتنا هناك أنه لا يعتد باللفظ المجرد ولا بالمعانى اللغوية والمعانى العامة ، وإنما يعتد بالصياغة وجسودة السبك ، وحسن النظم كما مر بك أيضاً حديث القاضى عبد الجبار عن النظم وتفسيره له ، وحديث ابن رشيق عن تلازم اللفظ والمعنى ووجوب الحسن لأحدهما إذا ثبت للآخر ، وقد أفاد عبد القاهر من حديثهم واستطاع أن يبرز هذه النظرية ، وحسبه أنه هو الذى شرح وحل واستشهد وفصل وأعاد وكرر حتى رسخت نظرية النظم وقررت فى أذهان الدارسين .. وقد عقد فصولاً عدة شرح فيها الأسس التى تبني عليها نظرية

(١) ارجع إلى الدلائل ص ١٣٢ ، ص ٣٨٩ ، ص ٤٥٥

النظم . بدأها بفصل تحدث فيه عن التقديم وأثره في المعنى فأنكر أن يفسر التقديم بالتوسيعة على الشاعر والناثر، أو يعلل بالعناية والاهتمام بالمقدم دون إبراز مغزى هذا الاهتمام ونلوك العناية . ثم تحدث عن أثر التقديم بعد همزة الاستفهام ، والنفي والخبر المثبت ، وتقديم النكارة ومثل وغيره وألفاظ العموم ، فذكر أن المستفهم عنه يتحتم إيلاؤه همزة الاستفهام ، - عندما تكون للتصور - فيقال في السؤال عن الفاعل : أأنت ؟ وعن الفعل : أفعلت وعن المفعول : أزيد أكرمت وعن الظرف : أفي الدار زيد ؟ ، وينبغي على البليغ أن يراعي هذا وألا يبني عباراته وجمله بناء متناقضاً ، فمن الخطأ أن يقول : أأنت فعلت أم لم تفعل ؟ أفعلت هذا أم زيد ؟ أزيد أكرمت أم أهنت ؟ أفي الدار زيد أم عمرو ؟ وقد مر بك تجويف سيبويه واستحسانه ل نحو قوله : أعندهك زيد أم عمرو ؟ وعرفت كيف توفق بين الرأيين .

وأما التقديم بعد النفي فذكر عبد القاهر، أن قوله : " ما فعلت " ، يفيد شيئاً واحداً وهو نفي الفعل عنك ، أما قوله : " ما أنا فعلت " فيفيد ثلاثة أمور : نفي الفعل عنك .. إثبات نفس الفعل الذي نفي عنك .. وجود فاعل آخر فعل هذا الفعل ، ولذا كان من الخطأ أن تقول : ما أنا فعلت هذا ولا أحد من الناس . ما أنا فعلت شيئاً . ما أن أكرمت إلا زيداً .. وتقديم المفعول أو الظرف مثل تقديم المسند إليه يفيد الإختصاص المذكور ، ولذا لا يقال : ما زيداً أكرمت ولا أهنت .. ما زيداً أكرمت بل أهنت ما بها هذا أمرتك ولا غيره . وأما التقديم في الإثبات نحو : " أنا فعلت وهم فعلوا " فيفيد إما التأكيد وتقوية الحكم وإما الاختصاص بحسب السياق وما تقتضيه قرائن الأحوال وتقديم النكارة في ذلك كتقديم المعرفة .. وأما مثل وغير فإذا أريد بهما الكناية عما أضيفتا إليه كان تقديمها كالواجب نحو : مثلك يفعل هذا وغيرى يأكل المعروف سحتاً .. ومثل الأمير يحمل على الأدhem والأشهب ، فإن لم يرد بهما الكناية فقد يفهمها وتتأخيرهما سواء ...

كما في قول الشاعر :

غيري جنى وأنا العاقب فيكم فكانني سباقة المتندم

وقول الآخر :

تشابه دمعي إذ جرى ومد امتي      فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب  
ويتحدث في موضع آخر عن تقديم "كل" وغيرها من ألفاظ العموم فيذكر أنها  
إذا قدمت على النفي كان المعنى على عموم النفي وشموله جميع الأفراد نحو : كل ذلك لم  
يكن ، كله لم أصنع ، وإن وقعت في حيز النفي كان المعنى على نفي البعض دون البعض  
الآخر كقولك : لم يأتني القوم كلهم ، ما كل رأى الفتى يدعوا إلى رشد . ما كل ما  
يتمنى المرء يدركه .. وقد عرض عبد القاهر لذلك الشواهد العديدة وحلل وفصل ،  
ووضح وبين ، وكثيراً ما يحيل على الذوق ويطلب من المخاطب أن يتأمل وينظر وكأنه  
يريد منه أن يصل إلى ما وصل إليه وأن يدرك ما أدركه ويشعر بما شعر هو به من حسن  
وجمال . ويعقد فصلاً للحذف فيقول : " هو باب دقيق المسارك لطيف الملأ عجيب الأمر  
شيبيه بالسحر ". فإنك ترى به ترك الذكر أفعى من الذكر والصمت عن الإفاداة أزيد  
للإفادة وتجده أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ، وهذه جملة قد  
تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر ، وأنا أكتب لك بديعاً أمثلةً مما عرض فيه الحذف ، ثم  
أنبهك على صحة ما أشرت إليه ، وأقيم الحجة من ذلك عليه .. "(١) .

ثم يعرض لحذف المبتدأ فيذكر أنه قد كثر عند ذكر الديار والأطلال كقوله :

اعتداد قلبك من ليلي عوائده      وهاج أهواءك المكتنونة الطلل  
ربع قواه أذاع المعصرات به      وكل حيران سار ماوه خضل  
وكذا عند القطع والاستئناف حيث يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم  
يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من  
غير مبتدأ ، كقوله :

هم حلوا من الشرف المعلى      ومن حسب العشيرة حيث شاءوا

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٠

بناءً مكارم وأسأة كلام دماؤهم من الكلب الشفاء  
 ويشير إشارة إلى حذف الفعل في بيت ذي الرمة :  
 ديار مية إذا مى تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب  
 ويفصل القول في حذف المفعول وما يكمن وراء حذفه من أسرار ودقائق ،  
 وتلك طريقة في البحث والدراسة ، تراه ينقب عن المزايا ويبحث عن الأسرار ويفتش  
 عن الدقائق واللطائف ، تأمل أقواله في التفرقة بين الحذف وتقدير المحنوف ، وكيف أن  
 التقدير يفسد المعنى ويذهب برونق الحذف ويضيع البهجة الكامنة وراءه : "ترى نسبة  
 الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى هذا المبدأ وتباعده عن وهمك وتحتجه ألا يدور في  
 خلدك ولا يعرض خاطرك وتركك كأنك تتوقف توقى الشيء يكره مكانه والشقيق يخشى  
 هجومه .. ترى النفس كيف تتفادى من إظهار المحنوف ، وكيف تأنس إلى إضماره  
 وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به .. تكلف أن ترد ما حذف الشاعر  
 وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه إلى سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن رب  
 حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد ... " <sup>(١)</sup> .

وعلى هذا المنوال استمر عبد القاهر في شرح الأسس التي يقوم عليها النظم ،  
 فتحدث عن الفصل والوصل وعن فروق في الخبر والحال وعن أضرب الخبر والمحاذ العقلية  
 كما تحدث عن الاستعارة وفرق بينها وبين التشبيه البليغ ، وتحدث عن الكناية وعن  
 الجناس والسعف والمزاوجة والتقطيع والجمع . وغير ذلك من ألوان بلاغية ، وهو يقصد  
 من وراء ذلك إلى إيضاح نظرية النظم وإبراز الأسس التي تقوم عليها .. انظر إلى حديثه  
 عن الجناس وأثره في المعنى : وإذا نظرت إلى تجنيس أبي تمام : أمنذهب أم مذهب ،  
 فاستطعته وإلى تجنيس القائل : " حتى بحاجة من جوفه وما بحاجة "   
 وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمنت بما أو دعاني

(١) الدلائل ١٧٤ ، ١٧٥

فاستحسنته ، لم تشك بحال أن ذلك لم يكن لأمر يرجع إلى اللفظ ، ولكن لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني ، وذلك أنك رأيت أنها تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكررة لاتجده لها فائدة - إن وجدت - إلا متكلفة متمحلاة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاهما ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها .. " (١)

وقد استمد السكاكي - وتبعه البلاغيون - مباحث علم المعانى من تلك الأسس التي بنى عليها عبد القاهر نظرية النظم في كتابه : " دلائل الإعجاز " .

أما كتاب "أسرار البلاغة" ، فيتناول فيه التشبيه والتمثيل والاستعارة بصورة مفصلة مبينة ، كما عرض فيه للمجاز العقلى مفرقا بينه وبين المجاز اللغوى ، وقد بدأه بالحديث عن التجنيس والسجع مبرزاً أثراهما في المعنى ومبينا أنهما ليس ب مجرد الزينة والتزويق ، ولم يشر عبد القاهر أى إشارة تدل على أنه يسمى مباحث التمثيل والتشبيه والمجاز "علم البيان" ، بل إنه يطلق على تلك المباحث : "البديع" ، كما صنع سابقه ، إذ يقول : " وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعرض الكلام بهما إلا من جهة المعانى خاصة من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب " (٢) . وأما تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة : المعانى وبيان البديع ، فلم يتم إلا بعد عبد القاهر ، كما ذكرت لك . ويستهل عبد القاهر مباحثه في الكتاب بالحديث عن الجنس والسجع فيقول : " أما التجنيس فإنه لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أتراك استصغرت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهب بمذهب السماحة فالللت  
فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسنت تجنيس القائل : " حتى نجا من جوفه وما نجا " .

قول المحدث :

---

(١) الدلائل ٤٥٧

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٨

ناظراه فيما جنى ناظراه      أو دعاني أمت بما أو دعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت فى الثاني ؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسميك حروفًا مكررة تروم لها فائدة فلا يجدها إلا بجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهنك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها ، فبهذه السريرية صار التجنيس - وخصوصاً المستوفى منه المتفق في الصورة - من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع .. <sup>(١)</sup> ، وقد مر بك هذا القول له في كتابه : " دلائل الإعجاز " . ولا يخفى عليك رجوعه جمال الجناس وحسنـه إلى المعنى ، وما يحدـه في النفس من أثر غير مرتقـب ، وينـي أن يكون الحسن راجعاً إلى اللـفـظ وجـرسـ الـحـرـوفـ فـحسـنـ حـسـنـ ذاتـيـ وليس عـرـضـياـ . ويمـضـيـ عبدـ الـقاـهرـ فيـ الـحـدـيـثـ عنـ الـجـنـاسـ وـالـسـجـعـ فـيـ ذـكـرـ أنـ مـثـلـ هـذـهـ الـفـنـونـ تـسـتـحـسـنـ وـتـحـمـدـ إـذـ جـاءـتـ عـفـوـ الـخـاطـرـ وـبـلـ تـكـلـفـ ،ـ أـمـاـ إـذـ تـكـلـفـ وـقـصـدـتـ فـإـنـهـ تـذـمـ وـلـاتـقـبـ "ـ وـعـلـىـ الـجـمـلـةـ إـنـكـ لـاتـجـدـ تـجـنـيـسـاـ مـقـبـلـاـ وـلـاسـجـعـاـ حـسـنـاـ حـتـىـ يـكـونـ الـمـعـنـىـ هوـ الـذـىـ طـلـيـهـ وـاستـدـعـاهـ ،ـ وـسـاقـ نـحـوـ ،ـ وـحتـىـ تـجـدـهـ ،ـ لـاتـبـغـيـ بـهـ بـدـلاـ وـلـاـ تـجـدـ عـنـهـ حـوـلـاـ ،ـ وـمـنـ هـنـاـ كـانـ أـحـلـىـ تـجـنـيـسـ تـسـمـعـهـ وـأـعـلـاهـ ،ـ وـأـحـقـهـ بـالـحـسـنـ وـأـوـلـاهـ ماـ وـقـعـ مـنـ غـيرـ قـصـدـ مـنـ الـمـتـكـلـمـ إـلـىـ اـجـتـلـابـهـ ،ـ وـتـأـهـبـ لـطـلـبـهـ <sup>(٢)</sup> ..ـ وـإـذـ كـانـ فـيـ الدـلـائـلـ قـدـ ذـكـرـ الـجـنـاسـ التـامـ فـقـطـ وـأـبـرـزـ حـسـنـهـ إـنـاـ نـرـاهـ هـنـاـ فـيـ الـأـسـرـارـ يـمـضـيـ إـلـىـ الـجـنـاسـ غـيرـ التـامـ فـيـ تـحـدـيـتـهاـ الـعـلـةـ فـيـ اـسـتـيـحـابـهـ الـفـضـيـلـةـ وـهـيـ حـسـنـ الـإـفـادـةـ مـعـ أـنـ الـصـورـةـ صـورـةـ التـكـرـيرـ وـالـإـعـادـةـ وـإـنـ كـانـتـ لـاـتـظـهـرـ الـظـهـورـ التـامـ الـذـىـ لـاـيمـكـنـ دـفـعـهـ إـلـاـ فـيـ الـمـسـتـوـفـىـ الـمـتـفـقـ

الـصـورـةـ مـنـهـ .ـ

قولـهـ :

يـحيـيـ لـدـيـ يـحيـيـ بـنـ عـبـدـ اللهـ

ماـ مـاتـ مـنـ كـرـمـ الزـمـانـ إـنـهـ

(١) أسرار البلاغة ص ٢٠

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٠

أو المرفو الجارى هذا الجرى كقوله : " أو دعانى أمت بما أودعانى " فقد  
يتصور فى غير ذلك من أقسامه أيضا ، فمما يظهر ذلك فيه ما كان نحو قول أبي تمام :  
يمدون من أيد عواصم عواصم  
تصول بأسياf قواض قواضب  
وقول البحترى :

لئن صدفت عنا فربت أنفس  
صواد إلى تلك الوجوه الصوادف  
وذلك أنت تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة ، كالميم من عواصم والباء من  
قواضب ، أنها هي التي مضت ، وقد أرادت أن تحيطك ثانية وتعود إليك مؤكدة ،  
حتى إذا تمكنت فى نفسك تماما ، ووعى سمعك آخرها انصرفت عن ظنك الأول ، وزلت  
عن الذى سبق من التخييل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفسائد بعد أن  
يختلطك اليأس منها ، وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال .... "

ويستمر عبد القاهر فيتحدث عن الحشو ويقسمه إلى مفيد وغير مفيد ، ويشير إلى  
الطبق فيذكر أن الحسن والقبح يعرض الكلام به وبالاستعارة من جهة المعانى خاصة من  
غير أن يكون للألفاظ قى ذلك نصيب ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الاستعارة فيذكر أن  
المعانى تتفق وتختلف وتختلط وتفترق ولكن نقف على الشريف منها ونعرف غير  
الشريف ، لابد من مقدمات تقدم وأصول تمهد ، وأشياء حقها أن تجمع وضروب من  
القول ينبغي أن تقطع : " أول ذلك وأولاده وأحقيه بأن يستوفيه النظر ويتقصاه ، القول  
على التشبيه والتمثيل والاستعارة فإن هذه أصول كثيرة كان جل محسن الكلام - إن لم  
نقل كلها - متفرعة عنها وراجعته إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى  
متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها ولا مثل قولهم : " الفكرة مخ العمل " .

وقوله " وعرى أفراس الصبا ورواحله " ، قوله : " السفر ميزان القوم " ، وقول الأعرابي : " كانوا إذا اصطفوا سفروا بينهم السهام وإذا تصافحوا بالسيوف قفز الحمام " ، والتمثيل كقوله : " فإنك كالليل الذي هو مدركي "<sup>(١)</sup>.

ويمضي في حديثه عن الاستعارة فيقول : " أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع معروفاً تدل الشواهد على أنه احتضن به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقل إليه نقلًا غير لازم فيكون هناك كالعارضية "<sup>(٢)</sup> .

ثم يقسمها إلى مفيدة وغير مفيدة ، جاعلاً غير المفيدة قصيرة البناء قليلة الاتساع ، مثلاً لها بنحو إطلاقهم مشفر البعير على شفة الإنسان دون ملاحظة المبالغة في وصف الشفة بالغلظ والتدلّي مثلاً ، وقد عرف ذلك فيما بعد باسم المجاز المرسل ، أما المفيدة فهي التي يقصد بها قصداً إلى المبالغة نحو : " كلمت بحراً " ، والمفيدة هي الجديرة باسم الاستعارة ، لأنها أمد ميداناً وأشد افتئاناً وأكثر جرياناً وأعجّت حسناً وإحساناً وأوسع سعة وأبعد غوراً ، ومتى كانت الاستعارة على هذا الوصف فهي من حلّي الشعر ، ومعدودة ضمن ألوان البديع . وهكذا يمضى عبد القاهر مفصلاً القول في الاستعارة تفصيلاً لم نعهد له عند أحد من سابقيه ، فقد تحدث عمّا تحدثه في النفس من أنس وما تجلبه من متعة ولذة ، وبين أقسامها فقال: إنها تجري في الأسماء وتحرّى في الأفعال ، والتي تجري في الأسماء إما محققة وإما مرموا لها ، وقد أفاد البلاغيون من ذلك فيما بعد فنوعوا الاستعارة إلى تبعية وأصلية ، والأصلية إلى تصريحية ومكتنوية ، وأفضى عبد القاهر في التفرقة بين التصريحية والمكتنوية ، أو كما سماها : " الحقّه والرموز إليها " ، فقال : " أعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة ، فإنها لا تخلو من أن تكون اسمًا أو فعلًا ، فإذا كانت اسمًا فإنه يقع مستعارًا على قسمين : أحدهما : أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم ، فتجريه عليه و يجعله متناولاً له تناول

(١) أسرار البلاغة ص ٣٤

(٢) أسرار البلاغة ص ٣٦

الصفة مثلاً للموصوف ، وذلك قوله : رأيتأسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً ، ورنت لنا ظبية ، وأنت تعنى امرأة ، وأبديت نوراً تعنى هدى وبياناً وحججاً ، وما شاكل ذلك ، فالاسم في هذا كله ، كما تراه متداولاً شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه فيقال : إنه عنى بالاسم وكتى به عنه ، ونقل عن مسماه الأصلي فجعل اسمه على سبيل الاستعارة والبالغة في التشبيه ، والثاني : أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضع لا يعين فيه شيء يشار إليه فيقال : هذا هو المراد بالاسم ، والذى استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلى ونائباً منابه ، ومثاله قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة      إذ أصبحت يد الشمال زمامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري اليه عليه كإجراء الأسد والسيف على الرجل في قوله : انبرى لى أسد يزار ، وسللت سيفاً على العدو لا يفل ، والظباء على النساء في قوله : " من الظباء الغيد "<sup>(١)</sup> ، والنور على المدى والبيان في قوله : أبديت نوراً ساطعاً "<sup>(٢)</sup> .

ويضيف : " وطريقة أخرى في بيان الفرق بين القسمين وهو أن الشبه في القسم الأول الذي هو نحو : رأيتأسداً ، تزيد رجلاً شجاعاً ، وصف موجود في الشيء الذي له استعارة واليد ليست توصف بالشيء ولكن صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها وهي التصرف على وجه مخصوص "<sup>(٣)</sup> . ويمضي إلى الاستعارة في الفعل فيبين أن الاستعارة في الأفعال تجرى فيها تبعاً لجريانها في مصادرها ، ويفصل القول في الجامع بين طرف الاستعارة ثم ينتقل إلى التشبيه والتتمثل فيفرق بينهما ويفصل القول في التشبيهات المفردة والمركبة والتشبيهات الحسية والعقلية والقرينة المبتذلة والبعيدة الغريبة وأدوات التشبيه ، ويفيض في بيان التشبيه التمثيلي وتحليل شواهد الكشف عن أسراره ومواطن حسنه وجماله ، ويفرق بين التشبيه البليغ وبين الاستعارة ويعرض للمجاز العقلى

(١) من بيت البحترى وهو ضمن قصيدة يمدح فيها المعتز بالله :

من عذيرى من الظباء الغيد      وبغيرى من ظلمهن العتيد

(٢) أسرار البلاغة ٤٩/٤٨

(٣) أسرار البلاغة ٥٣

فيشرح ويفصل ويبيّن ويحدد مفرقاً بين التجوز في الإسناد والتجوز في الكلمة ..  
ويعرض للتخييل فيبين أنواعه المختلفة مستشهاداً لها ومخلاها وشارحاً ، فمنه ما يجيئ مصنوعاً قد تلطف فيه حتى أعطى شبهها من الحق وغشى رونقاً من الصدق ، كما في قول أبي تمام :

لا تذكرى عطل الْكَرِيمِ مِنِ الْغَنِيِّ      فالسيل حرب للمكان العالى

ومنه ما يبني على حسن التعليل بأن يدعى في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلاة يضعها الشاعر ويختلفها إما لأمر يرجع إلى تعظيم المدوح أو تعظيم أمر من الأمور ، كما في قول المتني :

لم يمحك نائلك السحاب وإنما      حمت به فصبيها الرحماء

وكما في البيت :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته      لما رأيت عليها عقد منتظر

أو يكون للمعنى من المعانى علة مشهورة فيدعها الشاعر ويضع له علة أخرى من صنع خياله ، كما في قول المتني :

ما به قتل أعاديه ولكن      يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

ومن التخييل ما يبني على تناسى التشبيه وصرف النفس عن توهمه ، كما في قول أبي تمام :

ويقصد حتى يظن الجهول      بأن له حاجة في السماء

وفي أثناء حديثه عن الفروق بين الاستعارة والتشبّيـه البليـغ يعرـض للتحريـد وإن لم يسمـه بهذه التسمـية ، كما في قوله تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلُدُ﴾<sup>(١)</sup> وقولـكـ لـقيـتـ بـهـ أـسـداـ وـرأـيـتـ بـهـ لـئـيـماـ ، وـقـولـ الأـعـشـيـ :

يا خير من يركب المطى ولا      يشرب كأساً بكاف من بخلا

ويختتم عبد القاهر كتابـهـ : "أسـرـارـ الـبـلـاغـةـ" بالـحـدـيثـ عنـ بـحـازـ الحـذـفـ وـهـ ماـ لاـ يـجـرـىـ فـيـ نـقـلـ الـكـلـمـةـ مـنـ مـعـناـهـاـ الأـصـلـىـ إـلـىـ مـعـنىـ جـدـيدـ ، وـإـنـماـ يـجـرـىـ فـيـ تـغـيـرـ الـحـكـمـ

(١) سورة فصلت آية ٢٨

الأعرابي بسبب ما يدخله من الحذف كما في قوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرِيْبَ﴾<sup>(١)</sup> فقد نصبت "القرية" وكانت قبل الحذف مجرورة . هذا وما ذكرته هنا عن كتابي :

" دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة " نزد يسير من تفصيل كثير لا غنى للدارس البلاغة من الوقوف عليه والإحاطة به ، فعليك أن ترجع إلى الكتابين وتقف على صنيع عبد القاهر ليتضح لك أنه قد أفاد من سابقيه واستطاع بمحسنه المرهف ونفاذ بصيرته ، أن يكشف عن خصائص الصيغ والتراكيب وأن يجعل الأسرار والدقائق الكامنة وراء الصور البيانية من خلال ما يعرضه من آى الذكر الحكيم والحديث الشريف ومن التعبيرات الجيدة ونماذج الشعر العربي وفرائده . فماذا بعد عبد القاهر ؟

مسار البحث البلاغي بعد عبد القاهر : تغير البحث البلاغي بعد عبد القاهر وسار

في اتجاهات مختلفة . فقد رأينا تطبيقات الزمخشرى " ت ٥٣٨ هـ " في كتابه : " الكشاف " حيث استطاع أن يستوعب كل ما كتبه السابقون وبخاصة ما كتبه الإمام عبد القادر في كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " ومضى يطبقه تطبيقاً دقيقاً على آى الذكر الحكيم ، ولم يدع رأياً من الآراء ولا مسألة من المسائل إلا وساق لها الشواهد من الآيات الكريمة حتى تتضح وتحلى ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل مضى يتمم تلك الأراء ويستكمل تلك المسائل مضيفاً إليها إضافات تنم عن فكر ثاقب وحسن مرهف .

الاتجاه الفلسفى : وكان هناك اتجاه فلسفى منطقي ، مال بالبلاغة نحو القواعد والتلخيص ، وقد تمثل هذا الاتجاه في كتاب " نهاية الإيجاز فى دراسة الإعجاز " للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن على الرازى " ت ٦٠٦ هـ " الذى لخص كتابى عبد القاهر " الدلائل " و " الأسرار " ، فكان بعمله هذا أول من قعد علوم البلاغة ورتب مسائلها في تقنيتين علمى هى الأولى من نوعه ، وبذلك قضى على الروح الأدبية التي شاهدناها في كتاب الجرجانى ، ومال بل وانحرف نحو الضبط والحصر المنطقي بذكر الحدود وبيان القيود وإخراج المختزلات ، وتلاه السكاكي

---

(٢) سورة يوسف آية ٨٢

"ت ٦٢٦ هـ" بكتابه مفتاح العلوم الذى خص الجزء الثالث منه بعلمى المعانى والبيان ، ملحاقة بهما دراسة المحسنات المعنوية واللفظية ، فهو أول من قسم البلاغة إلى علمين : "المعانى" ويتناول المباحث التى تعرض لصياغة الجمل وبناء الستراكيب والتى تحدث عنها عبدالقاهر فى "دلائل الإعجاز" ، و "البيان" ، ويتناول مباحث الصورة من تشبيه ومجاز وكناية والتى عرض لها عبدالقاهر فى "أسرار البلاغة" ، ولم يجعل البديع علما ثالثا مستقلا عن علمى المعانى والبيان ، بل جعله لاحقا بهما إذ يقول عنه : "وهناك وجود مخصوصة كثيرة ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها. وهى قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ" <sup>(١)</sup> . وعلى القسم الثالث من مفتاح العلوم ، قامت الشروح ودونت التلخيصات ، فألف بدر الدين ابن مالك : "ت ٦٨٦ هـ" كتابه "المصباح فى علوم المعانى والبيان والبديع" وقد سار فيه على نهج السكاكي وتقسيماته ، وعلى الرغم من اعترافه بأن المحسنات من توابع العلمين : "المعانى والبيان" إلا أنه جعلها علما مستقلا سماه : "علم البديع" وبذلك صارت البلاغة متضمنة ثلاثة علوم ثم جاء الخطيب القزوينى : "٧٣٩ هـ" فوضع تلخيصه وهو تلخيص للجزء الثالث من مفتاح العلوم ، وسماه : "تلخيص المفتاح" وقد شعر العلماء بأنه مختصر شديد الاختصار لا يشفى غليل الدارس ، فوضعوا عليه شروحا عدة عرفت باسم : شروح التلخيص وأهمها : عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح "لبهاء الدين السبكى" : "ت ٧٧٣ هـ" و "المطول والمختصر" لسعد الدين التفتازانى : "ت ٧٩١ هـ" والأطول لعصام الدين بن عربشاه الاسفرايني الذى توفى بسمرقند فى منتصف القرن العاشر الهجرى ، ومواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي: "ت ١١٠ هـ" و "الجمان" لجلال الدين السيوطى : "ت ٩١١ هـ" وهو أرجوزة مختصرة من التلخيص ، وقد وضع عليها شرحا سماه : "عقود الجمان" وعلى المطول وضعت حاشيتنا السيد الشريف الجرجانى : "ت ٨١٦ هـ" وعبد الحكيم السيالكوتى الهندى : "ت ١٠٦٧ هـ" وعلى المختصر وضع الشيخ محمد الدسوقي المصرى : "١٢٣٠ هـ" حاشية .. وكان الخطيب نفسه قد

شعر بما في التلخيص من شدة اختصار فأتبعه بكتاب سماه " الإيضاح للتلخيص المفتاح " ، وهو فيه أقرب إلى روح عبد القاهر إذ نراه يخلل ويوضح ويكثر من الشواهد والأمثلة ميرزا ما فيها من أسرار و دقائق . وقد جمعت الشروح الثلاثة : مختصر سعد الدين ، ومواهب الفتاح ، وعروس الأفراح في كتاب وضع بهامشه : كتاب الإيضاح للقزويني ، وحاشية الدسوقي على " المختصر " وعرف هذا الكتاب باسم : " شروح التلخيص " ، ويقع في أربع مجلدات .

الاتجاه الأدبي : وبالإضافة إلى الاتجاه الفلسفى الذى ظهر فى المفتاح وتلخيصه وشروحه ، وإلى تطبيقات الزمخشري فى الكشاف ، وجد اتجاه أدبي تمثل فى كتاب : " المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر " لابن الأثير : " ت ٦٣٧ هـ " ، وكتابي : " تحرير التجبير " و " بديع القرآن " لابن أبي الإصبع المصرى : " ت ٦٥٤ هـ " وكتاب " الطراز " ليحيى بن حزة العلوى : " ت ٧٠٩ هـ " وقد تناولت هذه الكتب دراسة مسائل البلاغة بطريقة أدبية تدويقية ، تعتمد على تحليل النصوص والشواهد ، والكشف عما فيها من مواطن البلاغة والجمال دون احتفال بالتعاريف والخلافات والأقيسة المنطقية .

البديع والبدعيات : وفي القرن السابع الهجرى ظهرت البدعيات فى الشعر العربى ، وهى قصائد يشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع ، إما تمثيلا فقط ، وإما جمعا بين التمثيل والتورية باسم الفن الممثل له ، فهى منظومات فى البديع تشبه منظومات العلوم كألفية بن مالك فى النحو ، وكالشاطبية فى القراءات . وأول من سبق إلى هذه البدعيات هو الشاعر المصرى : عل بن عثمان بن على بن سليمان الأربلى ، وهو شاعر صوفى توفي سنة ٦٧٠ هـ ، وقد اشتغلت بديعيته على ستة وثلاثين بيتا يتضمن كل بيت منها لونا من ألوان البديع كتب إلى جانبه ، وقد بدأها الأربلى بالغزل ثم خلص منه إلى مدح شخص غير معروف ، ومنها قوله :

بعض هذا الدلال والإدلال      حالى المجر والتجنب حالى  
الجنس اللقطى

ثم تلاه صفي الدين الحلبي " ت ٧٥٠ هـ " فنظم بديعيته في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم معارضًا بها بردة البوصيري وقد عرفت باسم " نهج السيردة "، فهي على وزنها وزريها وغرضها وزادت عليها في الاحتفال بالبديع ، إذ بلغ عدد أبياتها خمسة وأربعين ومائة بيت ، اشتملت على مائة وخمسين لونا من ألوان البديع ، ولم يفصل الحلبي بين علوم البلاغة ، بل تناول مسائلها تحت اسم البديع ، وقد أشار إلى أنه استعان بسبعين كتابا في تأليف تلك البديعية ، ومنها قوله :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم      واقرَ السلام على عرب بدئ سلم<sup>(١)</sup>  
براعة المطلع والتحنيس

لهم ولم أستطع مع ذاك منع دمي      فقد ضمنت وجود الدمع من عدم  
تجنيس التلفيق

ومن البديعيات بديعية ابن جابر الأندلسى وكان معاصرًا للحلبي ، وقد نشأ فى بلاد الأندلس ثم رحل إلى مصر ، ونظم تلك البديعية التى سماها : " الحلة السيراء فدى مدح خير الورى " <sup>(٢)</sup> وشرحها صاحبه ومعاصره أبو جعفر الغرناطي شرحًا سماه : " طراز الحلة وشفاء الغلة " ، وتحتختلف هذه البديعية عن غيرها من البديعيات بأن نظمها قد اقتصر على ألوان البديع الذى عرفت عند الخطيب كما فصل بين ألوان البديع المعنية واللغوية فلم يخلط بينها ، وتقع البديعية فى مائة وسبعة وعشرين بيتاً ، منها :

بِطَبَّةِ انْزَلَ وَبِمِ سَيِّدُ الْأَمَمِ      وَانْثَرْ لَهُ الْمَدْحُ وَانْشِرْ أَطِيبَ الْكَلْمَ  
براعة استهلال

وَابْذُلْ دَمْوعَكَ وَاعْذُلْ كُلَّ مَصْطَبَرَ      وَالْحَقُّ مَنْ سَارَ وَالْحَظَّ مَا عَلَىِ الْقَلْمَ  
الجنسان اللاحق

(١) سلع : جبل في المدينة والعلم : الجبل . وذو سلم : جبل شرقى المدينة .

(٢) السيراء : المخططة أو التي يخالطها حرير .

ومنها يديعية عز الدين الموصلى : " ت ٧٨٩ هـ " وعدد أبياتها خمسة وأربعون  
ومائة بيت ، وهو أول من شرع للبدىعيات التقى بالتزام التورىة باسم اللون البدىعى  
فرادها هذا الالتزام ثقلا على ثقل ، يقول فى مطلعها مشيرا إلى براعة الاستهلال :  
براعة تستهل الدمع فى العلم      عبارة عن نداء المفرد العلم  
ومنها يديعية ابن حجة الحموى : " ت ٨٢٧ هـ " التى نظمها على طريقة  
شيخه عز الدين الموصلى ، وتقع فى مائة واثنين وأربعين بيتا ، يشتمل كل بيت  
على لون من ألوان البدىع .. يقول فى مطلعها عن براعة الاستهلال :  
لي فى ابتداء مدحكم يا عرب ذى سلم      براعة تستهل الدمع فى العلم  
ومنها قوله مشيرا إلى الطلاق :  
بوحشة بدلوا أنسى وقد خفضوا  
قدرى وزادوا علوا فى طباقهم  
وقوله مشيرا إلى التمثيل :  
وقلت ردفك موج كى أمثله      بالموج قال : قد استسمنت ذا ورم  
واستمرت البدىعيات ، فرأينا بديعية عائشة الباعونية الدمشقية : " ت ٩٢٢ هـ "  
وبديعية صدر الدين بن معصوم الحسيني المدنى : " ت ١١١٧ هـ " وقد ألف عليها  
شرحها سماه " أنوار الريبع فى أنواع البدىع " ، ولعبد الغنى النابلسى :  
" ١٤٣ هـ " بديعيتان ، أولاهما على غرار بديعية الخلى والباعونية ، أى أن  
أبياتها لا تتضمن أسماء الحسنان البدىعية ، وقد سماها " نسمات الأسحار فى مدح النبي  
المختار " ، وثانيةهما على غرار بديعية الموصلى والحموى ، أى أن أبياتها تتضمن أسماء  
الحسنان البدىعية . ولعمود صفوت الساعاتى المصرى : " ت ١٢٩٨ هـ " بديعية  
اشتملت على مائة وخمسين لونا من ألوان البدىع فى مائة واثنين وأربعين بيتا ، معارضها بها  
بديعية ابن حجة ملتزما ما التزمت من التورىة باسم اللون البدىعى ، ومنها قوله مشيرا إلى  
براعة الاستهلال :

سفح الدمع لذكر السفح والعلم      أبدى البراعة فى استهلاله بدم

ومنها قوله في التورية :

وكم بكى عقلاً والبكاء على بدر وtoriyi كانت لبدر هم

إلى غير ذلك من البدعيات التي استبدلت بالشعر منذ أواسط القرن السابع المجري ، والتي نستطيع أن نقول عنها : إنها صناعة من العبث ، أضعفـتـ الشـعـرـ وجـرـدـتـهـ من روائعـهـ وـهـوتـ بهـ إـلـىـ هـاوـيـةـ الإـسـفـافـ ،ـ كـمـ جـنـتـ عـلـىـ الـبـدـعـ وـفـنـونـهـ وـذـهـبـتـ بـهـ مـذاـهـبـ التـشـعـيبـ ،ـ فـعـدـ مـنـهـ مـاـ لـيـصـحـ أـنـ يـكـوـنـ مـنـهـ ،ـ حـتـىـ كـانـتـ الـكـثـرـةـ التـيـ بلـغـتـ حدـ الإـمـالـلـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ تـلـكـ الـبـدـعـيـاتـ مـاـ لـتـ إـلـىـ التـلـخـيـصـ الشـدـيدـ الذـىـ اـحـتـاجـ إـلـىـ الشـروـحـ وـتـوـضـيـعـ الشـرـوـحـ ،ـ فـلـمـ تـعـدـ عـلـىـ الـبـدـعـ بـدـرـاسـةـ غـنـيـةـ مـفـيـدةـ ،ـ وـلـمـ يـجـنـ مـنـهـ سـوـىـ الإـفـرـاطـ وـالتـفـرـيطـ فـيـ تـصـنـعـ الـأـوـانـهـ وـتـكـلـفـ مـسـمـيـاتـهـ .

البدع بين الذاتية والعرضية : ظلت فنون البلاغة منذ أن كتب فيها العلماء وألفت المؤلفات وحتى عصر الزمخشري لا تعرف تقسيما ولا تميزا ، فكانت تدرس تلك الفنون على أن حسنها حسن ذاتي يقتضيه المقام ويستدعيه الكلام ، وقد مر بذلك حديث عبدالقاهر عن بعض فنون البدع كالجناس والسعج والمزاوجة والتقطيم وحسن التعليل ، ورأيت كيف يبرز المزايا البلاغية لتلك الفنون وبين أن الحسن الكامن وراءها حسن ذاتي يرجع إلى المعنى وما يقتضيه المقام . وبعد الزمخشري رأينا السكاكي يحصر البلاغة في علمي المعانى والبيان ، جاعلاً فنون البدع وجوها يصار إليه لقصد تحسين الكلام ، ثم قسم هذه الوجوه إلى قسمين : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ ، وجاء بدر الدين بن مالك فأطلق على تلك الوجوه : علم البدع ، وبهذا صارت البلاغة ثلاثة علوم ، ولما جاء الخطيب ولخص المفتاح ثم وضع التلخيص ، فصل البدع فصلاً كاملاً عن أخيه البيان والمعانى ، وصارت البلاغة عند الخطيب ومن تبعه محصورة في علمي المعانى والبيان ، أما البدع فصار علم تحسين وتزيين ... وعرفه الخطيب بقوله : " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة " <sup>(١)</sup> .

(١) تلخيص المفتاح ٣١٥ .

وقد جعل هذه المحسنات البدعية نوعين :

١.- محسنات لفظية : وهى التى يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً

وبالذات ويتبعه تحسين المعنى ثانياً وبالعرض ، وعلامة أنك لو غيرت أحد اللفظين بما يرادفه لزال ذلك الحسن ، ففى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، جناس تام بين "ساعة" و "الساعة" فهو محسن لفظي وعلامة كونه لفظياً أنك لو غيرت كلمة "الساعة" بمرادفها فقللت : و يوم تقوم القيمة ، لزال الحسن الذى خلعه الجناس على الكلام .

٢ - محسنات معنوية: وهى التى يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً

وبالذات ، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً وبالعرض ويميز هذا النوع عن الأول، أنك لو غيرت اللفظ بما يرادفه لم يبقى الحسن كما كان قبل التغيير ، ففى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾<sup>(٢)</sup> . طباق بين ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ و بين ﴿ أَمَتَ وَأَحْيَا ﴾ . طباق محسن معنوى وعلامة كونه معنوياً أنك لو غيرت اللفظ بمرادفه فقللت في غير القرآن "أسر وأحزن" مثلاً ، بقى المحسن وظل الجمال الذى خلعه الطباق على الكلام موجوداً وهذا التقسيم غير موفق ، لأن فيه فصلاً للروح عن الجسد ، إذ الألفاظ أجسام للمعاني ، ولا يظهر للألفاظ مزية إلا من خلال النظم والتركيب ، ولذا ستجدنا عند دراسة ألوان البدع في القسم الثاني ، لن نعتد بهذا التقسيم ولن نقيم له وزناً .

هذا ونظرة المتأخرین - الخطيب وأتباعه - إلى فنون البدع على أنها مجرد محسنات حسنها حسن عرضي يأتى بعد تمام المطابقة ووضوح الدلالة ، نظرة غير سديدة ، ولا تتمشى مع نظرة المقدمين الذين جعلوا الحسن في تلك الفنون حسناً ذاتياً يقتضيه المقام ويدعو إليه الحال ، ولذا وجدنا غير واحد من المتأخرین يخالف الخطيب معلنًا أن تحسين "البدع" تحسين ذاتي ، وليس عرضياً ، ومن هؤلاء بهاء الدين السبكي ،

(١) سورة الروم آية ٥٥.

(٢) سورة النجم الآيات ٤٣، ٤٤.

صاحب عروس الأفراح وأبو جعفر الغرناطى فى مقدمة شرحه لبديعية ابن جابر الأندلسى والشيخ أحمد موسى فى كتابه : " الصبغ البديعى " . يقول السبكى معلقا على تعريف الخطيب السابق : " يحتمل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه ووضوح الدلالة ، ويكون المراد : هو قواعد يعرف بها وجوه التحسين ووجهه التطبيق ، ومعرفة التطبيق والوضوح سابقاً على معرفة التحسين فيكون المعانى والبيان جزءين للبديع ، ويحتمل أنه قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين فلا يكون المعانى والبيان جزئين للبديع ، بل مقدمتين له ، وقد صرحا بأن المراد هو الأول ، وفي استخراجه من منطوق عبارة المصنف عشر ؛ لأنك إذا قلت : عرفت زيداً بعد معرفتي لعمرو ، فالمخبر به معرفة زيد مقيدة بسبق معرفة عمرو . لا معرفة زيد وعمرو " <sup>(١)</sup> . ويقول في موضع آخر : " والحق الذي لا ينزع فيه منصف أن البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، ومن الإرادة بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين ، وأدل برهان على ذلك أنك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون إلى بيان اشتغال شيء منها على التطبيق ، ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والإرادة ، بل تجد كثيراً منها خالياً عن التشبيه والاستعارة والكلنائية التي هي طرق علم البيان ، هذا هو الإنصاف وإن كان مخالفًا لكلام الأكثرين " <sup>(٢)</sup> . ويقول أبو جعفر الغرناطى في تعريف البلاغة : " هي بلوغ المتكلم في تأدية المقصود الغاية من رعاية حسن اللفظ وتوفيق المعنى بحسب اقتضاء المقام " . ثم يذكر أنها راجعة إلى ثلاثة أشياء .. إلى ما يحيط به عن الخطأ في خواص التراكيب وهو علم المعانى .. فالبلاغة إذاً لا تحصل إلا لمن استكمل العلوم الثلاثة <sup>(٣)</sup> . ويقول الشيخ أحمد موسى : " إن تعريف بلاغة الكلام الذي ذكره الخطيب بقوله : " هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحتها ، شامل لهذه

(١) عروس الأفراح ٤/٢٨٣ .

(٢) شروح التلخيص ٤/٢٨٤ .

(٣) انظر مقدمة طراز الحلقة وشفاء الغلة .

الأصياغ مع التوسع في مفهوم الحال يجعله أعم مما ذكره حتى ينطبق على أحوال البديع فإذا اقتضى الحال طباقاً أو تقسيماً أو مزاوجة أو غير ذلك كان الظلام، المشتمل عليها مطابقاً لاقتضى الحال ، وخلوه منها غير مطابق فيكون في الأول بليغاً وفي الثاني على خلافه وذلك أمر تقره الفطرة ، ويساعد عليه ما سرداه من شواهد .<sup>(١)</sup> وبهذا يتضح لك أن الحسن الناجم عن فنون البديع حسن ذاتي له مكانته في البلاغة ويقتضيه المقام ، وهذا ما سنبرره لك عند دراستنا لكل فن من تلك الفنون البدعية في القسم الثاني .. أما نظرة الخطيب ومن لف لفه إلى كون هذه الفنون مجرد الزينة والتذويق وكون حسنها حسناً عرضياً ، فهي نظرة بعيدة عن الصواب تتنافى مع ما تضفيه تلك الفنون على المعانى من جمال ومزايا ..

أصالة البلاغة العربية : و كنت على أن أترك هذا القسم مكتفياً بما قلته ، لأننتقل إلى القسم الثاني فأتناول فنون البديع ومسائله في دراسة فنية وتحليلية لتلك المسائل كشفاً عن دقائقها وتحليلية لأسرارها ولطائفها ؛ لو لا أنتى وجدت لزاماً على - خاصة وأن الدارس قد وقف الآن على صورة بينة لنشأة هذه الفنون وتطورها - أن أقف أمام هذه القضية لأجليها للدارس ، فهي قضية تستلزم الوقوف وحديرة بالتأمل والنظر والمراجعة .. ألا وهي أصالة البلاغة العربية .

لقد كثر الكلام وطالت المناقشات حول هذه القضية قديماً وحديثاً ، وحالاً لمن حل له أن يحط من شأن البلاغة العربية وأن يجعلها صورة وفتونا وعبارة ، مستمدة من بلاغة اليونان وغيرهم من الأمم الأجنبية ، فالبعض يجعل من أرسطو المعلم الأول لل المسلمين ليس فقط في الفلسفة والمنطق بل أيضاً في البلاغة والبيان ، والبعض يغالى ويسرف في رد الفنون البلاغية التي تحدث عنها العلماء العرب إلى منطق أرسطو وفلسفته .. وانبهار هؤلاء بالثقافات الأجنبية وحبهم لها وشغفهم بها وجريهم

(١) الصبغ البديعي ٥٠٧ .

وراءها، ليس فقط في عصرنا الحديث ، بل هو قديم ، وقد تصدى العلماء لأمثال هؤلاء نصاً وإرشاداً وإبرازاً لفضل العرب وبيانهم وثقافتهم التي فاقت ما عند غيرهم من ثقافات .

فتعالوا نظر في هذه القضية وما أثير حولها من تساؤلات ومناقشات قدماً وحديثاً .

ففي القديم نرى الجاحظ يشيد بفضل العرب ولغتهم وثقافتهم و يجعل البديع مقصوراً عليهم حيث يقول : " والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان ، وكذلك الخطابة فإنها عندهم بدائية وارتجالية وكأنها إلهام ، وهي عند غيرهم كلام معد وقول مزود ، أي عن مشاورة ومساعدة وعن طول الفكر "(١) .

فنراه يشيد بفضل العرب وتفوقهم في ميدان الفصاحة والبيان ويشير إلى سبب هذا التفوق وهو كثرة البديع في لغتهم إلى حد أن صار ما في اللغات الأخرى منه لا يبعد به لقلته فيها وكثترته في لغة العرب ، وهو ينظر في ذلك إلى عصره الذي كثرت فيه الصور البدوية وتفنن فيها الشعراء ...

وإذا كان الجاحظ يشيد بفضل العرب وتفوقهم ، فإننا نجد ابن قتيبة ينزل تلك الثقافات الوافدة في منزلتها التي ينبغي أن تكون فيها فأين هي من دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو ، يقول ابن قتيبة : " ولو أن مؤلف حد المسطق " بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو ، لعد نفسه من البكم أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفضل الخطاب " (٢) .

(١) البيان والتبيين ٤/٥٥ .

(٢) مقدمة أدب الكاتب .

ويمضي ابن قتيبة فيحث هؤلاء الذين أغروا بتلك الثقافات الوافدة على تأمل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والنظر في أخبار الصحابة وفي علوم الدين ولغة العرب وأدابها ، والإقلال عن تلك الثقافات الوافدة، فإنها ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم ، فأولى لهم وأجدر أن ينشغلوا بالدراسات العربية الأصيلة فهي واضحة المعالم ودانية الشمار ...

ومن ابن قتيبة إلى عبد القاهر الذي نراه يثبت الفضل للعربية والسبق للعرب فهم القدوة في ميدان الكلام والبيان ومن عداهم تابع لهم وقاصر عنهم يقول الجرجاني : " معلوم أن سبيل الكلام سهل ما يدخله الفاضل وأن للمتفاضل فيه غایيات ينأى بعضها عن بعض ومنازل يعلو بعضها بعضاً وأن علم ذلك علم يختص أهله ، وأن الأصل والقدوة فيه للعرب ، ومن عداهم تابع لهم وقاصر فيه عنهم ... " <sup>(١)</sup>.

ومن عبد القاهر إلى ابن الأثير لنراه ثائراً على الثقافات الأجنبية منكراً أن يكون لها أثر في كتاب العرب وعلماء البيان حتى في أولئك الذين اخدروا من أصل أعجمى وتصدوا للكتابة والإنشاء ... فالعربي البدوى ما كان يعرف جزئيات النطق ولا تفريعات الفلسفة ، وما كان يخطر بباله شيء منها ، وعلى الرغم من ذلك كله كان يأتي بالسحر الحلال إن قال شعراً أو تكلم ثنراً ... وتجده في " المثل السائر " هذه المحاورات التي دارت بينه وبين محبي الثقافات الوافدة والمولعين بها ، وذلك حين وجه إليه سؤال بأن هذا الذى قاله كان في العرب القدماء فطرة طبعوا عليها وخلقوا فيها كما طبع غيرهم من بني آدم على فطر مختلفة فالتركي فطر على حسن الرمي ، والصيني على إتقان الصنعة والمغربي على الشجاعة وهكذا ... ويجيب ابن الأثير بقوله : " إن سلمت إليك أن الشعر والخطابة كانوا للعرب بالطبع والفترة ؛ فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر

---

(١) الشافية : ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ١١٧ .

وخطيب تحضروا وسكنوا البلاد ولم يروا الباذية ولا خلقوا فيها وقد أحادوا في تأليف النثر والشعر وجاءوا بمعانٍ كثيرة ما جاءت في شعر غير العرب ولا نطقوا بها؟ . " ورد بأن أولئك الحدثين قد وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منهم ، ولكنّه يجيز بأنّ هذا شيء لم يكن ولا علم أبو نواس شيئاً منه ولا أبو ثام ولا البحترى ولا أبسو الطيب المتنبي ولا غيرهم ، وكذلك جرى الحكم في أهل الكتاب كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم ... فقيل له : وما يدريك أن هؤلاء الذين ذكرتهم لم يتعلموا من كتب اليونان ؟ ...

فيضرب المثل بنفسه ويستشهد بذلك قوله قائلًا : هذا باطل بي أنا ، فإني لم أعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ومع هذا فانظر في كلامي ، فقد أوردت لك بهذا منه في هذا الكتاب ، وإذا وقفت على رسائلى ومكتباتى وهى عدة مجلدات ، وعرفت أنّى لم أتعرض لشيء مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني ، علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والثر بنجوة عن ذلك كلّه ، وأنه لا يحتاج إليه أبداً ، وفي كتابى هذا ما يغريك وهو كاف ... " <sup>(١)</sup> .

وبهذا يتضح لك أن علماء السلف قد تصدوا هؤلاء الذين انساقوا وراء الثقافات الأجنبية ، مبطلين ما رددوه من تأثير الشعراء والكتاب والبيان العربي بتلك الثقافات ، فالعرب هم القدة ... هم أصحاب البيان وأرباب الفصاحة ... ومن عدّاهم تابع لهم وقاصر عنهم ... العرب لغتهم فاقت كل لغة ولسانهم أربى على كل لسان ...

فإذا ما تركنا القدماء وانتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا جدالاً يقوى ، ونقاشاً يشار ويُشنّد حول البلاغة ومدى تأثيرها بالفلسفة والمنطق والثقافات الوافدة ، فقد أنكرت فئة من الباحثين أصلّة البلاغة العربية ، وزعموا أنها مستمدّة من الثقافات الأجنبية ، وتزعم هذه الفتنة الدكتور طه حسين ، ودار في فلكله كثيرون منهم : إبراهيم سلامة ،

---

(١) ارجع إلى تلك المخاورة في المثل السائر ٣/٢ وما بعدها .

وأمين الخولي وشوقى ضيف وسلامة موسى ، وغيرهم ... وسنعرض عليك الآن ما ردده هؤلاء وأثاروه ، ثم نعقب بما يبين لك وجه الصحة والصواب فى تلك القضية ...

يرى الدكتور طه حسين أن أرسطو هو المعلم الأول لل المسلمين في علم البيان ، كما كان معلمهم في الفلسفة والمنطق ، وقد أعلن ذلك في بحثه الذي طبع به على العالم الإسلامي في مؤتمر المستشرقين المنعقد في الثاني عشر من سبتمبر سنة ١٩٣١ بمدينة "ليدن" بعنوان : البيان من الجاحظ إلى عبد القاهر . وفي هذا البحث نرى حملته على الجاحظ ، إذ يقرر أنه تعصب للعرب ضد الأمم الأخرى وخاصة اليونان والفرس ، حيث قصر البديع على العرب ، وهذا يدل على أنه لم يعرف شيئاً عن كتاب الخطابة لأرسطو ، ثم يذكر أنه ينافق نفسه حينما يثبت للعرب وحدهم كل الشأن في البلاغة ، ثم يعود فيشرك معهم غيرهم من الفرس والهند والروم في البيان ، ويقول إن قارئه كتاب الجاحظ يخرج بتائج ثلاثة :

١ — أنه كان للعرب نقد في العصر الجاهلي دونه ، وأن هذا النقد كان سليماً مبنياً على الذوق أولاً ، ثم انتهى إلى كشف بعض العيوب وإلى استخلاص بعض نصائح قدموها للكتاب والخطباء .

٢ — أن أخلاقاً كثيرة كانت تعيش في البصرة والköفـة خدموا الثقافة العربية عن طريق النقل .

٣ — أن طبقة الكتاب التي ظهرت في بلاط الخلفاء في نهاية القرن الثاني الهجرى ، وكان أغلبهم من الأعاجم ، قد وضعوا معلم يسير عليهما الكتاب ، وينسجون على منوالها ، ولذا فإن البيان العربي إلى منتصف القرن الثالث الهجرى لا يمكن أن يكون عربياً صرفاً أو أعمجياً محضاً ، بل هو بيان غير تمام أبوابه قائمة على

صحة الحروف ومحارجها . والكلام على سهولة اللفظ والعلاقة بين الألفاظ والمعاني ، فهو نسيج جمعت خيوطه من البلاغة العربية في المادة واللغة ، ومن البلاغة الفارسية في الصورة وال الهيئة ، ومن البلاغة اليونانية في الملاعنة بين أجزاء العبارة .

ويمضي فيذكر أن العقائد المذهبية وجدها وفلسفته المتكلمين قد حولت البلاغة إلى فلسفة ومنطق ، مما جعل البحترى يثور على هذا الوضع قائلاً :

كـلـفـمـوـنـاـ جـدـودـ مـنـطـقـكـ  
وـلـمـ يـكـنـ ذـوـ قـرـوـحـ يـلـهـجـ بـالـ  
وـالـشـعـرـ لـحـ تـكـفـيـ إـشـارـتـهـ  
وـالـشـعـرـ يـغـنـيـ عـنـ صـدـقـهـ كـذـبـهـ  
ـمـنـطـقـ ماـ نـوـعـهـ وـمـاـ سـيـبـهـ  
وـلـيـسـ بـالـهـذـرـ طـوـلـتـ خـطـبـهـ

ثم يذكر بعد ذلك دور الفلسفة الإسلامية ونقلها عن الفلسفة الإغريقية ، وموقف ابن سينا وابن رشد من كتاب الخطابة لأرسسطو ، وأن تعريب هذا الكتاب وجعله في متناول الفكر العربي ، قد هيأ أسباب التوفيق بين البيان العربي والبيان اليوناني اللذين عاشا متحاورين دون أن يتلاقيا ويتالقا ، وكان تلاقيهم على يد عبد القاهر الذي قرأ الفصل الخاص بالعبارة في كتاب ابن سينا وتأمله ، وكان من أثر هذا التأمل أن صار عبد القاهر تلميذا لأرسسطو ، فإذا تكلم عبد القاهر عن الاستعارة فهو يشرح ما ذكره أرسسطو في الصورة ، وإذا تكلم في صور المجاز المرسل فهو يشرح ما ذكره في إطلاق اسم الجنس على النوع واسم النوع على الجنس ، أما إذا تكلم في المجاز الحكمي فهو من ابتكاراته ، لأن هذا المجاز ليس في كتاب أرسسطو ، ويصبح أن نسميه المجاز الكلامي ، لأنك إذا قلت مع عبد القاهر : أنت الريبع البقل ، فهو مجاز لأن الريبع لا ينبع البقل ولكن الذي ينبعه هو الله تعالى ، وينفق عبد القاهر جهداً غير قليل في الدفاع عن مجازه هذا وفي تمييزه عن المجاز المعروف ، ولكن لا شك أن الأساس المعروف الذي بنى عليه هذا التمييز محل نظر . وكأنه يشير إلى عدم تقبله الفروق الدقيقة التي فرق بها عبد القاهر بين المجازين ، ويرى أن الأفضل أن يكونا مجازاً واحداً هو مجاز أرسسطو ... وينتهي الدكتور في

بحثه إلى النتيجة التي أعتقد أنه قد أقرها قبل أن يبدأ فيه وعي أن أرسطو كان المعلم الأول لل المسلمين ليس فقط في ميدان الفلسفة والمنطق ، بل أيضاً في علم البيان<sup>(١)</sup>.

وكان الدكتور طه حسين مسموع الكلمة فانتشرت مقالته هذه وتغللت في نفوس الكثير من الدارسين ، فساروا في تياره ونسجوا على متواه ، إذ نرى الدكتور إبراهيم سلامة يقرر في كتابه : "بلاغة أرسطو بين العرب واليونان" أن البيان العربي قد ابتدأ بالباحث حقاً ولكنه بيان مخلوط قد اشتراك فيه النقد مع القاعدة البلاغية ، والتقت فيه عدة ثقافات أحرزها الباحث وعرف بها ، فتمثلت في نفسه تمثيلاً استخراج عصارته الأخيرة ، وهضمها هضماً أحال طبيعتها إلى طبيعة أخرى تبدو في شكلها الجديد بعيدة الصلة بين نهايتها وبين مصادرها الأولى . ثم يتدرج مع علماء البلاغة الذين كان لهم أثر كبير في تطور البلاغة العربية صورة وفكرة وقاعدة مبيناً مدى تأثير كل منهم بالبلاغة اليونانية وإفاداته بهذا التأثير البلاغة العربية في شكلها وموضوعها ، في بينما يرى أن الباحث تأثر في بلاغته باليونانية يرى أن ابن المعتز قد عرض لبلاغة عربية المثل ، عربية المأخذ ، يستشهد لها من الكتاب والسنة وما عرف من الأدب الجاهلي ، ثم يقرر أن قدامة تأثر بأرسطو تأثراً كبيراً ، ظهر واضحًا في كتابه : "نقد الشر" وما يحتويه من فكر وألوان ونظريات بلاغية ونقدية ، وقد مر بك أن الكتاب لابن وهب وليس قدامة ...

ونرى الدكتور يردد كلمتي "النقل والأخذ" في إصرار منه على أن العرب نقلوا بلاغتهم وأخذوا معظم أبوابها من اليونان ، وتشعر وأنت تقرأ كتابه أنه يسلم بهذا النقل ، إذ يدافع عن العرب مبرراً أن الأخذ أو النقل لم تنقصه الفطنة ، ولم يغب عنه ذكاء العقل العربي الذي تصرف فيما نظر وأخذ ، والذي اقطع مما نقل فأخذ منه ما يتفق مع اتجاه أدبه ... وأن العرب أخذوا ما أخذوا عن البلاغة اليونانية ، ولكنهم جددوا فيها وبسطوا بل و Creedوا بما يثبت لهم شخصيتهم العقلية فيما أخذوا ، كما أنهم لم ينقلوا إلى

(1) ارجع إلى مقدمة نقد الشر .

بلغتهم إلا ما اتفق مع أدبهم ، وقد وجدوا في كتابهم وحده بل في ميراثهم الأدبي الواسع ما يتحمل هذه القواعد المنقوله .. وبحسب العرب تفرداً في باب الشخصية أنهم لم ينقلوا آداب غيرهم ، بل نقلوا إلى أدبهم ما ينطبق على الآداب اليونانية التي عاشت عليها أوروبا عدة قرون ، ووجدوا في أدبهم ما يمثل كل قاعدة وما يصح أن يكون مثلاً لكل تطبيق ومعنى ، ذلك أن أدبهم ينزل منازل الآداب الكبرى التي عاش عليها العالم <sup>(١)</sup>.

ويضي الأستاذ أمين الخولي في نفس الاتجاه فيقول : " وبالرجوع إلى ما يحفظ الصورة الأصلية لخطابة أرسطو نجد أنه قد تصدى لأبحاث بلاغية كثيرة تكاد تكون جمهرة ما بأيدينا من أبحاث بلاغتنا ، أو هي على الأقل أنواع كثيرة من فنونها الثلاثة ... " <sup>(٢)</sup> ثم يستمر في عد جميع أنواع البلاغة وردها إلى كتاب أرسطو . ونتقل إلى الأستاذ سلامة موسى الذي نجد في يعتبر المنطق أساساً من أسس البلاغة ، إذ يذكر في كتابه : " البلاغة العصرية واللغة العربية " ، أن المنطق أساس البلاغة ، وأن البلاغة بفنونها المختلفة الآن ولغتنا العربية تحاطب العواطف دون العقل وهذا — في اعتقاده — ضرر عظيم ثم لا يلبث أن يصرح بشغفه وحبه لغير العربية فيذكر أن هناك تعاير لغوية كبيرة الضرار على مجتمعنا ، ومن أسوئها في مصر ، وفي عصرنا الحاضر هاتان الكلمتان : " شرق وغرب " فإن كلمة " شرق " توحى إلينا بعداء مع أدباء أمريكا وهم المتمندون السائدون في العالم . فعداؤنا يغرس في نفوسنا كراهية التمدن .. ثم يدعو إلى العامية واتخاذها لغة الكتابة والأدب والانقطاع نهائياً عن تراثنا ومقومات شخصيتنا ، كما يدعو إلى القضاء على الجزلة والقوة في الأساليب <sup>(٣)</sup> ..

(١) ارجع إلى بلاغة أرسطو بين العرب واليونان .

(٢) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ص ١٥ .

(٣) ارجع إلى البلاغة العصرية و اللغة العربية .

وهذا عبث وهراء ، فدعوته للعامية لا تستحق مجرد المناقشة ، بل لا تستحق مجرد الذكر هنا ، ودعوته إلى القضاء على الجزالة عبث لا يقال ، لأن الكتابة لا تحيا بغير الأسلوب ، والكتاب الجامع شتات الحكمة يولد ميتاً إذا أعزه الأسلوب القوى الجزل .

أما الدكتور شوقى ضيف فنراه في كتابه : "البلاغة تطور وتاريخ" يركب نفس الموجة ، إذ يبالغ في رد ما قاله البلاغيون إلى أرسطو والثقافة اليونانية ، بدل أن يربط هذه الأقوال بعضها بعض ، ويزيد مدى التأثر والتأثير بين السابق واللاحق ، اقرأ قوله : " وهذا القسم الثالث من كتاب " الخطابة " لأرسطو يقابل ما سماه العرب بالبلاغة ... فقد كان قسماً عاماً لا يختص بلغة ولا بأمة معينة ، وقد وضع فيه أرسطو بصيرته النافذة الأصول البلاغية العامة للعبارة بحيث يمكن تطبيقها على جميع الآداب يونانية وغير يونانية ، ومن أجل ذلك اتسع تأثيره في البلاغة العربية ، وأقبل المتكلّفة بعد نقل هذا الكتاب وكتاب الشعر يحاولون أن يضعوا قواعد البلاغة في لغتنا على ضوء ما تخلوه منها وما ثقفوه من كتابات أرسطو في المنطق والجدل .. " <sup>(١)</sup> .

ثم أقرأ حديثه بعد ذلك عن قدامة وعبد القاهر وغيرهما فستجده أنه يحاول جاهداً الربط بين ما قاله هؤلاء العلماء وما جاء عن أرسطو، فقدامة عندما يقول : "الشعر صناعة" فهو قول يستمدّه مباشرة من مقدمات أرسطو في كتابه "فن الشعر" ، وعندما يتحدث عن صحة التقسيم ويقول عنها : "أن يستوفى الشاعر جميع الأقسام لما ابتدأ به كقول نصيبي :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم نعم وفريق قال : ويملأ ما ندرى

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ٧٨ .

فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام . " فهو يجلب هذا المصطلح من كلام أرسطو في الخطابة ، إذ على الرغم من أن الجاحظ قد نوه من قبل بحسن التقسيم والتفصيل ، وقد أثبت الدكتور ذلك إلا أنه يظن ظناً أن قدامة إنما جلب اصطلاحه من حديث أرسطو في " الخطابة " عن صورة تأليف الكلام بذلك الأقسام ودقة عرضها فيه ... وعندما يتحدث عن صحة المقابلات وهي أن يرتب الشاعر معانيه ترتيباً يوفق فيه بين طائفة منها ويختلف بين طائفة ثانية بحيث تقابل في وضوح كقول بعض الشعراء :

### فوا عجا كيف اتفقنا فاصح وفي ومطوى على الغل غادر

إذ قابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر ، فهذا يدخل عند ابن المعتر في المطابقة ، ولكن مما لا شك فيه عند الدكتور أن قدامة استمد هذا المصطلح كما استمد سابقه من أرسطو في الخطابة وحديثه عن تأليف العبارة ، بل وحري بالدكتور أن يسورد نص كلام أرسطو كما جاء عند ابن سينا .. وعبد القاهر الذي حل نظرية النظم ، وجلالها تحليلاً وساق لها الشواهد والأمثلة وأناد في ذلك من كلام السابقين وخاصة من كلام الجاحظ وعبد الجبار - كما مر بك - إنما كان يصدر - في رأى الدكتور - عن كلام أرسطو .. يقول فضيلته : " وفي تلخيص ابن سينا لكتاب " الخطابة " لأرسطو قطعة تلتقي بنفس هذه الفكرة ، وهي تمضي على هذا النحو : " وأما اللفظ المتخلخل وهو المقطع مفرداً فهو شيء غير لذيد ، لأنه لا يتبيّن فيه الاتصال والانفصال في الحدود التي لا تنتهي إليها القضايا وغير القضايا أيضاً التي هي مثل النساء والتعجب والسؤال إذا تمت ، فإن لكل شيء منها حداً وطريقاً يجب أن يفصل عن غيره بوقفة أو نبرة فيعلم ، وإذا كان الكلام مقطعاً ليس فيه اتصالات وإنفصالات لم يتذر به " . ولا شك في أن عبد القاهر كان يصدر في أثناء كتابته للفكرة السابقة عن كلام أرسطو في الخطابة مما نقلناه وما يتصل بسببه <sup>(١)</sup> .

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ١٧٢ وارجع إلى الصفحات ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ .

تعقيب : ذكرنا في الصفحات الأولى من هذا الكتاب أن الفنون البلاغية من طباق وجناس واستعارة وكتابية وتشبيه وغير ذلك ، قد وردت في الشعر الجاهلي ، وضربنا لها شواهد كثيرة .. ولما نزل القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ بلسان عربي مبين ، وقد حوى تلك الصور البلاغية التي عرفها العرب في شعرهم وتراثهم ، وأقبل الناس على دراسته وتأمله وتبين أوجه إعجازه ، استخرجوا تلك الصور ، ووقفوا طويلاً لتأملها والنظر فيها وقد مرت بك نشأة هذه الدراسات ومراحل ثورتها وتطورها — والذى نريد أن نقرره الآن أن علماءنا الأوائل الذين تأملوا تلك الفنون في الشعر وفي القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة ، ووضعوا لها التسميات والمصطلحات لم يستمدوها من البلاغة اليونانية ، وأقوى دليل على ذلك أنه تجد المعاني الاصطلاحية لهذه الألوان شديدة الصلة بالمعاني اللغوية الموضوعة لها ، ولكن يتبين لك هذا عند إلى تلك الملاحظات التي كانت تتردد على ألسنة الشعراء قديماً "لقد قلل جفانك ... لو قلت يشرقن بالدجى لكان أكثر ... باعدت فى القول أين الأنس من الشنب ... ليس لشعره قران" ... فهى بمثابة الجذور التى انبسست منها فيما بعد مصطلحات : المبالغة ومراعاة النظير ووحدة السياق ، وعد إلى تعريف الخليل بن أحمد : (ت ١٧٠ هـ) للمطابقة ، وإلى قول الأصمى : (إن أصلها من وضع الرجل فى موضع اليد فى مشى ذوات الأربع ) ، وإلى حديث أبي عبيدة عن الالتفات .معنى تزييل الشاهد منزلة الغائب أو الغائب منزلة الشاهد أى انتقال المتكلم بالكلام من صيغة إلى صيغة ، فهو بمثابة الملفت الذى يغير اتجاه سيره ... وهكذا تأمل الفنون البلاغية وانظر فى معانيها الاصطلاحية واللغوية فستجده صلة قوية بين المعنين ، الأمر الذى يؤكد أن تلك المصطلحات عربية أصلية وليس مستمدة من ثقافات غير عربية ... وبهذا نستطيع القول أن البلاغة فنوناً ومصطلحات ، أى : ألواناً وتسميات عربية أصلية ، وجدت فنوناً وألواناً في تراثنا العربي وأخذت واشتقت تسميات ومصطلحات من أصل العربية ..

ولذا تصدى علماء السلف لأولئك الذين أنكروا أصالة البلاغة العربية ، واندفعوا يلهثون وراء الثقافات الأجنبية مغرين بها.. فيبینوا لهم أن تلك الثقافات خاوية مما ظنوه موجوداً بها ، وأن البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، فهم القدوة ومن عدامهم تابع لهم وقاصر عنهم ...

ولعل سبب اندفاع هؤلاء الذين اندفعوا وراء الثقافات الأجنبية يرجع إلى أن مراجعة جهود السلف لمعرفة نشأة البلاغة وتطورها يحتاج إلى دقة وجهد للوقوف على مدى التأثر والتأثير بينهم .. وإلى أن للبلاغة اليونانية وخاصة في هذه الفصول التي تتعلق ببناء العبارة وتكونين الجمل قريبة جداً من البلاغة العربية ، فاستسهل هؤلاء الأمر ، وانقادوا وراء البلاغة اليونانية ، وبدل أن يصبروا ويتأنوا في مراجعة تراث السلف ، ادعوا تأثر بلاغتنا العربية واستمدادها من تلك الثقافات ...

وعندما نظر فيما أثاره أولئك المحدثون المنكرون لأصالة البلاغة العربية بمحده غير قائم على شيء ذي بال : بل إن مرده إما إلى الاشتباه على هؤلاء والتباس الأمر عليهم ، وإما إلى عدم صبرهم في مراجعة كتب التراث العربي - كما قلت - فلست أرى داعياً لحملة طه حسين على المحافظ وادعائه أنه يتناقض في القول حيث يقصر البديع على العرب ثم يعود فيشرك معهم غيرهم لأننا إذا عرفنا مراد المحافظ بذلك ، وقد أوضحته فيما سبق ، علمنا أنه لا تناقض ، فالأمر إذا مرده إلى اللبس وعدم الفهم الدقيق لمراد المحافظ ... وأرسطوا ليس هو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان - كما زعم - بل إن مسائل البيان ثبتت وتطورت خلال قرون طويلة ، وأثر السابق من علماء المسلمين في اللاحق حتى استقرت مسائل البلاغة على ما استقرت عليه ... فالجهاز العقلى مثلاً الذى يزعم الدكتور أنه من ابتكار عبد القاهر ، ليس من ابتكاره ، ولو صبر الدكتور وراجع تراث السلف مراجعة دقيقة لوضح له ذلك ولعلم أنه قد ورد عند سيبويه والفراء وابن قتيبة وغيرهم ثم جاء عبد القاهر فأفاد ما ورد عند السلف وشرح وحلل وفرق وبين ، وكذا فعل في كل ما تحدث عنه من فنون البلاغة ليس فقط في الجهاز العقلى ..

ولكن الدكتور لإصراره على أن يكون أرسطو هو المعلم الأول ، لما لم يجد المحاجز العقلية  
عنه جعله من ابتكار عبد القاهر ليس هذا فحسب بل حاول أن يقلل من شأنه وأن  
يوجه بأن الفروق التي ذكرها عبد القاهر بين المحاجزين العقلى واللغوى فروق واهية ومحل  
نظر وكأنه يريد أن يرده إلى المحاجز اللغوى الذي جاء عند أرسطو .

ولو تركنا ما أثاره طه حسين ونظرنا إلى ما أثاره الذين ساروا في فلكه ونهجوا  
نهجه وجدنا إصراراً وإسراهاً وتعتباً في محاولتهم رد ما قاله علماء العرب إلى أرسطو  
والربط بين ما تحدث عنه أولئك العلماء وأشاروا إليه وبين كتابات أرسطو في الخطابة  
والشعر والمنطق .. فمثلاً عندما يقول قدامة : "الشعر صناعة وكل صناعة لها طرفان ،  
غاية في الجودة وغاية في الرداءة وبينهما وسائط" ، يستمد قوله هذا - في زعم شوقي  
ضيف من كتابات أرسطو ، فلم لا نقول إنه يستمد من رسالة بشر بن العتمر التي  
روها الجاحظ فقد تحدث فيها عن الشعر والشعراء ، وجعل الأديب في إحدى منازل  
ثلاث وهي الشعر حرفة ... فيبشر أقرب لقدامة من أرسطو ، والأولى أن نربط بين  
رسالة بشر ونقد الشعر ، لا بين نقد الشعر وكتابات أرسطو .. الأمر إذاً يحتاج إلى دقة  
في المراجعة والاستنباط وإعمال الفكر في تأمل تراثنا والربط بين السابق واللاحق ،  
فبهذا تتحقق أصالة البلاغة وتتأكد ، وهذا ما ينبغي أن نصنعه ، أما أن نحرى وراء  
هؤلاء ونسرف ونغالى في الربط بين ما قاله علماؤنا العرب وبين الثقافات الوافدة متهمين  
بلاعثنا بعدم الأصالة ، فهذا ما ينبغي ألا يكون ... ينبغي أن ينمحى ويزال ...

وإياك أن تفهم أننا ننكر التأثير والتأثير بين الثقافات المختلفة عندما تلتقي ، فهذا  
شيء واقع ولا ينكره أحد ، والاحتكاك بين الثقافات دائمًا ينشأ عنه تأثير لا ينكر ، ولكن  
الذى ننكره هو الإسراف والمغالاة في إثبات التأثير سواء أوجد أم لم يوجد ... وهذا التأثير  
يختلف بطبيعة الحال من عصر لآخر ، بل من شخص لآخر ، على نحو ما مر بك في تتبعنا  
لنمو البلاغة وتطورها ...

وعندما قوى واشتد تأثر البلاغة العربية بالفلسفة والمنطق في عهد السكاكي وأتباعه ، ضعفت البلاغة وكثرت التقسيمات والتفرعات ، وتخلت عن الروح الأدبية التي من شأنها تنمية الأدوات وتربيّة المواهب والملكات ... وذلك أن هذا الاتجاه المنطقي قد اهتم بالقاعدة والضبط وتحديد المسائل ، وهذا وحده لا يكفي في الدراسة البلاغية ، بل ينبغي الجمع بين القاعدة الضابطة وبين الشواهد والأمثلة التي تنمى الذوق وتربي الملكة والموهبة ...

وعلى كل فإن هذا التأثير لا ينفي أصالة البلاغة العربية التي وقفت في هذا القسم على نموها وتطورها خلال العصور المختلفة .



## **القسم الثاني**

**فنون البديع**

**دراسة تحليلية ونقدية**

**لمسائل علم البديع**



## تقديم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على رسوله الأمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحابته ومن سلك مسلكه ونهج نهجه إلى يوم الدين .....

أما بعد :

فقد وقف الدارس للقسم الأول من هذا الكتاب على أصول البلاغة ، وألم بنمو الدراسات البلاغية ، و أحاط بمدى التأثر والتأثير بين أولئك الأعلام الذين ألفوا فيها ، و اتضحت له أصالة البلاغة العربية ..... .

أما في هذا القسم فسنعرض لفنون البديع ومسائله ، و غايتنا هي تخلية هذه الفنون ، و الكشف عن دقائقها وأسرارها ، و قد عرف الدارس من خلال القسم الأول رأينا في تلك الفنون ، و أننا لا نسلم بكونها مجرد الزينة والزخرف ، بل نقرر أن تحسينها تحسين ذاتي ، يقتضيه المقام ، و يستدعيه الحال ، كما أننا لا نوفق على تقسيم هذه الفنون إلى محسنات معنوية وأخرى لفظية ، إذ لا يتأتى الفصل بين اللفظ والمعنى ، فالألفاظ أجساد للمعاني ، ولا يظهر للفظ مزية إلا من خلال النظم الذي يسلك فيه ، وعندما تتأمل الألوان البدوية التي وضعت في القسم المعنوي ، ثم تنظر إلى الألوان القسم اللفظي يتضح لك ضعف هذا التقسيم ، إذ لا تجد فرقاً بين تلك الألوان ، أو معنى آخر لا تلمس فرقاً بين الحسن الذي يضفيه اللون من هذه الألوان على المعنى و تكتسبه الصياغة والعبارات والحسن الذي يضفيه اللون الآخر ..... .

ولذا فلن نعتد بهذا التقسيم ، و سيكون هدفنا - كما قلت - تحملية هذه الألوان ، و الكشف عن دقائقها ، و إبراز مكانتها البلاغية ، و بيان وإيضاح أن الزينة المنبعثة منها زينة ذاتية يقتضيها المقام ، و ليست زينة عرضية شكلية تأتى بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة .

فالله عز وجل أسائل أن ينفع بهذا الكتاب طلبة العلم ومحبي المعرفة وأن يجزينا خير الجزاء ويهدينا صراطه المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ...

### المؤلف

د / بسيونى عبد الفتاح

بالقصيم - عنزة

المملكة العربية السعودية

## الطبق

الطبق ويقال له أيضًا : المطابقة ، و التطبيق والتضاد ، و معناه في اللغة : الموافقة ، يقال : طابت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حدو واحد ، ويقال : طابق البعير ، أي : وضع رجله في موضع يده ... قال النابغة الجعدي :

وخيل يطابقن بالدارعين طباقا  
ق الكلاب يطأن الهراسا

الهراس : حطام الشوك ، شبه مشى الخيل بالفرسان وهي تضع أرجلها في موضع أيديها ، بوطء الكلاب حطام الشوك فهي لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت أيديها طباقا للسلامة ، ولذا قال الأصمسي : «المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشى ذات الأربع » .. وفي النظم الكريم : ﴿الذى خلق سبع سموات طباقا﴾<sup>(١)</sup> . أي : محكمات متواافقات بعضها فوق بعض من غير مساسة في نظام بديع عجيب ...

أما في اصطلاح البلاغيين فمعناه : الجمع بين الشيء وضدته في كلام أو في بيت شعر ، كالجمع بين الليل والنهار ، وبين البياض والسود ، وبين الحسن والقبح ، وبين يسعد ويشقى ويظهر ويطن ويحيى ويميت ، ويعز ويذل ، وكذلك الجمع بين حرفين متضادين كالجمع بين «اللام وعلى» في قوله تعالى : ﴿لَمَا كَسَبْتُ وَعَلِيهَا مَا أَكْتَسَبْتُ﴾<sup>(٢)</sup> . ففي «اللام» معنى المنفعة وفي «على» معنى المضرة ، وما متضادان .. وكالجمع بين «في وعلى» في قوله عز وجل : ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هَذِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مِّنْ﴾<sup>(٣)</sup> .

ففي «على» معنى الارتفاع والعلو وفي «في» معنى الانغماس والانحطاط وهما متضادان ... والمراد بالتضاد : تقابل المعنيين ، فالتضاد . هنا تنسع دلالته لتشمل التقابل بالتضاد والتناقض حسب اصطلاح المطقيين ، إذ الضدان عند المناطقة لا يجتمعان

(١) سورة الملك آية ٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٣) سورة سباء آية ٢٤ .

ولكن قد يرتفعان ، كالبياض والسود ، والمناقضان عندهم لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحياة والموت ، والتضاد في باب الطلاق يشمل الأمرين معا ...

### وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي : إذا كان المعنى اللغوي

للطلاق هو الموافقة ، والمعنى الاصطلاحي له هو الجمع بين الضدين في كلام أو في بيت شعر ، فهل هناك وجه مناسبة بين المعنين ؟ .. يرى بعض البلاغيين أنه لا مناسبة بين المعنين ، ويرى آخرون - وهو الأرجح - أن هناك مناسبة تجمع بينهما ومردها إلى أمرين :

أو هما : أن الذي يجمع بين الضدين في كلام متثور أو في بيت شعر ، فهو يوفق بين الضدين في هذا الكلام ..

ثانيهما : أن الطبق بالتحريك معناه في اللغة : المشقة ، قال تعالى : ﴿لَتَرْكِبُنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾<sup>(١)</sup> . أي : مشقة بعد مشقة ، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة وفي الواقع شاقا ، بل متعدرا ، سموا كل كلام جمع فيه بين الضدين طباقاً ومطابقاً وتطبيقاً ...

### مغزى الجمع بين الأمور المضادة : ما من ريب في أن الجمع بين الأمور المضادة

يكسو الكلام جمالاً ويزيد بهاء ورونقا ، فالضد - كما قالوا - يظهر حسنه الضد ، ولكن وظيفة الطلاق لا تقف عند هذا الزخرف وتلك الرينة الشكلية ، بل تتعداها إلى غaiات أسمى ، فلا بد أن يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد . وإلا كان هذا الجمع عبثاً وضرباً من الهذيان . ولننظر في قول الله عز وجل : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup> فقد جمعت الآية الكريمة بين الليل والنهار ، وهما نعمتان من نعم الله على عباده ، ورحمة منه عز وجل بهم ثم ذكرت العلة من جعل الرمان ليلاً ونهاراً ، لنسكن ليلاً

(١) سورة الانشقاق الآية ١٩ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٣ .

ونسعى ونتحرك نهارا ، و الحركة ينبغي أن تكون لمصلحة و بابتغاء من فضل الله تعالى ، لا إفسادا في الأرض ، ولذا أوثر التعبير بابتغاء الفضل دون الحركة ، فالحركة تكون للإصلاح وللإفساد ، وابتغاء الفضل لا يكون إلا إصلاحاً ، وفي ذكر العلة كما ترى جمع بين صدرين السكن وابتغاء الفضل ، و في الجمع بين الصدرين في صدر الآية ثم في عجزها حث للمؤمن ليتأمل هذه النعمة ، لم كان الزمان ليلاً ونهاراً ، سكنا وابتغاء ، وكيف يكون الحال لو كان الزمان نهاراً سرماً إلى يوم القيمة أو ليلاً سرماً إلى يوم القيمة ، ولذا دعانا سبحانه وتعالى للتأمل والنظر والتدبر في قوله عز وجل : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرماً إلى يوم القيمة ، من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلأ تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرماً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكون فيه أفلأ تبصرون ﴾<sup>(١)</sup> ... ولتأمل قوله عز وجل : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعزع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيده الخير إنك على كل شيء قادر . توكل على الليل في النهار وتوجه النهار في الليل وتخرج الخير من الميت وتخرج الميت من الخير وترزق من تشاء بغير حساب ﴾<sup>(٢)</sup> بمنه قد جمع بين أفعال مضادة : ( تؤتي وتزع ) و ( تعز وتذل ) وبين أسماء مضادة : ( الليل والنهر ) ، ( الخير والميت ) : وهذا الجمع يبرز مدى قدرة الخالق عز وجل وهيمته وسلطانه القاهر ، فهو الذي يستطيع أن يؤتى من يشاء من عباده الملك ويزعزعه من يشاء ، متى شاء ، لا راد لمشيئته ، وهو الذي يستطيع إدلال من يشاء ، و إعزاز من يشاء ، متى أراد وكيف شاء دون اعتبار مقاييس البشر فيمن يستحق العزة ومن يستحق الإدلال ... ثم نلاحظ التدرج في القدرة والغلبة والقهر والهيمنة ، فإذا كان في البشر من يستطيع بماله وجاهته وسلطانه أن يعطي وينفع ، وأن يعز ويذل على وجه من الوجوه ، فقد جاءت الآية الثانية بأمور متضادة ، ينفرد بها المهيمن عز وجل ، وهي إيلاج الليل في النهار ، و إيلاج

(١) سورة القصص الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٦ ، ٢٧ .

النهار في الليل ، وإخراج الحى من الميت وإخراج الميت من الحى ، فمن ذا الذى يدعى قدرة على ذلك ؟ إنها أمور ينفرد بها القادر سبحانه وتعالى . وبهذا يتضح لنا أن الطباق ليس قاصراً على الزينة والزخرف وليس المدف منه مجرد التذويق الشكلى ، بل يتجاوز ذلك إلى أهداف أسمى وغايات لا تنتهي .....

صور الطباق : يأتي الطباق في الكلام على أربع صور وهى :

١ - أن يكون بين اثنين ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَخَسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رَقُودٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلْمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتُوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله جل علاه: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ومنه قول النبي : "فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيه للكبر ومن الحياة للموت ، فو الذى نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعتبر ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار .." وقول على - رضى الله عنه وكرم الله وجهه - «إن كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب ...» .

ومنه قول أمرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا	كجلبود صخر حطه السيل من عل
وقول القاضى الأرجانى :	وقول القاضى الأرجانى :
ولقد نزلت من الملوك بما جد	فقر الرجال إليه مفتاح الفنى
وقول لأندر	إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب
تحرك يقطنان السراب ونائمـه	تحرك يقطنان السراب ونائمـه

(١) سورة الكهف الآية ١٨

(٢) سورة فاطر الآيات ١٩-٢٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩ ..

(٤) سورة الحديد الآية ٢ .

ولا يخفى عليك الطلاق فى هذه الشواهد وأنه قد وقع بين اسمين كما نرى :

٢ - أن يكون بين فعليين ، كما فى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾<sup>(١)</sup> ، و قوله تبارك وتعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تَؤْتِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَعْزِيزُ مِنْ تَشَاءُ وَتَذْلِيلُ مِنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومنه قول النبي للأنصار "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع" . فقد طابق بين الفعلين : تكثرون وتقلون ، وهناك طلاق أيضاً بين ((الفزع)) و((الطعم)) ، ولكنه طلاق خفى ، كما سيأتي .

ومن أقوالهم ... قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدى فنبه لها عمرأ ثم نم ..  
وقول الفرزدق .

لعن الإله بنى كليب إنهم لا يفدون ولا يفون بجوار  
يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار<sup>(٣)</sup>  
وقول الحماسى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجده لنفسي حياة مثل أن أتقدما  
وقول لآخر :

لئن ساءنى أن نلتى بمساءة لقد سرني أنى خطرت بيالك فالطلاق فى هذه الشواهد قد وقع بين فعليين ..

(١) سورة النجم آياتا ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٣) بنو كليب : قوم جرير قوله : "لا يغدون" : أى . لا يخونون عدوهم لعجزهم عنه . والأوتار : جمع وتر وهو الثار .

٣ - أن يكون بين حرفين ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله عز وجل : ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(٢)</sup>  
﴿ وَإِنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

وقول مجعون ليلي :

على أتنى راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا لي

فالطبقان في هذه الشواهد بين ((على)) و ((اللام)) في آية سورة البقرة وبين ((على)) و ((في)) في آية سبأ ، لأن في ((على)) معنى المضرة وفي اللام معنى المنفعة وكذا في ((في)) معنى الاستفصال وفي ((على)) معنى الارتفاع ، و معلوم أن الحروف لا يظهر لها معنى إلا مع غيرها فالحروف معان متعددة قد تتضاد وقد تداخل كل وقد تلتقي والمرجع في ذلك هو الاستعمال ، لأن الحروف لا تستقل بنفسها ولا تظهر معانيها إلا بالاستعمال .

٤ - أن يكون بين اسم و فعل ، كما في قوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيِيْنَاهُ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله عز وجل : ﴿ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾<sup>(٥)</sup>  
ومنه قول طفيل :

بساصن وهو ليوم الروع مبذول<sup>(٦)</sup> يصان وهو ليوم الأجاجلـه  
وقول الآخر :

قد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع

(١) سورة البقرة آية ٣٨٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(٣) سورة سبأ آية ٢٤ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٢٢

(٥) سورة البقرة آية ٢٦٠ .

(٦) ساهم الوجه : متغيره من كثرة الجرى صفة للفرس . والأجاجلـه : جمع أجاجلـه وهو عرق في الفرس والبعير .

فالطباق في هذه الشواهد بين : « ميتا وأحينا » ، و « تحيى والموتى » و « يصان ومبذول » ، و « الصير ويجزع » فهو بين اسم و فعل كما ترى .  
هذا والطباق كما يكون بالفاظ استعملت في معانيها الحقيقة ، يكون كذلك بالفاظ استعملت في معانٍ بجازية وعندئذ يكون الطباق في كلا المعنين ، الحقيقى غير المراد و المجازى المراد .. كما مر بنا في الآية الكريمة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأُحْيِيْنَاهُ ﴾ أى ضالاً فهديناه ، فالمعنيان الحقيقيان وهما الموت والحياة متضادان ، والمعنىان المجازيان وهما الضلال والمدى متضادان أيضاً ، وكما في قول الشاعر :

حلو الشمائل وهو مسر باسل      يحمى الذمار صبيحة الإرهاق  
وقول الآخر :

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب      تحرك يقطان التراب ونائمه

فالمراد بخلافة الشمائل : لين الجانب ، و المراد بالمرارة : الشدة وكذا المراد بقطان التراب : متحركه . وبالنائم : الساكن ، فالتضاد يتحقق بين المعانٍ الحقيقة غير المرادة وبين المعانٍ المجازية المرادة ...

ومنه قول الآخر :

لقد أحيا المكارم بعد موته      وشاد بناءها بعد انهدام

إذ المراد : لقد أكثر العطاء في وقت قل فيه العطاء ، فيبين « الإحياء والموت » وبين « التشييد والانهدام » طباق في معانيها الحقيقة والمجازية على حد سواء .. أما إذا كان الطباق بين المعانٍ الحقيقة فقط دون المجازية المرادة فهو من إيهام التضاد الآتي بيانه .

الطباق المعنى : ويسمى أيضاً بالطباق الخفي ، ومعظم البلاغيين جعلوه ملحقاً بالطباق نظراً لخفاء التضاد فيه . وقد عرفوه بأنه « الجمع بين أمر و ما يتعلق بمقابله » .. نحو قوله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ

إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون ﴿١﴾ ، قوله : ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مَرْسُولٌ﴾ ، يستلزم الصدق المضاد للكذب في قوله «إن أنت إلا تكذبون . . .» والمعنى ربنا يعلم إنا لصادقون ، فقد جمع في الآية بين الكذب وبين ما يتعلق بمقابله وهو ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مَرْسُولٌ﴾ ...

ومنه قوله تعالى ﴿مَا خَطَّبُوكُمْ أَغْرِقُوكُمْ فَأَدْخِلُوكُمْ نَارًا﴾<sup>(٢)</sup> ، فقد جمع بين الإغراء وما يتعلق بالإحراء وهو دخول النار ، إذ دخول النار يتسبب عنه الإحراء المقابل للإغراء .. وقوله عز وجل : ﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مِنْهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> مما يقابل الشدة هو اللين ، والآية لم تجمع بين الشدة واللين بل جمعت بين الشدة وما يتعلق باللين وهو الرحمة . وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ رَحْمَةً جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup> فالليل والنهر بينهما طباق ظاهر ، والسكن وابتغاء الفضل بينهما طباق خفي ، إذ المقابل للسكن هو الحركة وابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكن ، وقد مر بنا سر العدول عن الحركة إلى ابتغاء

الفضل في الآية الكريمة :

ومنه قول القائل :

لهم جل مالى إن تتابع لي غنى  
 وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا

فتتابع الغنى يستلزم كثرة المال المضادة لقوله : «قل مالى» .

وقول الآخر :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة  
ومن إساءة أهل السوء إحسانا

(١) سورة يس ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة نوح ٢٥ .

(٣) سورة الفتح ١٩ .

(٤) سورة القصص ٧٣ .

فالذى يضاد الظلم هو العدل لا المغفرة ، و لكن لما كانت المغفرة تتجاوزا عن المجازة ، و العدل بمجازة بالمثل ، كانت المغفرة قريبة من العدل ، فالجمع بينها وبين الظلم جمع بين المعنى و ما يتعلق بمقابلته ، فهو من الطباق الخفى ، أما الطباق بين الإساءة والإحسان ففي البيت فهو طباق ظاهر .

ومن فاسد الطباق الخفى قول أبي الطيب المتنبي :

سرور محب أو إساءة مجرم  
من تطلب الدنيا إذا لم ترد بها

ووجه فساده : أن الذى يضاد المحب هو المبغض ، و ليس هنالك تلازم بين المجرم والمبغض ، فال مجرم قد لا يكون مبغضا إلا أن يقال : إن بين الإجرام والبغض تلازم ادعائيا ، و كان الشاعر يدعى أن الجرم لا يكون إلا ببعض المحب لمنافاة حاله حاله ، فإن قيل هذا لا يكون الطباق فاسدا .. وفي البيت طباق خفى آخر صحيح بين السرور والإساءة ، فالسرور يضاد الحزن ، و قد جمع بين السرور وبين الإساءة التى تستلزم الحزن عادة .

ومن الطباق الخفى أيضا قوله أبي تمام :

قنا الخط إلا أن هاتا أو انس  
مها الوحش إلا أن تلك ذوابل

حيث طباق بين ((هاتا)) اسم إشارة للقريب وبين ((تلك)) اسم إشارة للبعيد ..  
ويمكن أن يعد الطباق بين الحروف من الطباق الخفى ، لأن الحروف لا تظهر معانيها إلا بالاستعمال كما ذكرنا .



طبق الإيجاب وطبق السلب : إذا كان المعنيان المتضادان مثبتين معا ، كما فى

الشواهد السابقة أو منفيين معا كما فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا  
وَلَا يُحْيى ﴾<sup>(١)</sup> .. وكما فى بيت الفرزدق السابق :

لعن الإله بنى كلب إنهم لايقدرون ولا يفون لجار

سمى الطباق : طباق الإيجاب .. أما إذا كان أحد طرفي الطباق مثبتا و الآخر منفيا ، وهذا يعني أن المعنى يكون واحدا ويستعمل مرة مثبتا وأخرى منفيا ، أو مرة مأمورا به وأخرى منها عنه فى كلام واحد ... إذا كان الطباق كذلك سمى طباق السلب ، ومن شواهده قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله عز وجل : ﴿ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٣)</sup> .

فقد استعمل العلم فى الآيتين مرة مثبتا وأخرى منفيا ... ومنه قوله تعالى :

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فال فعل ((رمى)) جاء مثبتا مرة ومنفيا أخرى وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٌ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لَبَيْنَ لَكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> فمخلقة جاءت فى الآية مثبتة ومنافية .. وقوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا وَمَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ بَخَادِعُونَ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدُعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> فقد طابق بين ﴿ آمَنَّا ﴾ و ﴿ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وبين ﴿ بَخَادِعُونَ ﴾ و ﴿ مَا يَخْدُعُونَ ﴾ وتكمى بلاغة الطباق فى هذه الآية الكريمة فى أنه قد كشف عن عقيدة هؤلاء وجلسى نفافهم وأبرز خداعهم وكذبهم ، كما أن فيه أقوى رد على ما ادعوه من الإيمان ، و أبلغ زجر لما يفعلونه من الخداع والمكر .. ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) سورة الأعلى آية ١٣ ..

(٢) سورة الزمر آية ٩ ..

(٣) سورة الروم آية ٦ ، ٧ ..

(٤) سورة الأنفال آية ١٧ ..

(٥) سورة الحج آية ٥ ..

(٦) سورة البقرة آية ٨ ، ٩ ..

لا يخلدون شيئاً وهم يخلدون <sup>(١)</sup> ، حيث جمع بين ﴿لا يخلدون﴾ ، ﴿وهم يخلدون﴾ وفيه إبراز وتجليه لعجزهم وهاونهم .. ومنه قول عز وجل : ﴿فلا تخشوا الناس واحشون﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿فلا تقل لهما أَفْ وَلَا تنهِرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ <sup>(٣)</sup> فقد ذكر الفعل في الآيتين مرة مأمورا به : ﴿قُلْ لَهُمَا﴾ و﴿اخْشُونِ﴾ ومرة منهيا عنه ﴿لَا تقل لهما﴾ ، و﴿لَا تَخْشُوا﴾ ومن أقوالهم : قول أبي تمام :  
إلى سالم الأخلاق من كل عائب وليس له مال على الجحود سالم

حيث جمع بين ((سلامة الأخلاق)) و((عدم سلامة الأموال)) .

وقول مسلم بن الوليد :

هي البدر يغنيها تودد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودد

فقد طابق بين ((تودد)) و((لم تودد)) .. وقول الآخر :

لا تلمى على التي فتنى وأرتى القيبح غير قبيح

طابق بين ((قبيح)) و((غير قبيح)) ... وقول امرئ القيس :

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا وعزيت قلبي بالكرواعب مولعا

طابق بين ((جزعت)) و((لم أجزع)) ... وقول الحماسى :

ونكرا إن شيئا على الناس قوله ولا ينكرون القول حين نقول

طابق بين ((نكر)) و((لا ينكرون)) ... وقول الآخر :

خلقوا وما خلقوا لكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

(١) سورة النحل آية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٣) سورة الإسراء آية ٢٣ .

فقد طابق بين (( خلقوا و ما خلقوا )) وبين (( رزقوا و ما رزقا )) وقد أبرز الطباق وجلى ما أراده الشعراء من معانى المدح والغزل والفخر والهجاء فى الآيات المذكورة .

وبهذا يتضح أن طباق السلب قد يكون بين فعلين أحدهما مثبت والآخر منفي ، أو أحدهما مأمور به والآخر منهى عنه ، وقد يكون بين اسمين حيث يثبت الاسم مرة وينفي مرة أخرى ، وقد يكون بين فعل واسم من مادة واحدة أحدهما مثبت والآخر منفي .. كما رأينا في الشواهد . وهذا هو رأى جمهور البلاغيين وهو المشهور والراجح <sup>(١)</sup> .

وقد حصر بعض البلاغيين طباق السلب في الأفعال دون الأسماء ، ومن هؤلاء الخطيب القزويني الذي عرّفه بقوله : (( هو الجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهى )) <sup>(٢)</sup> ... وهذا ليس برأى فالصواب رأى جمهور البلاغيين الذي ذكرناه أولا ...



---

(١) انظر الصناعتين ٤٢١ .

(٢) بغية الإيضاح جـ ٤ ص ٧ .

طريق التدبيج : التدبيج في اللغة : التزيين ، يقال : دبح الأرض أى : زينها وفي اصطلاح البلاغة : يختص بالألوان التي تذكر بقصد الكناية أو التورية فقد عرفوه بأنه ذكر لونين أو ألوان بقصد الكناية أو التورية في معنى من المعاني كالتدبيج والفحش والغزل والوصف ونحو ذلك .

ومن أمثلته قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد :

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس

فقد كنى عن الاستشهاد بارتداء الثياب الحمراء ، ثم كنى عن دخول الجنة بلبس السندس الأخضر ، وجمع بين الحمرة أو الخضرة على سبيل الطباق ...

ومنه قول عمرو بن كلثوم في الفخر بقومه :

وأنا نورد الرايات بيضا ونصرهـن حمرا قد روينا

فقد كنى بالرايات البيضاء عن شجاعتهم وقوتهم وأنهم لا يخافون العدو ولا يعبأون به ، بل يلقون الأعداء بوجوهه وضاحكة ونفور باسمة ، وهذا عنوان شجاعتهم وقوتهم ، ثم كنى باحمرار الرايات عن كثرة القتلى من الأعداء فالرايات قد ارتوت بدمائهم فصبغت باللون الأحمر ... والطباق في البيت بين (( الحمرة والبياض )) .

ومنه قول ابن حيوس مادحا :

إن ترد علم حا لهم عـن يقين فالـقـهم يـوم نـائل أو نـزال

تلـقـ بـيـض الـوـجوـه سـود مـثار النـقـف عـ خـضرـ الأـكـنـاف حـمـرـ النـصـالـ(١)

كى (( بيض الوجه )) عن كرمهم ، و ((سود مثار النقع خضر الأكناfe، حمر النصال )) عن شجاعتهم ، و الطباق فيه بين البياض والسود والخضرة والحمرا ،

(1) النائل : العطاء ، والنزال : مصدر نازل أى : قابله في الحرب وقاتلته والأكناfe : جمع كتف وهو الجانب ، وخضرتها كناية عن سواد دروعها والعرب تسمى الضارب إلى السود أحضر ، والنصال ، حديدة الرمح والسيف والسكين وربما سمى السيف نصلا .

ونلاحظ في البيتين محسناً بديعياً آخر وهو اللف والنشر حيث ذكر متعددًا : (( يوم نائل  
واليوم نزال )) ، ثم ذكر ما لكل بلا تعين ، فيبض الوجه يرجع إلى يوم نائلهم وما  
بعده يرجع إلى يوم نزالم ... والتديبيج في الأبيات السابقة يسمى تديبيج الكناية ، أما  
تديبيج التورية فكقول الحريرى : « فمذ ازور المحبوب الأصفر وأغير العيش الأخضر  
اسود يومي الأبيض وايضاً فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فياحبذا الموت  
الأحمر »<sup>(١)</sup> ، فقد ورى بالمحبوب الأصفر عن الذهب ، أما بقية الألوان فكنيات حضرة  
العيش : كناية عن طبيه ، وبياض اليوم : كناية عن السرور وسود الفود : كناية عن الشباب  
والقرة ، والعدو الأزرق : كناية عن شدة عداوته ، والموت الأحمر : كناية عن الموت  
الجديد الطارئ ... وبهذا تكون العبارة قد جمعت بين تديبيج التورية وتديبيج الكناية ...  
ومن طباق التديبيج في النظم الكريم قوله : تعالى : ﴿ أَلمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَا فِي أَرْضٍ وَمِنَ الْجَبَلِ مَذْدُودٌ مُّخْلِفُ الْأَوْانِهَا وَمِنَ  
الْأَوْانِهَا وَغَرَابِيبِ سُودٍ ﴾<sup>(٢)</sup> فألوان الجبال المذكورة في الآية كناية عن المشتبه والواضح  
من الطرق ، لأن الجادة البيضاء هي الطريق الواضح الذي كثر سلوكه والسير فيه ، ولذا  
قيل : ركب بهم الحجة البيضاء ، دون البيضاء الحمراء دون الحمراء السوداء ، فهي  
في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح .

ذكر الألوان بقصد الحقيقة أو المجاز : اختلف العلماء في ذكر الألوان بقصد الحقيقة  
أو المجاز ، هل يعد من التديبيج ؟ أم أن التديبيج مقصور على ذكر تلك الألوان بقصد  
الكناية والتورية فقط ؟ . والرأى الصواب أن ذكر الألوان بقصد الحقيقة كما في قول  
ذى الرمة :

كحلاء في برج صفراء في نعج      كأنها فضة قد مسها ذهب

(١) ازور : بعد ، وايضاً الفود : كناية عن الضعف ، و الفودان . شعر جانبي الرأس مما يلي الأذن ،  
والعدو الأزرق : الحالص العداوة .

(٢) سورة فاطر ٢٧ .

يعد من التدبيج أيضاً ، فهو يشمل ذكر الألوان بقصد الحقيقة أو الكنایة أو التوریة . أما ذكرها بقصد المجاز فهو من إيهام التضاد الآتى بيانه .

ما يلحق بالطريق : الحق البلاغيون بالطريق أمرین :

أوهما : الطريق الخفي أو المعنى ، وقد سبق بيانه .

ثانيهما : إيهام التضاد وهو التعبير عن المعنى غير المقابلة بألفاظ تقابل معانيها الحقيقةية . كما في قول دعبدل الخزاعي :

لا تعجبني يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فالمراد بالضحك : ظهور الشيب ظهوراً تماماً ، وهذا المعنى المجازى لا يقابل البكاء ، ولكن المعنى الحقيقي للضحك يقابل المعنى الحقيقي للبكاء ...  
ومنه قوله الآخر :

وقد أطفأوا شمس النهار وأوددوا نجوم العوالى فى سماء عجاج

فالمراد بالإطفاء : إثارة الغبار حتى يغطى ضوء الشمس ، والمراد بإيقاد نجوم العوالى : إشهار السيف وتشريع الرماح ، وهذا المعنى المجازيان المرادان لا تقابل بينهما ، ولكن التقابل بين المعنىين الحقيقيين لكل من الإطفاء والإيقاد فهو من قبيل إيهام التضاد .  
ومنه قوله البحترى في وصف بركة المتكفل :

ف حاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريق الغيث أحياناً يباكيها

فالمراد بالمضاحكة : الإشراق والمعان ، والمراد بالمباكاة سقوط الأمطار وهطولها ..  
وهذا المعنى المجازيان لا تقابل بينهما ولكن التقابل بين المعنىين الحقيقيين للمضاحكة والمباكا .

ومنه قوله أبي تمام :

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحث ترى المنايا سودا

استعار البيض الوضع لنقاء الأحساب ، وكى عن القتل فى الحرب بالمنايا السود ،  
فلا تضاد بين المراد باليض والسود فى البيت ، ولكن معنיהם الحقيقيين متضادان ..  
وكذا قوله فى وصف الشيب :

له منظر في العين أبيض ناصع      ولكنه في القلب أسود أسفع<sup>(١)</sup>

وقوله :

وتنظري خبب الركاب ينصها      محي القريض إلى ميت المال<sup>(٢)</sup>

استعار الأسود الأسفع : للحزن الشديد ، واستعار الإحياء للمحافظة على استمرار  
الإنشاد والإماتة للإنفاق . فالمعنى المراده فى البيتين لا تضاد بينها ، ولكن التضاد بين  
معانيها الحقيقية .

ترشيح الطباق : الترشيح فى اللغة معناه التقوية ، و ترشيح الطباق أن يوجد بجانب  
التضاد بين المعنين صورة أخرى من صور البديع أو لون من ألوان البلاغة ، فيتقوى  
الطباق بذلك ، ويكتسى الكلام طلاوة وبهاء ، ويزداد المعنى وضوحاً وبياناً .. من  
ذلك قوله تعالى : ﴿تَوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَوْلِجُ النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ وَتَخْرُجُ الْحَىِّ مِنْ  
الْمَيْتِ وَتَخْرُجُ الْمَيْتِ مِنْ الْحَىِّ وَتَرْزَقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقد اقتربن الطباق  
بصورة بديعية أخرى وهى العكس ﴿تَوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ... النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ ... الْحَىِّ  
مِنْ الْمَيْتِ ... الْمَيْتِ مِنْ الْحَىِّ﴾ ، كما اقتربن بمبالغة التكميل التي تليق بالقدرة الإلهية ،  
ففى العطف بقوله تعالى : ﴿وَتَرْزَقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ دلالة على أن من قدر على  
تلك الأفعال التى لا يقدر عليها غيره فهو قادر على أن يرزق من يشاء من عباده بغير  
حساب ، وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الله الخالق تبارك وتعالى .

(١) الأسود الأسفع : الأسود الضارب إلى حمرة .

(٢) تنظرى .. معنى انتظرى . والخبب : تراوح الفرس فى عدوه بين يديه ورجليه بأن يقسم على  
إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة . والركاب : الإبل وينصها : يمثها حثاً شديداً . والقريض :  
الشعر .

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٧

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ رَحْمَتْهُ جَعَلَ لَكُمُ الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(١)</sup> . فقد اجتمع في الآية الطيّاق واللف والنشر .. وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ آتَاهُ يَرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقد اقترب الطيّاق بين الخوف والطمع بصحّة التقسيم إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ولا ثالث لهذين القسمين .. وقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقد طابق بين الأمان والخوف وأقرن الطيّاق بالجنس بين الأمر والأمان ... ومن أقوالهم ... قول أمير القيس :

مَكْرٌ مُفْرِّرٌ مَقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعًا      كَجَلْمودٍ صَخْرٍ حَطَهُ السَّيْلُ مِنْ

فقد طابق بين الكرا والفر ، وبين الإقبال والإدبار ، ثم أقرن ذلك بالتكامل (( معًا )) الذي زاد المعنى بهجة وقوة . إذ أفاد شدة القرب في حالتي الإقبال والإدبار وحالتي الكرا والفر ، فأنت تراه مكرًا في حال القرار ومفرا في حال المكر ، وتراه مقبلاً حال رؤيتك له مدبرا .. وهذا بفضل مبالغة التكميل في قوله : (( معًا )) ... ثم استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل إلى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعى ، وبهذا اشتمل البيت على الطيّاق والتكميل والاستطراد ...

وقول ابن حيوس :

إِنْ تَرَدْ عِلْمَ حَامِمٍ عَنْ يَقِينٍ      فَالْفَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نَزَالٍ

تَلْقِي بَيْضَ الْوِجْهِ سَوْدَ مَثَارٍ      عَخْضُ الْأَكْنَافِ هَمَرَ النَّصَالِ

فقد قرن طيّاق التدبيج في البيتين باللف والنشر كما وضحنا لك

★ ★ ★

(١) سورة القصص الآية ٧٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٤ .

(٣) سورة النساء الآية ٨٣ .

## المقابلة

وقد اختلف البلاغيون في المقابلة ، فبعضهم جعلها فناً مستقلاً و بعضهم جعلها من الطباق ، لأنها عبارة عن طباق متعدد ، فالطباق إذا جاوز ضدين صار مقابلة ... وهذا هو الراوح ... وعليه فالمقابلة : أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب ... والمراد بالتوافق خلاف التقابل فلا يشترط فيها التناسب - كما في مراعاة النظير الآتي بيانه - بل المراد ألا تكون تلك المعانى متضادة ، وهذا هو المقصود بالتوافق ... وتبعد المقابلة بطبقين أو بطبق وملحق به ثم تتصاعد إلى أن تبلغ إلى مقابلة ستة معان بستة معان آخرى ومن شواهدها قوله تعالى : ﴿فَلِيضْحِكُوكُلَّا وَلِيُكَوِّنُ كُلَّا جَزَاءً بِمَا كَانُوكُلَّا يَكْسِبُون﴾<sup>(١)</sup> ، فقابل الضحك والقلة بالبكاء والكثرة ... وقوله عز وجل : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(٢)</sup> ، قابل إرادة اليسر بعدم إرادة العسر .. وقوله تعالى : ﴿فَرَحُ الْمُخَالَفُونَ بِمَقْعُدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> ، قابل الفرح والقعود بالكراهية والجهاد ، وهذا يتم عن عداوة المنافقين وشدة حقدتهم فسرورهم كامن في القعود والتخلف ، وحزنهم وكراهيتهم في الجهاد لإعلاء كلمة الحق ... ومن ذلك قول النبي " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه " وقوله عليه الصلاة والسلام للأنصار : " إنكم لتکثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع " ... وقول عمران الطلحى للمنصور وقد وجه إليه قوله : (( بلغنى أنك بخيلا )) ، فقال : يا أمير المؤمنين : (( ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل )) .. وقول النابغة الذبيانى :

فتى تم فيه ما يسر صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعداء

(١) سورة التوبة الآية ٨٢

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٣) سورة التوبة الآية ٨١

وقول المعرى :

يَا دَهْرٍ يَا مِنْجَزٍ إِيَّادَهُ وَمَخْلُفُ الْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدَهُ\*

وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا فِي الشَّوَاهِدِ مِنْ مَقَابِلَةٍ مَعْنَيَيْنِ بِمَعْنَيَيْنِ ..

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَوَاعْجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَاصْحَاحَ وَفِي وَمَطْوَى عَلَى الْغَلْ غَادَر

فَقَدْ قَابِلَ ((النَّصْحُ وَالْوَفَاءُ بِالظَّيْنِ عَلَى الْغَلْ وَالْغَدَرِ)) .

وَمِنْ مَقَابِلَةٍ ثَلَاثَةٌ مَعَانٌ بِثَلَاثَةِ معَانٍ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَعْلَمُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ﴾<sup>(١)</sup> وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَكِيلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فَقَدْ قَابِلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ بِالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ لَهُمْ بِتَحْرِيمِ الْخَبَائِثِ عَلَيْهِمْ .. وَالْأَسْى عَلَى مَا فَاتَ بِالْفَرَحِ بِمَا آتَى .. وَمِنْ قَوْلِ الْمُتَنبِّي :

فَلَا الْجُودُ يَفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقْبِلٌ وَلَا الْبَخْلُ يَبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَدْبُرٌ

فَقَدْ قَابِلَ الْجُودَ وَالْإِفْنَاءَ وَالْإِقْبَالَ بِالْبَخْلِ وَالْإِبْقَاءَ وَالْإِدَبَارِ .

وَمِنْ مَقَابِلَةٍ أَرْبَعَةٌ بِأَرْبَعَةِ ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحَسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْيَسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحَسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْعَسْرَى﴾<sup>(٣)</sup> ، فَقَابِلَ الْإِعْطَاءِ وَالْإِتَّقَاءِ وَالْتَّصْدِيقِ وَالتَّسْيِيرِ لِلْيَسْرَى ، بِالْبَخْلِ وَالْإِسْتَغْنَاءِ وَالتَّكْذِيبِ وَالتَّسْيِيرِ لِلْعَسْرَى .. وَمِنْهُ قَوْلُ أَبْيَ بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي وَصِيَّتِهِ عَنِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتِ : ((هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ عَنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا خَارِجًا مِنْهَا ، وَأَوْلَى عَهْدِهِ بِالآخِرَةِ دَاخِلًا فِيهَا ..)) فَقَدْ قَابِلَ أُولَآءِ بِسَآخِرِ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَخَارِجَ بِدَاخِلٍ وَمِنْهَا بِفِيهَا .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٣ .

(٣) سورة الليل الآية ٦ ، ٥ .

ومنه قول أبي تمام :

يا أمة كان قبح الجور يسخطها دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

وقول جرير :

وباسط خير فيكم يمينه وقابض شر عنكم بشماله

ومن مقابلة خمسة معان بخمسة معان ، قول صفي الدين الحلبي :  
كان الرضا بدنوى من خواطرهم فصار سخطى لبعدى عن

ف مقابل « كان و الرضا والدلو ومن وخواطر » بـ « صار والسخط والبعد وعن وجوارهم » ... ونلاحظ أنه لا تضاد بين الجوار والخواطر إلا على اعتبار أن الخواطر تتحول داخل فكر الإنسان ، و الجوار يكون خارجاً عن فكره ... وهذا جار على مذهب من يرى أن المقابلة تكون بالأضداد وبغيرها ... وأقصى ما تصل إليه المقابلة - كما قلنا - مقابلة ستة معان بستة معان أخرى .. كما في قول عنترة :

على رأس عبد تاج عزيز ينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

هذا وليست العبرة بكثرة المقابلة ، بل المقابلة الجيدة ما جرت بمحى الطبع ولم تأت متتكلفة ، و إلا كانت سبباً من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقيده ...  
رأى السكاكي في المقابلة : يرى السكاكي أن المقابلة أن تجمع بين شيئين متافقين أو أكثر وضديهما أو أضدادها ، ثم إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده ، كما في قوله تعالى ﴿فَإِمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى...﴾ الآيات فإنما لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده و هو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك المعانى وهي المنع والاستغفاء والتکذيب ... ولذا عاب النقاد المقابلة في قول أبي دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

حيث اشترط في حسن الدين والدنيا الاجتماع ، ولم يشترط في قبح الكفر والإفلاس ضده ، بل شرط فيهما الاجتماع أيضا ... والبيت معيب من زاوية أخرى ، وهى أن قافيةه مستدعاة لأجل الوزن ومتناهية مع المعنى ، لأن ما ذكره غير مختص بالرجال .. وقد فضل النقاد على هذا البيت قول المتنبى :

**أزورهم وسود الليل يشفع لي وأنشى وبياض الصبح يغرى بي**

بتمكن القافية وسهولة النظم وكثرة المقابلة ، فهى في بيت المتنبى مقابلة خمسة معان بخمسة معان ، وفي بيت أبي دلامة مقابلة ثلاثة بثلاثة .. ولكن بيت أبي دلامة يفوق بيت المتنبى بجودة المقابلة ، فإن ضد الليل الحمض هو النهار لا الصبح<sup>(١)</sup> ...

**ما الفرق بين الطباق والمقابلة؟ والفرق بين الطباق والمقابلة يأتي من وجهين :**

الأول : أن الطباق جمع بين ضدان ، أما المقابلة فتكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد ، ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه ، وقد تصل إلى الجمع بين اثنى عشر ضدأ ، ستة في الصدر وستة في العجز على نحو ما رأينا في الشواهد .

الثاني : أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد أما المقابلة ف تكون بالاضداد وبغيرها ، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة وأعظم موقعأ ، وعندما تقع المقابلة بغير الأضداد ، فلابد أن يكون هنالك اعتبار للتقابل على نحو ما .. كما رأينا في بيت صفى الدين الحلبي :

**كان الرضا بدنوى من خواطرهم فصار سخطى لبعدى عن جوارهم**

---

(١) انظر بغية الإضاح حـ ٤ ص ١٥ .

## مراقبة النظير

وفن مراقبة النظير قوامه الجمع بين الأمور المتناسبة ، ولذا يسمى أيضًا بالتناسب والائتلاف والتوفيق والتلتفيق والمؤاخاة بين المعانى ... وقد عرفه البلاغيون بأنه : الجمع بين أمرتين متناسبتين أو أمور متناسبة بغير التضاد .. فهو عكس الطباق الذى يقوم على أساس الجمع بين الأمور المتناسبة ... وهذا اللون من البديع أشار إليه الشعراء فى العصر الأموى وإن لم يسموه بهذه التسمية ، فقد روى أنه اجتمع نصيب والكميـت وذو الرمة ، فأنشد الكميـت :

أم هل ظعائن بالعلياء يافعة      وإن تكامل فيها الأنس والشنب<sup>(١)</sup>

فعقد نصيب عقدة ، فقال له الكميـت : ماذا تحصى ؟ قال : خطأك ، فإنك باعدت فى القول ، أين الأنس من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لياء فى شفتيها حوة لعس      وفي اللثات وفي أنبيابها شنب<sup>(٢)</sup>

فن慈悲 أدرك أن الكميـت لم يراع التناـسب حيث جمع بين أمرتين متباعدـين ، وأوضح له أن الصواب فى مثل هذا هو بيت ذى الرمة الذى جمع فيه بين الشفتـين واللثـات والأنيـاب وهـى أمـور مـتنـاسبـة ، وكـذلك الحـوة والـلعـس والـشـنب ... ومن شـواهدـ هـذا الفـن فى النـظمـ الـكريـمـ قولهـ تعالى : ﴿الـشـمـسـ وـالـقـمـرـ بـحـسـبـانـ﴾<sup>(٣)</sup> ، حيث جـمعـ بينـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ وـهـماـ مـتـنـاسـبـانـ . وـقولـهـ عـزـ وـجـلـ : ﴿وـالـذـينـ يـكـنـزـونـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ وـلـاـ يـنـفـقـونـهـ فـسـيـلـ اللـهـ فـبـشـرـهـ بـعـذـابـ أـلـيـمـ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالـذـهـبـ وـالـفـضـةـ نـقـدانـ مـتـنـاسـبـانـ ، وـمـثـلـهـ قولهـ تعالى : ﴿يـخـرـجـ مـنـهـمـ الـلـؤـلـؤـ وـالـمـرـجـانـ﴾<sup>(٥)</sup> ، ﴿كـأـنـهـنـ﴾

(١) الشـنبـ : مـاءـ وـرـقـةـ وـبـرـدـ وـعـذـوبـةـ فـىـ الأـسـنـ .

(٢) اللـمـىـ : سـمـرـةـ فـىـ الشـفـةـ . وـالـحـوةـ : حـمـرـةـ مـشـوـبـةـ بـسـوـادـ . وـالـلـعـسـ سـوـادـ مـسـتـحـبـ فـىـ الشـفـةـ .

(٣) سـوـرـةـ الرـحـمـنـ آـيـةـ ٥ـ .

(٤) سـوـرـةـ التـوـبـةـ آـيـةـ ٣٤ـ .

(٥) سـوـرـةـ الرـحـمـنـ آـيـةـ ٢٣ـ .

**الياقوت والمرجان** <sup>هـ</sup><sup>(١)</sup> فاللؤلؤ والمرجان والياقوت أمور متناسبة لكونها معادن نفيسة  
مفترضة في الأذهان .. ومن أقوالهم ، قول البحترى يصف إبلًا هزيلة :  
**كالقسى المعطفات بل الأسى — هم مبرية بل الأوتار**

فقد شبه تلك الإبل الهزيلة بالقسى في الرقة والهرال ، ثم أضرب إلى الأسهم وهي  
أرق ، ثم إلى الأوتار وهي أشد رقة ، وكل من القسى والأسمه والأوتار أدوات  
متناسبة ... وقول ابن رشيق :

**أصح وأقوى ما سمعناه في الندى**  
**من الخبر المأثور منذ قديم**  
**أحاديث ترويها السيوول عن الحيا**  
**عن البحر عن كف الأمير تميم**

فقد جمع بين الصحة والقوه والسمع والخبر المأثور والأحاديث والروايات وتلك  
الأمور يدرك المناسبة بينها من ألم بعلم مصطلح الحديث ... ثم جمع بين السيوول والحياة  
والبحر وكف الأمير تميم ، ولاحظ في هذه الأمور صحة الترتيب في العنونه إذ جعل  
الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الحديث ، فالسيوول أصلها المطر والمطر أصله  
البحر ، والبحر أصله كف الأمير مبالغة وادعاء ... وقول البهاء زهير :

**لم يقض زيدكم من وصلكم وطره**      **ولا قضى ليلا في هجركم سحره**  
**تركتم خبرى في الهجر مبتدأ**      **وكل معرفة لي في الهوى نكرة**  
فقد جمع بين الخبر والمبتدأ والمعرفة والنكرة وهي أمور متناسبة يدرك التناسب بينها  
من ألم بمسائل علم النحو ويمكن أن يضاف إلى هذه الأمور (زيد) الذي كثر الاستشهاد به  
وتردده في علم النحو ...

إذا لم يراع المتكلم الجمع في كلامه بين الأمور المتناسبة عد ذلك عيباً وخططاً ، كما  
رأينا في قول الكميت السابق ... وكما في قول أبي نواس :

**وقد حلفت يميناً — مبرورة لاتكذب**

---

(١) سورة الرحمن آية ٥٨ .

## بِرْبُ زَمَّزَمَ وَالْحَمْوَضَ وَالصَّفَا وَالْخَصَبَ

فإن الحوض لا يتناسب مع زمم الصفا والمحصب ، وإنما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وما يجرى بعراهما مما هو منوط بيوم القيمة ، أما زمم الصفا والمحصب ، فتذكرة مع الركن والخطيم وما يجري بعراهما .. هذا وقد يلحق الشاعر بالأمور المتناسبة أمراً لا يتلاءم معها في الحقيقة والواقع ، وإنما يتلاءم معها في الخيال والتصور ، وهو يهدف من وراء ذلك إلى غرض بلاغي كالمبالغة في المديح وغيره من المعانى ، على نحو ما مر بك فى بيته ابن رشيق إذ الحق كف الأمير بالسيل والحياة والبحر وجعله أصلاً لتلك الأمور وذلك مبالغة في كرم الأمير وعطائه ...  
وانظر إلى قول محمد بن وهيب :

## ثلاثة تشرق الدنيا ببهجهتها شمس الضحى وأبو إسحاق

تجده قد جمع بين الشمس والقمر ولا يخفى عليك ما بينهما من تناسب ، أما أبو إسحاق فلا يتناسب معهما في الواقع وإنما يتناسب معهما في خيال الشاعر الذي سوى بينه وبينهما في الإشراف والبهجة .. وكذا قد يجمع الشاعر بين عدة أمور لا تتناسب في الحقيقة والواقع ، وإنما تتناسب في خياله ، ويتحقق من وراء الجمع بينها مقصود من المقاصد .. من ذلك قول الشاعر :  
إذا لم يكن للمرء في الخلق مطعم فذو التاج والسلقاء والذر واحد

فمن ذا الذى يجمع بين الملك صاحب التاج والسلطان وبين من يقوم بسقاية الناس .  
ومن ذا يسوى بينهما وبين الذر ، إنها أمور لا تتناسب فى الواقع ، ولكن خيال الشاعر  
سوى بينها ، فاجتمع بين الثلاثة من صنع الخيال الممحض ، الذى أبرز أن من لا مطعم له فى  
الدنيا وأهلها يتساوى عنده الملك ذو السلطان والسفقاء والذر .

**إيهام التناسب** : ألحق البلاغيون بمراعاة النظير ، إيهام التناسب وهو أن يكون اللفظ له معنian أحدهما مراد والآخر غير مراد ويكون المعنى غير المراد هو الذى يتناسب مع الأمور التى ذكرت معه .. من ذلك قوله تعالى : ﴿الشمس والقمر بحسبان النجم﴾

والشجر يسجدان <sup>(١)</sup> فالنجم له معنيان أحدهما غير مراد في الآية الكريمة وهو الكوكب الذي يتلاعه مع الشمس والقمر ، والثاني مراد وهو النبات الذي لا ساق له وهو بهذا المعنى المراد يتناسب مع الشجر المذكور بعده... فالنجم بمعنى النبات لا يتناسب مع الشمس والقمر ، ولكنه يتناسب معهما إذا كان بمعنى الكوكب وهذا المعنى غير مراد في الآية الكريمة .. وخلاصة القول : أن بين النجم في الآية وبين الشمس والقمر إيهام التنااسب ، أما النجم والشجر فيبينهما مراعاة النظير ...

تشابه الأطراف : ومن مراعاة النظير ما يسميه بعض البلاغيين بتشابه الأطراف

وهو أن يختتم الكلام بما يتناسب مع أوله في المعنى ...

كقوله تعالى : ﴿ لَا تدرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقد ختمت الآية بما يناسب أولها ، إذ ﴿ الْلَّطِيفُ ﴾ يلائم ﴿ لَا تدرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، و ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ يلائم ﴿ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ لأن من يدرك الشيء يكون خبيراً به .. ومنه قوله تعالى : ﴿ لِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإن الذي يملك ما في السموات وما في الأرض يكون غنياً عن كل ما عداه ، ولما كان ما في السموات وما في الأرض مخلوقاً لمنفعة العباد ، كان الحال المنعم مستحقاً للحمد من المنعم عليهم .. ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعُدْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، لأن الذي أنعم هذا الإنعام ، سخر ما في الأرض ، وسخر الفلك تجري في البحر ، ويسرك السماء أن تقع على الأرض ، من يفعل ذلك يكون رعوباً رحيمًا بعباده ... وما يروى أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قول الله عز وجل :

(١) سورة الرحمن آية ٥ ، ٦

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣

(٣) سورة الحج آية ٦٤

(٤) سورة الحج آية ٦٥ .

﴿فَإِنْ زَلَّتْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ، فوضع  
 القارئ : ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مكان : ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قائلًا : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 رَّحِيمٌ﴾ ، فقال الأعرابي ، ولم يكن يقرأ القرآن : ((إن كان هذا كلام الله فلا ، الحكيم  
 لا يذكر الغفران عند الرلل ، لأنه إغراء عليه )) ، فختام الآية بالعزوة والحكمة يناسب ذكر  
 الزلل بعد وضوح الحق وتبييه ... وروى أن الرسول ، كان يعلى على زيد بن ثابت  
 قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا اُنْسَانًا مِّنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَا نَطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ  
 ثُمَّ خَلَقْنَا الْنَّطْفَةَ عَلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مَضْعَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْعَةَ عَظَامًا فَكَسَوْنَا الْعَظَامَ لَحْمًا ثُمَّ  
 أَنْشَأْنَاهُ حَلْقًا آخَرَ﴾<sup>(٢)</sup> وهنا قال أحد الصحابة : ((فتبارك الله )) ، فابتسم النبي ثُمَّ  
 قال : ((بها ختمت )) ، وختام الآية الكريمة ﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ... وورد  
 أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدَسْرٍ . تَحْرِي بِأَعْيُنِنا  
 جَزَاءٌ لِمَنْ كَانَ كُفُّرًا﴾<sup>(٣)</sup> ، فقرأها القارئ بفتح الكاف ، فقال الأعرابي : لا يكون ، فلما  
 قرأها القارئ بضم الكاف وكسر الفاء قال الأعرابي : يكون ...

هذا وقد يكون التناوب بين ختام الآية وبين ما ذكر في أولها دقيقاً خفيّاً ، لا يدرك  
 إلا بالتأمل وإطالة النظر ، على نحو ما نرى في قوله تعالى : ﴿إِنْ تَعْذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ  
 وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup> ، فإن قوله : ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ، يوهم أن  
 الفاصلة ﴿الغفور الرحيم﴾ ، ولكن عند التأمل وإنعام النظر يتضح أن الفاصلة ينبغي أن  
 تكون ما عليه النظم الكريم ، لأنّه لا يقدر على تعذيب من يشاء ، والعفران لمن يشاء من  
 عباده إلا العزيز الذي لا يغالب ، وهو عندما يفعل ذلك ففي فعله الحكمة وإن خفيت  
 تلك الحكمة على بعض خلقه ، فالمناسب إذاً هو أن تختتم الآية بما ختمت به ...

(١) سورة البقرة آية ٢٠٩

(٢) سورة المؤمنون آية ١٤ .

(٣) سورة القمر آية ١٣ ، ١٤ .

(٤) سورة المائدة آية ١١٨ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كِيفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمَوَاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُحِيطُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جُمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَاهَنْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، فالمتبدّل إلى الذهن أن تختتم الآية بالقدرة : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، ولكن عند تأمل النص الكريم وإنعام النظر في سياقه يظهر ويتبّع أن المناسب هو ما ختّمت به الآية : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، لأن تقدّم ذكر خلق الأرض والسماء والتصرّف في العالم العلوى والسفلى وغير ذلك من الإحياء والإماتة ثم الإحياء ، كلّ هذا يدل على صدور تلك الأشياء عن العلم الكامل التام المحيط بجميع الأشياء ....<sup>(٢)</sup> وكذلك القول في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقْوَى مِنْهُمْ تَقَآةً وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . قُلْ إِنْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْدُوهُ يَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإنّ النّظرة العجلی في الآية الثانية توهم أن تكون الفاصلة . ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ولكن بإنعام النظر وإطالة التأمل في سياق النظم الكريم يتتبّع أن المناسب هو ختّم الآية بالقدرة ، فاتّخذ المؤمنين الكافرین أولیاء من دون المؤمنين لا يكون إلا بزعم المتّخذ أن الكافر يملّك ويفقد على ما لا يقدر عليه المؤمن من نفع ، ولذا حذر الله من يفعل ذلك من المؤمنين وبين لهم أن إليه مصيرهم ، وأنه عليم بهم وبما يخفون ويبدون بل هو عليم بما في السموات وما في الأرض وهو وحده القادر على تحقيق النفع لهم ، فينبغي على المؤمن أن يلجأ إلى قدرته تعالى وأن يستظر بها ، وألا يوالى أعداء الكافرین ، إذ لا قدرة لهم على نصره ، وإنما القادر هو الله ... وبهذا يتتبّع أن ختّام الآية بالقدرة ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ هو المناسب لسياق النظم الكريم ...

(١) سورة البقرة آية ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) انظر البحر المحيط جـ ١/١٢٦

(٣) سورة آل عمران آية ٢٨ ، ٢٩

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدق فيها المناسبة ، وتحفى على النظرة العجلى ،  
وتحتاج إلى إطالة التأمل وإنعام النظر . والتي لا يتسع المقام هنا للإحاطة بها .  
وما حفى فيه وجه المناسبة بين إبتداء الكلام وآخره من أقوال البشر . ما روى أن  
أبا الطيب المتنبى أنشد سيف الدولة قصيده التى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم      وتأتى على قدر الكرام المكارم

فلما بلغ إلى قوله :

وقفت وما فى الموت شك لواقف  
كأنك فى جهن الردى وهو نائم  
تم بك الأبطال كلمى هزيمة      ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك كما انتقد على أمرىء القيس قوله :  
كأنى لم أركب جواداً للذلة      ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل  
خيلي كرى كرة بعد إجفال<sup>(١)</sup>

فيبيتك لم يلتهم شطراهما ، كما لم يلتهم شطرا بيته امرىء القيس وكأن يبغى  
له أن يقول

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل  
ولم أسبأ الزق الروى للذلة  
تم بك الأبطال كلمى هزيمة

وكذلك كان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك  
تم بك الأبطال كلمى هزيمة  
ووجهك وضاح وثغرك باسم  
كأنك فى جهن الردى وهو نائم

(١) أتبطن : أجعلها بطانة أى : بطني فوق بطنهما : والكافع : الذى برب ثديها .. والزق : وعاء  
الخمر ... وسباها : اشتراها لا للبيع ولا للتجارة بل للشراب ، والروى : الملوء ، والكر :  
الرجوع على العدو ، والإجفال : الانهزام .

فقد خفى على سيف الدولة وجه المناسبة في البيتين ، و توهם أن المناسب أن يقرن وقوفه والموت لا شك فيه لواقف بوضوح الوجه وابتسامة الشغر ، لأن هذا يدل على تناهى شجاعته إذ يضحك في مقام البكاء ، ويشرق وجهه حين يشتتد العبوس وتکھر الوجوه ... وأن يقرن مرور الأبطال كلّي مهزومين بسلامته كأنه في جفن الردى وهو نائم ، لأن ذلك أدل على إرادة الله له الحفظ وتقديره له السلام .. كما أن الذين انتقدوا بيته القيس ، قد خفى عليهم وجه المناسبة في الـبيتين ، و توهموا أن المناسب أن يقرن ركوب الجنود بقوله للخييل كري ليكون الحديث عن الخيـل في الشطرين ... وأن تقرن لذة الشراب بلذة النساء في البيت الثاني ... ولكن المتنبي بين سيف الدولة ما خفي عليه من المناسبة إذ قال له : ((إن صع أن الذى استدرك على أمرىء القيس هذا أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأه أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزار كما يعلمه الحائـك ، لأن البزار يعرف جملته والـحائـك يعرف جملته وتفاصيله ، لأنـه أخرجه من الغزلية إلى الشوبية ... وإنما قرن أمرؤ القيس لـذة النساء بلذة الركوب للصـيد ، وقرن الشجاعة في منازلة الأعداء بالسمـاحة في شراء الخمر للأضياف للتـضـايف بين كل فريقين . وكذلك لما ذكرت الموت في صدر الـبيـت الأول ، أتبـعـته بـذكرـ الرـدـىـ في آخرـهـ ليـكونـ أحـسـنـ تـلـاؤـماـ ، وـلـماـ كانـ فيـ وجـهـ الجـريـحـ المـهـزـمـ عـبـوسـاـ وـعـيـنهـ باـكـيـةـ ، قـلتـ : ((وـوجـهـكـ وـضـاحـ وـثـغـرـكـ باـسـمـ)) لأـجـمـعـ يـنـ الأـضـدـادـ فـىـ المعـنىـ ... وـقـدـ رـاقـ ذـلـكـ سـيفـ الدـوـلـةـ وـأـعـجـبـ بـهـ وـوـصـلـهـ بـخـمـسـمـائـةـ دـيـنـارـ ...<sup>(١)</sup>)

---

(١) انظر بـيـتـمـةـ الـدـهـرـ ١٥/١

## الإرصاد

الإرصاد ويسمى أيضاً باسم : التسهيّم، والتلوشح والتبيين والتّوأم ... وقد عرفوه بقولهم : ((أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروى)) ... فهو قريب من مراعاة النظير الذي سبق بيانه ، لأنّه لا يدل على العجز إلا ما كان بينه وبين العجز مناسبة ، وكان شديد الصلة به ، بل كثيراً ما يكون الدليل على العجز هو نفس لفظ العجز ...

ومن شواهده قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يُظْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاقْتَلُوهُمْ وَلَوْلَا كَلْمَةٌ سُبِّقَتْ مِنْ رَبِّكَ لِقَضَى بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> فالإرصاد في الآيتين قوله : ﴿ لِيُظْلِمُهُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَاقْتَلُوهُمْ ﴾ ، لأنّهما دلا على أن مادة العجز من مادة ﴿ الظُّلْم ﴾ و﴿ الْاِخْتِلَافُ ﴾ ، فعندما نقف على الفاصلة وهي التنوّن من سياق الآيات الكريمة نعرف أن العجز : ﴿ يُظْلَمُونَ ﴾ و﴿ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ...

ومنه قول زهير :

سُئِّمَتْ تِكَالِيفُ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَّأِمُ

فقد دل قوله : (سُئِّمَتْ تِكَالِيفُ الْحَيَاةِ) على قافية البيت وكشف عنها ..

وقول البحترى :

أَحْلَتْ دَمِيْ مِنْ غَيْرِ جَرْمٍ وَحَرَمْتَ

فَلِيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحْلٍ

(١) سورة العنكبوت آية ٤٠ .

(٢) سورة يونس آية ١٩

فالقارئ عندما يقرأ الشطر الأول من البيت الثاني يدرك بقية البيت بلا كبير عناء ... ومنه قول عمرو بن معد يكرب  
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاؤه إلى ما تستطيع

فقد دل قوله : ((لم تستطع)) على عجز البيت وكشف عنه ... وقول عدي بن الرقان :

تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم صاب من الدواة مدادها  
فقوله : ((قلم أصاب من الدواة)) دل على أن قافية البيت لابد أن تكون مدداداً ...

بلاغة الإرصاد : وتكمم بلاغة الإرصاد في دلائله على آخر الكلام قبل الوصول إليه ، فالكلام الجيد مادلت موارده على مصادره وكشف أوله عن آخره ، حتى قال الخبراء بفن القول : ((البلاغة أن يكون أول كلامك دالاً على آخره ، وآخره مرتبطا بأوله )) ... ولذا افتخر ابن نباتة بقوله :

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب صدورها عرفت منها قوافيها  
ينسى لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطريها  
وتحكي لنا كتب التراث حكايات عن فطنة الشعراء وتقاد الكلام وكيف كانوا يدركون الشطر الثاني كله ، وليس القافية وحدها بمجرد سماع الشطر الأول من البيت ... من ذلك ما روى أن جريراً أنسد بحضور الفرزدق قصيده التي هجا بها الراعي النميري والتي يقول فيها :

غض الطرف إنك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
فلما انتهى إلى قوله : لها يرص بجانب أسكتها

أدرك الفرزدق تمام البيت ، فوضع يده على عنقه وكان بها شبيب ، وقال :  
تبحك الله قبل أن يتلفظ جرير بعجز البيت وهو :  
كعنفة الفرزدق حين شابا  
ومنه ما روى أن ابن أبي ربيعة جلس إلى ابن عباس - رضي الله عنه - فابتداً  
بنشده :

تشط غدا دار جيي اندا

فقال له ابن عباس :

و للدار بعد غد أبعد

فقال له عمر بن أبي ربيعة : (( هكذا صنعت )) ...

فقد فطن ابن عباس - رضي الله عنه - إلى الشطر الثاني من البيت قبل أن ينطق به ابن أبي ربيعة .. وإلى هذا ترجع بلاعنة الإرصاد ، حيث يدل ابتداء الكلام على آخره وتبنيه موارده عن مصادره ، ويكشف أوله عن آخره ؛ ويرتبط آخره بأوله ...

## العكس والتبديل

اختلف العلماء في هذا اللون ، فبعضهم سماه ((العكس)) أو ((المعكوس)) وبعضهم سماه ((التبديل)) ، وبعضهم سماه ((القلب)) ، وبعضهم فرق بين شواهده وأمثاله فجعل بعضها ((عكساً وتبديلاً)) وبعضها ((قلباً)) ... ومنهم من جعله حارياً مجرّى الطيّاب ، ومنهم من جعله ضريراً من ضروب التجنيس ، ومنهم من جعله من باب رد الأعجاز على الصدور ... وليس وراء هذه الاختلافات كبير فائدة ، فالذى يعنيها هو دراسة شواهد هذا اللون وصوره وتحديد مفهومه ..

وقد عرفه الخطيب القزويني بقوله : ((أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر)) وجعله قاصراً على الألفاظ دون الحروف وسمى ما يجرى منه في الحروف قلباً ... فالعكس في الألفاظ يقع على وجوه :

منها أن يقع العكس بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه كما في قوله : ((شيم الأحرار أحرار الشيم)) ، ((كلام الملوك ملوك الكلام)) ، ((عادات السادات سادات العادات)) ، وقيل في أبي حيان التوحيدي : ((إنه أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء)) ، وقال الحسن بن سهل : ((لا خير في السرف ولا سرف في الخير)) ... وإذا ما تأملنا ودققنا النظر ، وجدنا أثراً الصنعة بادياً على أمثلة هذا الوجه من وجوه العكس والتبديل . ومنها أن يقع بين متعلقين فعلى في جملتين ، وهذا الوجه كثيراً الورود في الكلام الجيد والتراكيب البلغة ، وهو حال - غالباً - من التكلف ، ومنه قوله تعالى: ﴿تَوَلِّ النَّهَارَ وَتَوَلِّ النَّهَارَ فِي الْلَّيلِ وَتَخْرُجُ الْحَىٰ مِنَ الْمَيْتِ وَتَخْرُجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَىٰ﴾<sup>(١)</sup> ... وقول الحمامسي :

رمي الحدثان نسوة آل حرب      بقدر سمدن له سودا

فرد شورهن السود ببضا      ورد وجوهن البيض سودا<sup>(٢)</sup>

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين . وهذا الوجه أكثر وروداً من الوجهين السابقين ، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله عز وجل :

(١) سورة آل عمران الآية ٢٧.

(٢) حرب : جد معاوية بن أبي سفيان والحدثان : الدهر وسمدن : ذهلي .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

﴿ لَا هُنَّ حَلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ ﴾<sup>(۱)</sup> وقوله عز قائلًا : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابٍ لَّهُمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(۲)</sup> ...

ومنه قول المتنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله      ولا مال في الدنيا لمن قل ماله

وقول الآخر :

قد جمع المال غير آكله      ويأكل المال غير من جعنه

ويقطع الشوب غير لابسه      ويلبس الثوب غير من قطعه

وقول الشريف الرضي :

أَسْفَ بَنْ يَطِيرُ إِلَى الدُّنْيَا      وطار بمن يسف إلى المعالي

وقول الآخر

إِنَّ الْلَّيَالِي لِلأنَامِ مُنَاهَلٌ      تطوى وتنشر دونها الأعمار

فَقَصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمْمَوْمَ طَوِيلَةٌ      وطواهن مع السرور قصار

وَمِنْهَا مَا يَقُعُ بِعِكْسِ جَمِيعِ الْأَفْاظِ الْكَلَامِ ، كَمَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ :

عَدَلُوا فَمَا ظَلَمْتُهُمْ دُولٌ نَعَمْ      سعدوا فما زالت لهم نعم

بَذَلُوا فَمَا شَحَتْهُمْ شَيْمٌ      رفعوا فما زلت لهم شيء

وَهُوَ مدحٌ فَإِذَا عَكَسَ كَلْمَاتَهُ صَارَ ذَمًا إِذَا بَصَرَ بَعْدَ الْعِكْسِ

نَعَمْ لَهُمْ زَالَتْ فَمَا سَعَدُوا      دول لهم ظلمت فما عدلوا

قَدْمَهُمْ زَلَتْ فَمَا رَفَعُوا      شَيْمَهُمْ فَمَا بَذَلُوا

وَمِنْهَا مَا يَقُعُ بِغَيْرِ الْوِجْهِ الْمَذْكُورَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

طَوَاهُ الرَّدِّيُّ عَنِي فَاضْحَى مَزَارُهُ      بعيداً على قرب قريباً على بعد

فَقَدْ وَقَعَ الْعِكْسُ وَالتَّبَدِيلُ فِي خَيْرِ أَصْحَى التَّعْدُدِ ، وَلَمْ يَقُعْ بِعِكْسِ جَمِيعِ الْأَفْاظِ

كَمَا فِي الْوِجْهِ الرَّابِعِ وَلَا فِي الْجَمْلَتَيْنِ كَالْوِجْهِ الثَّالِثِ وَلَا فِي مَتَّعْلَقِي فَعْلَيْنِ كَالْوِجْهِ

(۱) سورة المتحنة الآية ۱۰

(۲) سورة الأنعام آية ۵۲ .

الثاني، ولا ين أحد طرفى جملة وما أضيف إليه كالوجه الأول ... ومنه الآخر :  
**لست أدرى أذهب فى فضة      شخصها أم فضة فى ذهب**  
فقد وقع العكس والتبدل معمولاً للفعل أدرى ...

أما العكس فى الحروف فقد سماه بعض البلاغيين كالخطيب والسكاكى (( القلب )) وعرفوه بأن يكون الكلام بحيث لو عكس كان المحاصل من عكسه هو ذلك الكلام بعينه ... ولا يضر فى القلب مد المقصور أو قصر الممدود ولا تحفيض المشدد أو تشديد المخفف ، وكذلك لا يضر جعل ألف همزة أو الممزة ألفاً أو تبديل بعض الحركات والسكنات ، فكل ذلك حائز فيه ...

ومن شواهد قوله تعالى : ﴿ وَكُلْ فِي فَلْكٍ ﴾<sup>(۱)</sup> وقوله عز وجل : ﴿ رَبُّكَ فَكِيرٌ ﴾<sup>(۲)</sup> ، فهاتان الآيات تستقيم قراءتهما طرداً وعكساً ... ومن ذلك قولهم : (( أرض خضراء )) ، وقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل : (( سر فلا كبا بك الفرس )) وحواب القاضى له : (( دام علا العماد )) ، فهذا الأقوال تستقيم قراءتها طرداً وعكساً ... ومنه قول القاضى الأرجانى :

**مودته تدوم لكل هول      وهل كل مودته تدور**

ف تستطيع أن تقرأ هذا البيت عكساً كما تقرؤه طرداً . والقلب فى الشواهد المذكورة قلب للجملة كلها أو للكلام بأسره واستقامة قراءته عكساً وطراً ، وهناك نوع آخر من القلب وهو قلب الكلمة الواحدة لتفيد معنى آخر يقصد إليه الشاعر أو المتكلم الذى يصرح عادة بهذا القلب وينص عليه . من ذلك قول الشاعر :

**كيف السرور ياقبال وآخره      إذا تأملته مقلوب إقبال**

فمقلوب (( إقبال )) : لا بقاء ، والشاعر يريد أن الإقبال لا بقاء له ، فكيف

يس به ... ومنه قول الآخر :

**جاذبتها والريح تجذب عقرباً      من فوق خد مثل قلب العقرب**

(۱) سورة يس آية ۴۰

(۲) سورة المدثر آية ۳

**وطفت ألم ثغرهما فتمنعت**      **وتحجبت عنى بقلب العقرب**

فقلب العقرب في البيت الأول متباه به حيث شبه خدها به في الحمرة أما قلب العقرب في البيت الثاني فالمරاد به : البرقع ، لأن لفظ العقرب إذا قلب صار برقعا ، والمعنى : وضعت البرقع على وجهها حياء وتنعا ...

هذا وقد يكون العكس للمعنى دون الألفاظ والمحروف ، كما في قول القطامي :  
**قد يدرك المتأني بعض حاجته**      **وقد يكون مع المستعجل الزلل**

فقد جاء بعده من عكس هذا المعنى حيث قال :

**وريما فات بعض القوم أمرهم**      **مع التأني وكان الحزم لو عجلوا**

ومن ذلك قول أبي الشيص :

**أجد الملامة في هواك لذيدة**      **شغفاً لذكرك في لمني اللوم**

فقد أخذ هذا المعنى أبو الطيب المتنبي وعكسه حيث قال :

**أأحبه وأحب فيه ملامة**      **إن الملامة فيه من أعدائه**

فأبوا الشيص يحب اللوم ، لأنه يذكره بحبيبه ، والمتنبي يكرهه لأنه لا يستطيع أن يحب صاحبه ويحب اللوم فيه ...

ومنه قول أبي تمام :

**كريم متى أمدحه والورى**      **والورى معى وإذا ما لته لته وحدى**

أخذه ابن طاهر وعكس معناه حيث قال :

**يشترك العالم في ذمه**      **لكننى أمدحه وحدى**

وهذا - كما هو واضح - أقرب إلى السرقات الشعرية منه إلى العكس  
والتبديل ...

## التورية

التورية في اللغة مصدر وری ، يقال : وری الحديث إذا أخفاه وأظهر غيره ، ووریت الخبر : جعلته ورائی وسترته وأظهرت غيره ، وكان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر ... وأما في الاصطلاح البلاغي فالتورية أن يطلق لفظ له معنیان ، قريب وبعيد ، ويراد بعيداً منهما ، اعتماداً على قرينة خفیة ... ويسمى هذا الفن أيضاً باسم الإیهام ، والمعالطة المعنویة والأحاجی والألغاز<sup>(۱)</sup> ...

ومن أمثلتها قول سراج الدين الوراق :

أصون أدیم وجهی عن آناس      لقاء الموت عندهم الأدیب  
ورب الشعر عندهم بغیض      ولو وافی به لهم « حبیب »

فلفظ « حبیب » في البيت الثاني له معنیان ، أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبارى إلى الذهن ، والثاني : اسم أبي تمام وهو حبیب بن أوس الطائی ، وهذا هو المعنى البعید الذي أراده الشاعر ، وقد وری عنه بالمعنى القريب .. ومنها قوله عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾<sup>(۲)</sup> ، فلفظ  
﴿ جَرَحْتُمْ ﴾ في الآية الكریمة له معنیان : قریب ظاهر غير مراد وهو إحداث تمزق فی الجسد ، والثانی بعيد خفی مراد وهو ارتکاب الذنوب واقتراف المعاصی ... ومنها قول أبي العلاء المعربی :

وحرف كتون تحت راء ولم يكن      بدل يوم الرسم غيره النقط

فالفاظ هذا البيت مبنیة على التورية ، إذ معناه : أن هذه الناقۃ لضعفها وهزالتها ، قد انحنت وتقوست وصارت شبيهة بحرف النون في تقوسها ، تحت رجل يضرب رئیتها ولا يرفق بها في السیر فهو غير دال ، يؤم بها دارا غير المطر رسّمها فالمعنی القريب

(۱) انظر الطراز حـ ۳ ص ۶۲

(۲) سورة الأنعام آیة ۶۰ .

الظاهر غير المراد ((للحرف)) : أحد حروف المجاء و للراء والدال : الحرفان المعروفان ، وللرسم : رسم الأحرف و كتابتها ، و للنقط : تنقيط الأحرف .. والمعنى بعيد لهذه الألفاظ : ((للحرف)) الناقة ، و ((والراء)) : اسم فاعل من رأى أى : ضرب الرئـة ، و (( الدال )) : اسم فاعل من دلا يدلـو إذا رفق في المسـير ، و ((الرسم)) : أثر الـديـار و ((النقط)) المـطر ... وتـلك المعـانـي البعـيدـة هـيـ المـرـادـة وـقـدـ وـرـىـ عـنـهـ الشـاعـرـ بـالـمعـانـيـ القرـيبـةـ ، فـبـدـتـ فـيـ صـورـةـ حـسـنـةـ لـطـيفـةـ ، كـمـاـ يـدـوـ وـجـهـ الـحـسـنـاءـ مـنـ وـرـاءـ الـبـرـقـعـ ...

وبهـذاـ يتـضـعـ أـنـ التـورـيـةـ لـفـظـ مـفـرـدـ لـهـ معـنـيـانـ إـمـاـ بـالـاشـتـراكـ أـوـ التـواـطـؤـ ، أـحـدـ المعـنـيـنـ قـرـيبـ ظـاهـرـ غـيرـ مرـادـ ، وـ الـآخـرـ بـعـيدـ خـفـيـ مرـادـ ، وـ الـمـتـكـلـمـ يـوـهمـ السـامـعـ أـوـلـ الـأـمـرـ أـنـهـ يـرـيدـ المعـنـيـ الـقـرـيبـ وـعـنـدـ التـأـمـلـ يـتـضـعـ أـنـهـ يـرـيدـ المعـنـيـ البعـيدـ ، وـلـذـاـ سـمـىـ هـذـاـ النـوعـ أـيـضاـ باـسـمـ الإـيـاهـ .

أنواع التورية : ذكر الخطيب القزويني أن التورية نوعان : مجردة و مرشحة ، وأضاف المتأخرون نوعين آخرين : المبينة والمهدأة ، وتنوع التورية إلى هذه الأنواع الأربع إما هو بالنظر لما يذكر معها مما يلائم المعنى القريب أو المعنى البعيد .

١ - التورية المجردة : وهـىـ التـىـ لمـ يـذـكـرـ معـهـاـ لـازـمـ منـ لـوـازـمـ المعـنـيـ القـرـيبـ المـورـىـ بهـ وـلـاـ منـ لـوـازـمـ المعـنـيـ البعـيدـ المـورـىـ عـنـهـ . أـوـ ذـكـرـ فـيـهاـ لـازـمـ لـكـلـ مـنـهـماـ ...ـ منـ ذـلـكـ قولـهـ عـزـ وـجـلـ : ﴿الرـحـمـنـ عـلـىـ العـرـشـ اـسـتـوـىـ﴾<sup>(١)</sup> ، فـكـلـمـةـ ﴿اسـتـوـىـ﴾ـ فـيـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ لهاـ معـنـيـانـ : قـرـيبـ غـيرـ مرـادـ وـهـوـ الـاستـقـرارـ فـيـ المـكـانـ ...ـ وـبـعـيدـ مرـادـ وـهـوـ الـاسـتـيـلاءـ وـالـمـلـكـ ، لـأـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ مـنـزـهـ عـنـ المعـنـيـ الـأـوـلـ وـلـمـ يـذـكـرـ فـيـ الآـيـةـ ماـ يـلـائـمـ أـيـاـ مـنـ المعـنـيـنـ ...ـ وـقـيلـ إـنـ التـورـيـةـ فـيـ الآـيـةـ مـرـشـحةـ ، لـأـنـ قولـهـ تـعـالـىـ : ﴿عـلـىـ العـرـشـ﴾ـ مـاـ يـلـائـمـ المعـنـيـ القـرـيبـ المـورـىـ بـهـ ...ـ وـمـنـ ذـلـكـ قولـ النـبـىـ فـيـ خـرـوجـهـ إـلـىـ بـدرـ وـقـدـ قـيلـ لـهـ : مـنـ أـنـتـمـ ؟ـ فـلـمـ يـرـدـ أـنـ يـعـلـمـ السـائـلـ فـقـالـ لـهـ : "مـنـ مـاءـ"ـ أـرـادـ عـلـيـهـ الصـلـاةـ وـالـسـلامـ ،ـ أـنـهـ مـخـلـوقـ مـنـ مـاءـ مـهـيـنـ فـورـىـ عـنـهـ بـقـيـلـةـ مـنـ الـعـربـ يـقـالـ لـهـ مـاءـ أـوـ بـالـعـرـاقـ لـأـنـ ((ـمـاءـ))

(١) سورة طه آية ٥ .

اسم من أسمائها ... ولم يذكر في الكلام ما يلائم أيها من المورى به أو المورى عنه فهى تورية مجردة .. ومنها قول أبي بكر - رضى الله عنه - في أثناء الهجرة عندما سأله سائل عن النبي ﷺ : من هذا ؟ فقال أبو بكر : هاد يهدينى ، أراد : هاد يهدينى إلى الإسلام ، فورى عن ذلك بهادى الطريق وهو الدليل في السفر ، وليس في الكلام ما يلائم المورى به ولا المورى عنه ...

وماذكر فيها ملائمان لكل من القريب والبعيد قول الشاعر :

## أقول وقد شتوا إلى الحرب غارة دعوني فإنني أكل العيش بالجبن

لفظ (( الجبن )) له معنيان . قريب موري به وهو الجبن المأكول ، وبعيد موري عنه وهو الجبن ضد الشجاعة ، وهذا هو المراد وقد ذكر الشاعر ملائماً للمعنى البعيد وهو قوله : (( شنوا إلى الحرب غارة )) وملائماً للقريب وهو : (( أكل العيش )) وللذى فهى تورية بجريدة .. ومنها قول ابن الوردى :

فَسَالَتْ إِذَا كَنْتْ تَهْوِي وَصَلَى وَخَشَى نَفْوَرِي

## صف ورد خلیدی والا نادیست جسوری

لفظ ((جوري)) له معنيان . قريب ظاهر غير مراد، و ذلك بأن يكون فعل أمر من ((جار)) مسند إلى ضمير المخاطبة ، وقد ذكر ملائمه له وهو : ((ولأجلور))، وبعيد خفي وهو اسم نوع من الورد يسمى ((جوري)) وقد ذكر ما يلائمه وهو قوله ((صف ورد خدي)) ... ومنها قول الآخر :

مولمع بفخار باك  
قالت لي العين ماذما  
يصيد قلت كراكى

فلفظ : (( كراكي )) له معنیان : قریب غیر مراد وهو جمع (( كركى )) ، طائر رمادی اللون يأوی إلى الماء ، وقد ذکر ما يلائمه وهو الصید : (( بصید )) ، و بعيد مراد وهو (( الكرى )) مضافاً إلى ضمیر العین : (( كراك )) والكرى هو النوم ، وقد ذکر ملائیم هذا المعنی وهو (( العین )) ، فھی من التوریة المجردة ...

٢ - التوریة المرشحة : وهی التی يذکر فيها لازم المعنی القریب الموری به ... وسمیت مرشحة لتقویتها بذکر لازم المعنی القریب غیر المراد فإنھا تزداد بذکرہ إیهاما .. ومن شواهدھا قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءُ بَنِيَّنَا بِأَبْدٍ وَإِنَّا لَمُوسَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، فقوله (( بأبد )) يحتمل اليد بمعنى الجارحة وهذا هو المعنی القریب الموری به وقد ذکر ما يلائمھ وهو (( بنیناھا )) ، لأنّ البناء من لوازم الجارحة ، و يحتمل (( القوة )) ، وهذا هو المعنی البعید الموری عنه وهو المراد ؛ لتنزھھ سبحانه وتعالی عن المعنی الأول ... ومنھا قول الحماسی يحيی بن منصور :

لما عننا العشيرة كلھا  
أنخنا فحالفنا السیوف على الدهر  
فما أسلمنا عند يوم کريهة      ولا نحن أغضينا الجفون على وتر<sup>(٢)</sup>

فلفظ (( الجفون )) له معنیان : قریب موری به وهو (( جفون الأعین )) وقد تقدم ذکر لازم من لوازمه على جهة الترشیح وهو (( الإغضاء )) ، لأن الإغضاء من لوازم العین ، و بعيد موری عنه وهو (( جفون السیوف )) أی : أغمادها ، أما ذکر السیوف في البيت الأول فهو قرینة التوریة ، ولذلک لا يعد من لوازم المعنی البعید ... ومنھا قول شوقي في رثاء حافظ إبراهيم :

يا حافظ الفصحي وحارس      وإمام من نجلت من البلغاء

(١) سورة الذاريات آية ١٧ .

(٢) نأت : بعدت . وأنخنا : کنایة عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم .. والكريهة : الحرب .. والوتر : الثأر

خلفت في الدنيا بياناً خالداً  
وتركت أجيالاً من الأبناء  
وغداً سيدرك الزمان ولم يزل  
للدهر إنصاف وحسن جزاء

فالمعنى القريب للفظ (حافظ) أن يكون اسم فاعل من حفظ ، وقد ذكر ملائمه لهذا المعنى وهو « الفصحي وحارس ». فهما يقتضيان أن يكون لفظ (حافظ) من المحافظة، والمعنى بعيد هو اسم شاعر النيل ، حافظ إبراهيم ، فالتورية ، تورية مرشحة .. ومنها قوله أيضاً على سبيل المزاح والمداعبة لحافظ :

فضيعها الإنسان وكلباً أمانة  
وحملت إنساناً وكلباً حافظ

ورد حافظ عليه مداعباً أيضاً :  
يقولون : إن الشوق نار ولوعة  
فما بال شوقي الآن أصبح بارداً

فالمعنى القريب ( حافظ ) اسم فاعل من ( حفظ ) ، وقد ذكر ما يلائمه :  
« وحملت إنساناً وكلباً أمانة فضيعها الإنسان » ، والمعنى القريب « (لشوقي ) » أن يكون من الشوق والحنين ، وقد ذكر لازمه : « إن الشوق نار ولوعة » ، والمعنى بعيد لكل منهما وهو المراد : أن يكونا علمنا لشاعر النيل : حافظ إبراهيم ، وأمير الشعراء : أحمد شوقي ، فالتورية في البيتين تورية مرشحة ..  
ومنها قول الآخر :

حملناهم طرا على الدهم بعدما  
خلعنا عليهم بالطuan ملابساً<sup>(1)</sup>  
فلفظ : « ( الدهم ) » يحتمل الخيل ، جمع أدهم وهو الفرس الأسود وهذا هو المعنى القريب المورى به وهو غير مراد وقد ذكر ملائمه لهذا المعنى وهو قوله « (حملناهم ) » فالحمل من لوازم الخيل ... ويحتمل : القيد من الحديد وهو المعنى المورى عنه وهو المراد بدليل قوله : « ( خلعنا عليهم بالطuan ملابساً ) » ...

(1) طرا : حال معنى جينا .

ونلاحظ فيما مر من شواهد التورية المرشحة أن ملائم المورى به قد ذكر قبل لفظ التورية ، ماعدا أبيات شوقى فى رثاء حافظ فقد ذكر بعد ...  
وما ذكر فيه الملائم بعد التورية أيضاً قول الشاعر :

قالت : قفوا واستمعوا ما جرى  
خالي قد هام به عمى  
مذهب من وجدى فى خالها  
ولم أصل منه إلى اللثيم

فلفظ (( خال )) يحتمل الحال من النسب - أخو الأم - وهو المعنى القريب المورى به ، وقد ذكر ملائمه بعد التورية على جهة الترشيح وهو : (( عمى )) وتحتمل أن يكون المراد به الشامة السوداء التى تظهر فى خد الحسناء وهذا هو المعنى بعيد الخفى المورى عنه وهو المراد ... وقول الآخر :

يا حبذا شجر وطيب نسيمها  
لو أنها تسقى بماء واحد

فلفظ (( شجر )) معناه القريب المورى به : ماله ساق من النبات ، وقد ذكر بعد لفظ التورية ما يلائم هذا المعنى وهو (( طيب النسيم والسوقى بماء واحد )) ومعناه البعيد المورى عنه (( اسم امرأة )) ، فهى تورية مرشحة ذكر فيها المورى به بعد لفظ التورية ...

٣- التورية المبينة : وهى ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد المورى عنه وسميت مبينة، لأن هذا اللازم يبينها ويقربها.. وقد يكون اللازم قبل لفظ التورية كما قال البحترى :

**وراء تسديدة الوشاح مليئة بالحسن تملح في القلوب وتعذب**

فلفظ (( تملع )) يحتمل أن يكون من الملوحة ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب  
المورى به ... ويجتهد أن يكون من الملاحة وهي الحسن والجمال وهذا هو المعنى بعيد  
المورى عنه ، وقد تقدم ذكر ملائمه وهو قوله (( مليمة بالحسن )) ، أما قوله  
(( تعذب )) فيلائم كلاماً من الملوحة والملاحة ، يلائم الملوحة على أنها ضдан ،  
ويلائم الملاحة على أنها متزادفان ... ومنها قول الشاعر :

قالوا : أما في جلق نرها  
تنسيك من أنت به مفرى  
يا عاذلي دونك من لحظه  
سهما ومن عارضه سطرا

فالمعني البعيد المورى عنه بكل من ((السهم والسطر)) هو الموضعان المشهوران  
بمتنزهات دمشق ، وقد ذكرت النرها بخلق قبلهما وهى من ملائمات هذا المعنى أما  
المعنى القريب المورى به فهو سهم اللحظ وسطر العارض وهما غير مرادين ...  
ومنها قول الآخر :

أرى العقد في ثغره محكمـا  
يرينا الصلاح من الجوهرـ

فلفظ ((الصلاح)) معناه القريب : كتاب الجوهرى فى اللغة ومعناه البعيد : أسنان  
الحبيب ، وفـ ذكر قبله ما يلائم هذا المعنى وهو قوله : ((في ثغره )) ، فاللتوريـة فى  
البيـت توريـة مـبيـنة ... وـمنـها أـيـضاـ قول الشاعـر ...

أمولانا ضـيـاءـ الدين قـلـ لـى  
وعـشـ فـبـقـاءـ مـولـانـاـ بـقـائـى  
فلـولاـ أـنـتـ مـاـ أـغـنـيـتـ شـيـئـاـ  
وـماـ يـغـنـيـ السـرـاجـ بـلـاـ ضـيـاءـ

فـفـىـ لـفـظـىـ ((ـالـسـرـاجـ وـضـيـاءـ))ـ تـورـيـةـ مـبـيـنةـ ،ـ إـذـ مـعـنـاهـمـاـ القـرـيبـ :ـ الـمـصـبـاحـ الـذـىـ  
يـسـتـخـدـمـ فـىـ الإـضـاءـةـ ،ـ وـ الـضـوءـ الـذـىـ يـبـدـدـ الـظـلـامـ ..ـ وـمـعـنـاهـمـاـ الـبـعـيدـ ؛ـ اـسـمـ الشـاعـرـ  
((ـسـرـاجـ الدـينـ))ـ وـاسـمـ المـدـوحـ ((ـضـيـاءـ الدـينـ))ـ وـقدـ ذـكـرـ قـبـلـ الـلـفـظـينـ ماـ يـلـائـمـ هـذـاـ  
الـمـعـنـىـ الـبـعـيدـ وـهـوـ قـوـلـهـ :ـ ((ـمـوـلـانـاـ ضـيـاءـ الدـينـ .ـ لـوـلـاـ أـنـتـ مـاـ أـغـنـيـتـ شـيـئـاـ))ـ ..ـ وـقـدـ  
يـذـكـرـ لـازـمـ الـمـورـىـ عـنـهـ بـعـدـ لـفـظـ التـورـيـةـ ،ـ كـمـاـ فـىـ قـوـلـ الشـاعـرـ :

أـرىـ ذـنـبـ السـرـحانـ فـىـ الأـفـقـ  
فـهـلـ مـكـنـ أـنـ الغـرـالـةـ تـطـلـعـ

فالـبـيـتـ بـهـ تـورـيـاتـ مـبـيـنةـ وـهـمـاـ فـىـ ((ـذـنـبـ السـرـحانـ))ـ وـفـىـ ((ـالـغـزـالـةـ))ـ ،ـ إـذـ الـمـعـنـىـ  
الـقـرـيبـ لـذـنـبـ السـرـحانـ :ـ ذـنـبـ الـحـيـوانـ الـمـعـرـوفـ وـهـوـ الذـئـبـ ،ـ وـلـلـغـرـالـةـ :ـ الـظـيـ ،ـ وـ الـمـعـنـىـ  
الـبـعـيدـ الـمـورـىـ عـنـهـ لـلـأـوـلـ ضـوءـ النـهـارـ وـقـدـ ذـكـرـ بـعـدـ مـاـ يـلـائـمـهـ وـهـوـ قـوـلـهـ  
((ـفـىـ الأـفـقـ طـالـعاـ)) ..ـ وـلـلـثـانـىـ الـشـمـسـ وـقـدـ قـرـنـ بـمـلـائـمـهـ ((ـتـطـلـعـ)) ..ـ فـالـلـتـورـيـةـ فـىـ

الموضعين مبينة حيث ذكر بعد كل ما يلائم المعنى البعيد المراد ... وكما في قول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخطك      هان على ما ألقى برهطك  
 وليس هما سوى قلبي وقرطك      ملكت الخافقين فتهت عجا

فالخافقان معناهما القريب المورى به : المشرق والمغرب ومعناهما البعيد المورى عنه : قلبه وقرط حبيه ، وقد بين هذا المعنى بالنص عليه فى الشطر الأخير : «(وليس هما سوى قلبي وقرطك) » ....

ومن التورية المبينة التى ذكر فيها الملائم قبلًا قول القاضى عياض يصف صيفا باردة :

لشهر تموز ألوانا من الحل      كأن كانون أهدى من ملابسـه  
فما تفرق بين الجدى والحمل      أو الغزالة من طول المدى خرفـت

ففى ألفاظ «(الغزالة والجدى والحمل)» تورية مبينة ، إذ المعنى القريب للغزالة : «(الظبية)» وللجدى : «(ولد الماعز)» ، ولل الحمل «(ولد الصنآن)» ، و المعنى بعيد للغزالة : «(الشمس)» ، وللجدى : «(برج الجدى)» وهو برج البرد ، ولل الحمل : «(برج الحمل)» وهو برج الدفء وقد ذكر فى البيت الأول ما يلائم هذه المعانى البعيدة المورى عنها وهو إهداء كانون من ملابسه لتموز ألوانا من الحل ... ومعنى البيتين : أن هذا صيف بارد وكأن برونته ترجع إلى أن شهر كانون الواقع فى زمن البرد قد أهدى لشهر تموز الواقع فى زمان الصيف ألوانا من البرد والصقيع .. أو أن الشمس قد خرفت ببدل أن تنزل فى برج الدفء وهو برج الحمل نزلت فى برج البرد وهو برج الجدى ، وكأنها لم تستطع أن تفرق بين البرجين لتخريفيها ...

وبعض البلاغيين يرى أن التورية فى الغزالة مرشحة لأن «(خرفت)» . معنى قل عقلها تلائم المعنى القريب وهو الظبي ، وهذا ليس برأى ، لأن المعنى قائم على التصوير

والتخيل ، فإسناد : (( خرفت )) إلى الغزالة استعارة تخيلية على نحو ما درست في علم البيان : وبعضهم يرى أن الغزالة والجدى والحمل ، توريات مرشحة ترشح كل منها الأخرى ، وهذا أيضاً ليس برأى ، لأن ملائم المعنى ولو الزم التورية يشترط فيها ألا تكون ألفاظها مشتركة والغزالة والجدى والحمل ألفاظ مشتركة بين المعنيين المذكورين لكل منها... وبعضهم يرى غير ذلك ، والصواب ما ذكرناه...

٤- التورية المهيأة : وهي التي تفتقر إلى ذكر شيء قبلها أو بعدها بهيئتها لاحتمال المعنيين وإلا لم تتهيأ التورية أو تكون التورية في لفظين أو أكثر لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر ... من ذلك قول ابن سناء الملك :

وسيرك فينا سيرة عمرية فروحت عن قلب وفرجت عن كرب  
وأظهرت فينا من سميك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

(( فالفرض والندب )) يحتملان أن يكون من الأحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى (( العطاء )) والندب بمعنى (( الرجل السريع في قضاء الحوائج )) وهذا هو المعنى بعيد المورى عنه ؛ ولولا ذكر لفظ (( السنة )) لما تهيأت التورية ولما فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان بهما كانت التورية ... ومنها قول ابن الريبع :

لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا : مريض لا يعود مريضاً  
لقضيت نحبى في فائك خدمة لأكون مندوباً قضى مفروضاً<sup>(١)</sup>

(( فالمندوب )) يحتمل أن يكون اسم مفعول من ندب الميت إذا بكاه ، وهذا هو المعنى بعيد المورى عنه والذى قصده الشاعر ، و يحتمل أن يكون أحد الأحكام الشرعية

---

(١) التطير : التشاوم والخلاف : مخالفة العرف والعادة والتحب : الأجل .

وهو المعنى القريب المورى به .. ولولا ذكره المفروض ، بعده لما تنبه السامع للمعنى القريب للمندوب ولما كان هنالك تورية ، فلفظ (( مفروضاً )) قد هيأ هذه التورية .

ومنها قول على - رضي الله عنه - في الأشعث بن قيس : (( إنه كان يحوك الشمال باليمين )) ... (( فالشمال )) يحتمل أن يكون جمع شملة وهي الكساء يستحمل به ، وهذا هو المعنى بعيد المراد ، ويحتمل أن يكون (( اليد الشمال )) نقىض اليمين وهذا هو المعنى القريب ، وذكر اليمين بعد الشمال هو الذي هيأ لهذه التورية .

وما وقعت فيه التورية بلفظين لولا كل منهما لم تتهيأ الأخرى قول عمر ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الشريا سهيلأ  
عمرك الله كيف يلتقيان  
هي شامية إذا ما استقلت  
وسهيل إذا ما استقل يمان

فكل من (( الشريا وسهيل )) هيأ صاحبه للتورية ، إذ المعنى القريب للشريا : النجم ، وكذلك سهيل ، والمعنى بعيد للشريا: المرأة العظيمة المنزلة وهي بنت على بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر ، ولسهيل : الرجل وهو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلاً مشهوراً من اليمن فكل من اللفظين قد هيأ الآخر للتورية ومن ثم تم للشاعر ما أراد من الإنكار على من جمع بينهما بألفاظ وجه .

ما الفرق بين اللفظ المهيء واللفظ الملائم ؟ : وهناك فرق بين ما يهيء للتورية وما يرشحها أو يبينها ، فاللفظ الملائم في التورية المرشحة أو المبينة لازم من لوازם المعنى أو بصيغة أخرى خصوصية من خصوصياته ، فهو لازم خاص ويشرط فيه كما أوضحتنا ألا يكون من الألفاظ المشتركة ، وهو إما مقو للتورية المرشحة أو مبين للتورية المبينة ، ولو لم يذكر هذا الملائم لصحت التورية وظلت موجودة .. أما اللفظ المهيء فإنه إذا لم يذكر لا تكون التورية أصلاً ... وللننظر في قول ابن أبي ربيعة : (( أيها المنكح الشريا سهيل )) ... فإننا لو غيرنا أحد اللفظين فقلنا : (( أيها المنكح هندا سهيل )) ... لم تكن هنالك تورية في لفظ (( سهيل )) .

## الفرق بين التورية وبين المجاز والكتابية

من جهتين :

إحداهما : أن القرينة في التورية تكون غالباً قرينة خفية أما في المجاز والكتابية فغالباً ما تكون ظاهرة بينة .

ثانيهما : أن كل معنى من معنى التورية يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما ، أما في الكتابية أو المجاز ، فلا بد من وجود علاقة بين المعنى الأصل للفظ والمعنى المجازى أو الكتابى المراد منه .

### بلاغة التورية : وتكمم بلاغة التورية في ثلاثة أمور :

أولها : أن المعنى البعيد المراد المورى عنه يبدو من خلف المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة كما يبدو وجه المرأة الحسناء من وراء البرقع ...

ثانيها : أن المخاطب يدرك من لفظ التورية في بادئ الأمر معناها القريب ، لسرعة إدراكه قبل البعيد ، وخلفاء القرينة فيها ... فإذا ما وقف على المعنى البعيد بعد ذلك وأدركه بالتأمل وإطالة النظر كان له وقعة في النفوس وأثره الحسن .

ثالثها : أنها تمكن المتكلم من أن يخفى المعانى التي يخشى التصریح بها . فيورى عنها بمعان تفهم من لفظ التورية، وبهذا يدفع المحدود مع الصدق، كما رأينا في إجابة أبي بكر - رضي الله عنه - للسائل عن الرسول ﷺ إذ قال له " هاد يهدىني " .. وكما رأينا في إجابة الرسول ﷺ في خروجه لبدر عندما سُئل سائل : من أنتم ؟ إذ قال له : " من ماء " .



## الاستخدام

وهو أن يذكر لفظ له معنيان ، فيراد أحد المعنين باللفظ ويعود عليه ضمير بالمعنى الآخر . أو يعود عليه ضميران كل واحد منها بمعنى ... أو يذكر بعده تمييز متعدد كل تمييز بمعنى ، أو يذكر اللفظ بمعنى ويشار إليه بمعنى الآخر ، ولا فرق في المعنين اللذين يدل عليهما اللفظ بين أن يكونا حقيقين أو مجازين أو مختلفين .. كما سنرى في شواهده .

صور الاستخدام : ومن خلال تعريف الاستخدام يتضح لنا أنه يأتي في الكلام على عدة صور أهمها :

١ - أن يذكر اللفظ بمعنى ، ويعود إليه ضميره بمعنى آخر ، كما في قول الشاعر :

**إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا**

فهو يصف قومه بالغلبة والقوة والسلطان ، وأنهم قوم لا يخشون أحداً ، فإذا نزل المطر بأرض غيرهم ، فهم يرعون الكلأ والنبات الناتج عنه رغمًا عن هؤلاء الذين نزل المطر بأرضهم ... ونلاحظ أن (( السماء )) لفظ له معنيان بل أكثر : فالمعنى الحقيقى للسماء : ما قابل الأرض ويطلق بجازأ على المطر وعلى النبات ، والمراد منه فى البيت معنیاه المجازيان ، حيث ذكر لفظ (( السماء )) بمعنى (( المطر )) وعاد إليه الضمير بمعنى (( النبات )) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾<sup>(١)</sup> ، فالمراد بالشهر فى قوله : ﴿ من شهد منكم الشهر ﴾ : الهلال ، والمراد بالضمير فى قوله : ﴿ فليصمه ﴾ : الزمن المعلوم أى : مدة الشهر لفظ ﴿ الشهر ﴾ قد ذكر بمعنى وعاد

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

إليه ضميره يعني آخر ، هذا على اعتبار أن شهد يعني : رأى و أبصر ، أما إذا جعلت  
يعنى : حضر وأقام فلا استخدام في الآية الكريمة .

٢ - أن يعود إلى اللفظ ضميران كل ضمير يعني ... كما في قول  
الشاعر :

فَاللَّهُ مَا ذَكَرَ الْعِيقَقَ وَأَهْلَهُ      إِلَّا وَأَجْرَاهُ الْفَرَامَ بِحَجْرِي

فالمراد بالعقيق ((المكان)) - اسم لمكان بظاهر المدينة - وقد عاد إليه الضمير في  
قوله : (( وأجراه )) يعني : الدم الأحمر الشبيه بالعقيق .. أما الضمير في قوله :  
(( وأهله )) فيرجع إليه بنفس معنى المكان ... قول البحترى :

فَسَقِيَ الْغَضَاءِ وَالسَاكِنِيَّةِ وَإِنْ هُمْ      شَبُوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ قُلُوبِ

فالغضا يطلق على شجر يسمى شجر الغضا ، ويطلق أيضاً على مكان ينحدر سمي  
وادي الغضا ، والشاعر قد ذكر لفظ ((الغضا)) وأراد به ((الشجر)) ثم أعاد عليه  
الضمير في قوله : (( والساكنية )) يعني : المكان ... وفي قوله :  
(( شبوه )) : يعني الشجر ... ومعنى البيت : أن الشاعر يدعو الله بالسقيا لأشجار هذا  
المكان ولأهلها وإنهم عذبوه وأقدوا النيران بين جوانحه وفي قلبه .

٣ - أن يذكر اللفظ يعني ويشار إليه يعني آخر ... كما في قول الشاعر :

رَأَى الْعِيقَقَ فَأَجْرَى ذَاكَ نَاظِرَهُ      مَتَمَّ لَحْقَ فِي الْأَشْوَاقِ خَاطِرَهُ

ذكر العقيق يعني المكان بظاهر المدينة ، ثم أعاد إليه اسم الإشارة في قوله :  
(( فأجرى ذلك ناظره )) يعني : الدم الأحمر الشبيه بالعقيق ، وهذا على جعل  
(( ذاك )) مفعولاً به مقدماً ، وناظره ، فاعلاً مؤخراً ، أما على جعل (( ذاك )) فاعلاً  
و (( ناظره )) مفعولاً ، فلا استخدام في البيت .

٤ - أن يذكر اللفظ وبعده تميزان كل تميز يعني ... كما في قول القائل :

حَكَىَ الْفَرِزَالَ طَلْعَةَ وَلْفَتَةَ      مَنْ ذَا رَآهُ مَقْبَلًا وَلَا افْتَنَ

فالغزال يراد به الشمس والظبي ، و قوله : « طلعة » تمييز أفاد أن المراد بلفظ (( الغزال )) الشمس ، أي : حكى الشمس في حسن الطلعه والجمال ...  
وقوله : « لفته » تمييز آخر أفاد أن المراد (( بالغزال )) الظبي ، أي : حكى الظبي في حسن التلتفت ... ونلاحظ أن بين لفته ، و (( لا افتين )) جناس تام .

٥ - أن يقع الاستخدام بأسلوب الاستثناء ... كما في البهاء زهير :  
أبداً حديثي ليس بالـ منسوخ إلا في الدفاتر

**فالنسخ : يراد به : الإزالة والمحو ، ويراد به : النقل وإعادة الكتابة يقال نسخ الكتاب : نقله وأعاد كتابته ، وقد أراد الشاعر بالنسخ في قوله « بالنسخ » المعنى الأول : الإزالة والمحو ، وأراد بالنسخ الواقع في المستثنى أي « في الدفاتر » ... النقل وإعادة الكتابة ، ومراد الشاعر أن حديثه لا يمحى ولا ينسخ ، ولكنه ينقل وتعاد كتابته في الدفاتر .**

٦- أن يتوسط اللفظ كلاماً يفيد أوله أحد معنويه ويفيد آخره المعنى الآخر ... كما في قول الله عز وجل : ﴿ لِكُلِّ أَجْلٍ كِتَابٌ . يَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾<sup>(١)</sup> فلفظ «كتاب» يتحمل أن يراد به : الأجل المحتوم ، وأن يراد به الكتاب المكتوب ، وقد توسط بين قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجْلٍ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ يَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ فأفاد أول الكلام أن المراد به ((الأجل المحتوم)) وأفاد آخره أن المراد به : الكتاب المكتوب .

٧- أن يأتي الاستخدام في لفظ له أكثر من معندين ... كما في قول ابن الوردي :

بقلبي وهو مراعاهـا	ورب غزالـة طلعتـ
لجين ثم صدناهـا	نصبت لها شباكا منـ
إلى عـين قصدناهـا	فقالت لي وقد صرـنا
بطلعتهمـا وغير اهـا	بذلت العـين فاكحلـها

(١) سورة الرعد الآية ٣٩ ، ٣٨ .

ففى هذه الأبيات استخدامان :

الاستخدام الأول : فى لفظ ذى معان وهو لفظ ((غزاله )) ، حيث أريد به فى قوله : ((ورب غزاله )) : الشمس على سبيل استعارتها للمرأة ، ثم عاد إليه الضمير فى قوله : ((مرعاها ، لها ، صدناها )) ... بمعنى الظبى على سبيل استعارته أيضاً للمرأة ... ثم عاد إليه الضمير ثانية فى قوله : ((فقالت )) ... بمعنى المرأة ، فاللفظ قد استخدم فى معنى ثم عادت إليه الضمائر بمعنيين آخرين مختلفين .

والاستخدام الثانى فى لفظ ذى معانين وهو لفظ ((العين )) حيث ذكر فى قوله ((بذلت العين )) بمعنى : الفضة ، و عاد إليه الضمير فى قوله ((فاكحلها )) بمعنى الناظرة .

وجه تسمية هذا الفن بالاستخدام : وعندما نظر فوى صور ((الاستخدام))

المذكورة نجد أن اللفظ قد استخدم فى معنى ، ثم استخدم ضمراه فوى معناه الآخر أو استخدمت الضمائر العائدة عليه فى معنيه أو فى معانى مختلفة .. أو استخدام اللفظ فى معنى ، واسم الإشارة العائد إليه فى المعنى الآخر ، أو استخدام كل تمييز من التمييزين المذكورين بعده فى معنى من معنيه ... أو استخدام أول الكلام فى أحد معنييه وآخره فى المعنى الآخر .. إلى آخر ما ذكر من صوره ... وهذا سمي باسم ((الاستخدام ))

بلاغة الاستخدام : وتكمىء بلاغة الاستخدام فيما يتحققه من الإيجاز ، ففى قوله

مثلاً : ((إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه )) .. تجد أن رعيناه ، أختصر من قولنا :

رعينا النبات الناشئ عنه ، و الإيجاز هو البلاغة كما قالوا ، كما تكمىء بلاغة هذا الأسلوب أيضاً فيما يتحققه من تنبية المخاطب وإيقاظه وإثارة فكره لأن أول ما يتсадر إلى ذهنه من الضمير فى ((رعيناه )) مثلاً هو المعنى الذى استخدم فيه اللفظ المذكور ((السماء )) ولكن يفاجأ بأن الضمير قد استخدم فى معنى آخر ، وفي هذا إثارة للفكر وتنبية للذهن فيكون المعنى أوقع فى النفس وأبلغ وأقوى أثراً .

الفرق بين الاستخدام والتورية : سبق أن عرفنا أن اللفظ في التورية يكون له معنيان أو أكثر ، وكذلك في الاستخدام ، اللفظ له معنيان أو أكثر ولكن يفرق بينهما من جهتين :

أولاًهما : أنه في التورية تكون أحد المعنيين قريراً والآخر بعيداً ، أما في الاستخدام فلا يشترط ذلك .

الثانية : أن التورية يراد فيها أحد المعنيين وهو بعيد المجرى عنه ، ويلغى الآخر وهو القريب المجرى به أما في الاستخدام فيراد المعنيان معاً كما رأينا .



## التجيـه

هو إبراد الكلام محتملاً لوجهين متضادين كالمدح والهجاء أو الدم والثناء ... ولابد أن يكون هذا الاحتمال على حد سواء ، فلو كان أحد الوجهين متبادراً إلى الذهن ، لم يكن توجيهاً .

ومن شواهده قول بشار في خياط أبور يسمى عمراً :

خاطل عـمـرـو قـبـاء لـيـتـ عـيـنـيـه سـوـاء  
فـاسـأـلـ النـاسـ جـيـعـاـ أـمـدـيـعـ أـمـ هـجـاءـ<sup>(١)</sup>

فالبيت الأول يحتمل وجهين : تمنى أن تشفى العين العوراء فيصبح مبصرًا بالاثنتين ، أو تصاب العين السليمة ، فيصبح أعمى ، ولذا لا أحد يدرى أقصد الشاعر مدح عمرو والدعاء له أم قصد ذمه والدعاء عليه ... ومثله قول محمد بن حازم في تهنئة الحسن بن سهل بزواجه ابنته بوران بالمؤمن :

بـسـارـكـ اللـهـ لـلـحـسـنـ وـلـبـورـانـ فـيـ الـخـنـقـ  
يـاـ إـمـامـ الـهـلـدـيـ ظـفـرـ تـبـنـتـ مـنـ ؟<sup>(٢)</sup>

حيث لم يعلم ماذا أراد بقوله : (( ظفرت بنت من ؟ )) ، هل أراد الرفعة ؟ أم أراد الضعف ؟ ، ولذا قال المؤمن عندما سمع البيتين : والله ما ندرى أخيراً أراد أم شرّاً ... ومنه قول حسان بن ثابت - رضي الله عنه - يرد على من هجا النبي ﷺ :

هـجـوتـ مـحـمـداـ فـأـجـبـتـ عـنـهـ وـعـنـدـ اللـهـ فـيـ ذـاكـ الـجـزـاءـ  
أـتـهـجـوهـ وـلـسـتـ لـهـ بـكـفـءـ ؟ـ فـشـرـ كـمـاـ خـيـرـ كـمـاـ الـفـداءـ

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب .

(٢) الخن : كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ .

فقول له : « شر كما خير كما الفداء » كلام يحتمل الوجهين ، لأنه لا يفيد من أراد بالشر ، ومن أراد بالخير .

ومنه ما يحکى أن ابن الجوزي سئل : « أى الرجلين أفضل أبو بكر أم على » ؟ ، فأجاب بقوله « من كانت ابنته تحبه » ... فذلك الإجابة تحتمل وجهين : تفضيل أبي بكر على على ، وتفضيل على على أبي بكر ، لأن الضمير الأول إن عاد إلى « من » عاد الثاني إلى النبي ﷺ ويكون المراد بالابنة عائشة - رضي الله عنها ، وعندئذ يكون المفضل أبو بكر وإن عاد الضمير الثاني إلى « من » عاد الأول إلى الرسول ﷺ ويكون المراد بالابنة فاطمة - رضي الله عنها - وعندئذ يكون المفضل علياً ... ومن ذلك قوله تعالى في شأن اليهود وموقفهم من النبي ﷺ : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرُفُونَ الْكَلْمَ عَنْ مَوْاضِعِهِ وَيَقُولُونَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، وَاسْعَ غَيْرَ مَسْمَعٍ وَرَاعَنَا لِيَا بِالسَّنْتِهِمْ وَطَعَنَاهُ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> فقوله تعالى : ﴿غَيْرَ مَسْمَعٍ﴾ يحتمل وجهين الدم ، ويكون المعنى عندئذ : اسمع مدعوا عليك بلا سمعت ، أو اسمع غير محب ما تدعوه إليه ، أى غير مسمع جواباً يوافقك ، فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه ، فسمعت عنه ناب ، وتحتمل المدح ، والمعنى : اسمع غير مسمع مكروها من قولهم . اسمع فلان فلانا ، إذا سبه وشتمه .. وكذا قوله « راعنا » ، يحتمل أن يكون شبه الكلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهي : راعينا يا شباب العين<sup>(٢)</sup> ... ولهذا نهى الله عز وجل المؤمنين عن هذه اللفظة فقال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمِعُوا﴾<sup>(٣)</sup> فهو لاء اليهود كانوا يكلمون النبي ﷺ بكلام محتمل ينونون به السب والإهانة ، ويظهرون به التوقيف والاحترام ، وذلك سخرية منهم بالدين واستهزاء بالرسول ﷺ - ولا يقال -

(١) سورة النساء الآية ٤٦ .

(٢) انظر الكثاف / ١ / ٤٠٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٠٤ .

كيف ينطقون بكلام متحمل بعدهما صرحا بالعصيان فقالوا « سمعنا وعصينا » ، لأن جميع الكفرا كانوا يواجهون النبي ﷺ بالكفر والعصيان ، ولا يواجهونه بالسب ودعاءسوء ، أو أنهم صرحا بالعصيان فيما بينهم ، أو أنهم لم ينطقو بالعصيان ، ولكن لعدم إيمانهم جعلوا كأنهم قد نطقوا به <sup>(١)</sup> .

بلاغة التوجيه : وتكمم بلاغة التوجيه فيما يفيده من الإيهام والاحتمال ، لأنـه إذا كان البيان والوضوح من مقاصد البلاغة ، فكذلك الإيهام والاحتمال يكونان من مقاصدـها وأهدافـها ، فهذا الأسلوب يجعل صاحبه في مأمن من المؤاخذة والعـقاب لأنـه يقول كلامـا يحتمـل وجـهـين ، فإذا شـاء مـالـ به إلى الذـمـ فيـنـالـ من مـذـمـومـهـ ، وإذا شـاء مـالـ به إلى المـدـحـ فيـنـجـوـ من المؤاخـذـةـ وـيـرـأـ من الإـثـمـ .

الفرق بين التوجيه وبين الاستخدام والتورية : لكلـ من التوجـيهـ والتوريـةـ والاستـخدـامـ معـنيـانـ ، ولـكـنـ يـفـرقـ بـيـنـهـ مـنـ عـدـةـ وـجـوهـ ، وـقدـ رـأـيـناـ فـيـمـاـ سـبـقـ الفـرقـ بـيـنـ التوريـةـ والاستـخدـامـ ، أـمـاـ الفـرقـ بـيـنـ التوجـيهـ وـبـيـنـ كـلـ مـنـ التوريـةـ والاستـخدـامـ فـهـوـ مـنـ الـرـجـوهـ التـالـيةـ :

- ١- التورية والاستخدام يكونان في الألفاظ المفردة ، أما التوجيه فيـكـونـ فيـ التـركـيبـ كـلـهـ .
- ٢- التورية والاستخدام لكلـ منهما معـنيـانـ أوـ أـكـثـرـ مـنـ أـصـلـ الـوـضـعـ الـلغـوـيـ أوـ بـالـتـواـطـؤـ أوـ بـالـحـقـيقـةـ وـالـبـاحـارـ فـيـ الـاسـتـخدـامـ ، بـيـنـماـ التـوجـيهـ يـدـلـ عـلـىـ معـنيـيـهـ بـمـعـونـةـ السـيـاقـ وـقـرـائـنـ الـأـحـوالـ .
- ٣- التورية يقصد فيها المعنى بعيد المورى عنه ، ويـلـغـىـ الآخـرـ القـرـيبـ المـورـىـ بـهـ ، والاستـخدـامـ يـرـادـ فـيـهـ الـمـعـنيـانـ مـعـاـ ، أـمـاـ التـوجـيهـ فـالـمـعـنيـانـ سـوـاءـ فـيـ الإـرـادـةـ وـعـدـمـ الإـرـادـةـ وـالـمـتـكـلـمـ هـوـ الـذـىـ يـوـجـهـ إـلـىـ أـحـدـ مـعـنيـيـهـ ، وـلـذـاـ سـمـىـ تـوـجـيـهـاـ .

★ ★ ★

---

(١) انظر الكشاف جـ ١ صـ ٤٠١ .

## المشاكلة

المشاكلة في اللغة : المشابهة والموافقة ، يقال شاكله أى : شابهه ، وفي اصطلاح البلاغيين : ذكر المعنى بلفظ غيره أو بلفظ مضاد للفظ الغير أو مناسب له لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديرأ .. فمن ذكر المعنى بلفظ غيره قوله تعالى : ﴿وجزاء سيئة مثلها﴾<sup>(١)</sup> ، فالسيئة الثانية المراد بها : الجزاوة أو العقاب ، وقد ذكر هذا المعنى : ((الجزاوة أو العقاب )) بلفظ السيئة لوقعه في صحبة ((السيئة )) الأولى ، وفي هذا الأسلوب ما يدعى إلى التغير من السمات لأن الجزاء عليها سيكون شديداً ورادعاً، سيكون سمات مثلها لا جزاء وعقاباً ... ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلونك أو يخرجوك ويمكرون ويذكر الله والله خير الماكرين﴾<sup>(٢)</sup> فقد سمى جزاء الله وعقابه لهم "مكراً" ليشากل به مكر الكفار زيادة في ترويعهم ومباغة في تعنيفهم وإيحاء بأن جزاءهم سيكون شديداً أليماً ... وقوله تعالى : ﴿لقد كان لسباً في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذاتي أكل حمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾<sup>(٣)</sup> ، فقد سمى البديل السيئاً ﴿جنتين﴾ لوقعه في صحبة جنتيهم ، وفيه مافيه من التهكم والسخرية .. وقوله عز وجل : ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾<sup>(٤)</sup> ، والمراد - والله أعلم - .

---

(١) سورة الشورى آية ٤٠ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠ .

(٣) سورة سبا آية ١٥ ، ١٦ .

(٤) سورة البقرة آية ١٩٤ .

﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَجَازُوهُ عَلَى عِدْوَانِهِ﴾ : فذكر الجزاء بلفظ الاعتداء لوقوعه في صحبة اعتدائهم ، وفي هذا تنفير من الاعتداء في الشهر الحرام وتحذير من التعدي على حرمات الله ، وحيث للمؤمنين كي يتصدوا بقوة ردع وشدة زجر لمن اعتدى ، فجزاؤه وعقابه لن يكون جزاء وعقابا على عدوانيه بل سيكون ردا واعتداء ... وانظر إلى هذه الفاء في قوله تعالى : ﴿فَاعْتَدُوا﴾ وما تنسى به من وجوب المبادرة وسرعة الردع .. قوله عز وجل : ﴿وَإِذَا خَلَا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَا مَعَكُمْ إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> فالمراد - والله أعلم - بجازيهم على استهزائهم ، فذكر الجزاء بلفظ الاستهزاء ليشكل استهزاء المنافقين وفيه شدة تحذير وقوة ردع وحجر لهؤلاء المنافقين كي يكفوا عن نفاقهم ويتنهوا عن استهزائهم .. ومن أقوالهم ، قول عمرو ابن كلثوم :

**أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهَلِ الْجَاهِلِينَ**

فقد ذكر جزاء الجهل ومعاقبة فاعليه بلفظ ((نجھل)) مشاكلاً لجهلهم وفيه قوة ردع وشدة تحذير لمن تسول له نفسه الاعتداء عليهم ...  
وقول أبي الرقمين أحمد بن محمد الأنطاكي ((ت ٢٩٩ هـ)) وكان له إخوان أربعة ينادهم أيام كافور الإخشيدى ، فجاءه رسولهم في يوم قارس البرد ليست له كسوة تقىه شره فقال له : إخوانك يقرءونك السلام ويقولون لك قد اصطبخنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا مانطيخ لك منها فكتب إليهم :

**إِخْرَانَا قَصَدُوا الصِّبَرَجَ بِسُحْرَةِ فَأَتَى رَسَوْلَهُمْ إِلَيْهِ**

**قَالُوا اقْتَرَحْ شَيْئًا نَجْدُ لَكَ طَبَخَهُ قَلْتُ : اطْبَخُوكَ لِي جَبَةً وَقَمِيصًا**

فقد ذكر الشاعر ((الخياطة)) بلفظ الطبخ فقال : ((اطبخوا لى)) مكان ((خيطوا لى)) ليشكل بها لفظ ((الطبخ)) السابق ..

(١) سورة البقرة آية ١٩٤ .

ومثله قول الآخر :

قالوا : اخْنَدْ دَهْنَا لِقَلْبِكَ يُشْفِهَ

فقد ذكر ((التمتع)) بلفظ ((الدهن)) فوضع : ((ادهنوه)) في موضع ((متعوه))  
لوقوعه في صحبة ((دهنا)) السابق ...

وقد يكون اللفظ المصاحب مؤخراً والمعنى المذكور بلفظه مقدماً عليه ، كما في قول  
النبي ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ حَتَّى تَمْلَوْا " ، فالله عز وجل لا يوصف بالملل ولكن نسب  
الملل إليه مشاكلة ملل عباده والمعنى : إن الله لا يقطع ثوابه حتى تملوا مسأله وعبادته ،  
و واضح أن اللفظ المشاكل في الحديث وهو ملل الله قد وقع مقدماً، وللفظ المصاحب وهو  
ملل العباد قد وقع مؤخراً ... ومن ذلك قول العرب : ((الجزاء)) ، فالمراد بالجزاء  
الأول ((العدوان)) وقد ذكر بلفظ الجزاء لوقعه في صحبة الجزاء الثاني .  
ومنه قول أبي تمام :

أَنِّي بَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ

فاجلار لا يبني ولكنه يختار وينتicipi وقد ذكر الاختيار و الانتقاء بلفظ البناء لوقعه في  
صحبة بناء المنزل ، و يلاحظ أن البناء قد حذف من الثاني للدلالة الأول عليه والتقدير:  
أني بنيت الجار قبل بناء المنزل ...

ومثله قول بعض العراقيين في قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته :

أَتَرَى الْقَاضِي أَعْمَامِي

سَرَقَ الْعِيدَ كَأَنَّ الـ عِيدَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى

فالعيد لا يسرق ولكنه جعله مسروقاً لوقعه في صحبة أموال اليتامي التي  
يتأنى سرقتها ...

ومن ذكر المعنى بلفظ مضاد للفظ غيره ، قول شريح القاضي لرجل شهد عنده :  
((إنك لسبط الشهادة)) . فقال الرجل ((إنها لم تجعد عندي)) . فالمراد بالسبط هنا:

الاستمرار في حفظها وقبوها دائمًا وأداؤها في ساحة القضاء ، والمراد بقوله « لم تجعده عندى » : لم تقصر عن إدراكي وحفظي ، فمتى أدركتني الشهادة حفظتها وتحملتها وأديتها فلا أكتمها .. والسبوط في الأصل : إطلاق الشعر وامتداده والجعودة . قصر الشعر وعدم امتداده ، فقد ذكر قصر الشهادة بلفظ الجعودة لوقعها في صحبة « السبوط » المضادة للجعودة ...

ومن ذكر المعنى بلفظ مناسب للفظ غيره ، معاورد أن رجلاً قال لوهب : ((أليس قد ورد أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ )) فقال : ((بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإذا جئت بالأسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك )) فقد ذكر الأعمال بلفظ ((الأسنان )) لوقوعها في صحبته ((المفتاح )) المناسب للأسنان ... وهذا لفظ المعنى المشاكل به قد يكون محققاً ومذكور في الكلام وعندئذ تكون المشاكلة تحلقية ، ويتصفح لك هذا في معظم مامر بك من شواهد وقد يكون مقدراً فتسمى المشاكلة تقديرية ، كما رأيت في بيت أبي تمام :

من مبلغ أفساء يعرب  
أني بنيت الجار قبل المنزل  
وفي قول الآخر :

سرق العيد كان الـ عيد أموال اليتامي  
ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُولُواْ آمَنَا بِاللّٰهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تُولُواْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شُقُّاقٍ فَسِيرْكُفْهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صَبَّفَةُ اللّٰهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللّٰهِ صَبَّفَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فَقُولَـهُ ﴿ صَبَّفَهُ اللّٰهُ ﴾ مصدر مؤكـد لمضمون قوله ﴿ آمَنَا بِاللّٰهِ ﴾ وَالمعنى طهرنا اللـهـ بالإيمـان

(١) سورة البقرة آية ١٣٦ - ١٣٨ .

تطهيراً ، إذ الإيمان مطهر لنفوس المؤمنين ... والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمرون أولادهم في ماء أصفر يسمونه ماء العمودية ويزعمون أن الولد يصير بذلك نصراينياً حقاً ، فأمر الله المؤمنين أن يقولوا : صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم .. فقد ذكر (( التطهير )) بلفظ الصبغة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى تقديرًا لا تحقيقاً ، لأن الصبغ ليس مذكوراً في كلام النصارى بل فهم من السياق والأحوال إذ الآية منزلة في سبب ذلك الفعل وهو غمس أولادهم في ماء (( العمودية )) ...

ومن ذلك أن ترى رجلاً يغرس أشجار فتقول لآخر : (( اغرس إلى الكرام )) ، تريد بذلك : أحسن إليهم واصطنع لهم ، فذكر الاصطناع والإحسان بلفظ "الغرس" لوقوعه في صحبته تقديرًا إذ لم يتقدم ذكر للغرس ولكن فهم من الحال والمشاهد ...

بلاغة المشاكلة : إذا نظرنا في شواهد المشاكلة المذكورة بجد أن هذا الفن يفيد حسناً ومزاياها فتقدها إذا ما ذكر اللفظ الحقيقي للمعنى المعتبر عنه .. وللنظر في قول عمرو السابق :

### ألا لا يجهلن أحد علينا فتجهل فوق جهل الجاهلين

تجد أن في التعبير بلفظ (( الجهل )) مكان العقوبة والمحازاة إفاده لشدة التحذير وقوة الردع والرجر ، ولو قال عمرو : فنرد عليه أو فنجازيه على جهله أو فتعاقبه ومنع جهله لما أفاد تلك الإفاده التي أفادتها المشاكلة ...

وإذا تأملنا الآيات الكريمة : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ... ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِنَّ ﴾ ... ﴿ وَمَكْرُوا وَمَكْرُ اللَّهُ ﴾ ... ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ . وجدنا أن المشاكلة قد أفادت كمال المبالغة في التحذير والتنفير من ارتكاب السيئات والاستهزاء بالله والمكر به والاعتداء على حرماته ، فجزاء تلك الأفعال لن يكون " جراء وعقاباً " بل سيكون (( مكرًا )) و (( اعتداء )) و (( استهزاء من الله )) و (( سيئة )) ، ونلحظ في الآية الأخيرة قوة حث للمؤمنين كي يتصدوا لمن يعتدى

على الشهر الحرام وعلى حرمات الله فتصديهم له ليس جزاء وعقاباً بل هو ((اعتداء )) ، وفي ذلك ما فيه من قوة الحث للمؤمنين حتى لا تنتهك حرمات الله وحتى لا يكون هنالك مجال للتفكير في الاعتداء عليها واتتها كها ... وهكذا نجد أن هذا الفن يحقق مزايا ومحاسن نفقتها عندما نعبر بالألفاظ الحقيقة لتلك المعانى المرادة .

الجاز والمشاكلة : وعندما نتأمل أمثلة المشاكلة نجد أن معظم هذه الأمثلة من قبيل الجاز المرسل أو الاستعارة ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَجْزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا ﴾ ﴿ وَبِدُلْنَاهُمْ بِجَنْتِهِمْ جَنْتِينَ ﴾ ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ نجد في هذه الآيات مجازاً مرسلاً لعلاقته السببية حيث أطلق السبب وأراد المسبب .. وفي قول القائل : ( اطبخوا لي جبة وقميصا ) ... وقول الآخر ( ادهنه بجدها المتورد ) نجد مجازاً بالاستعارة حيث شبهت الخياطة بالطبخ ، والتتمتع بالدهن ووجه الشبه هو أن الخياطة والتتمتع مما ينبغي أن يكون موضع رغبتهم ومحل عنایتهم كما أن الطبخ والدهن كذلك ..

وعلى الرغم من أن معظم شواهد المشاكلة من قبيل الجاز فإن للمشاكلة دورها في حسن التعبير وبلامغتها كما مر بنا ، فإذا كان في قوله : ( اطبخوا لي ) استعارة ... وفي قوله تعالى ﴿ وَجْزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا ﴾ مجاز مرسل ، فإن في وقوع ( اطبخوا ) في صحبة ( الطبخ ) الأول ، وفي وقوع سيئة الثانية في صحبة السيئة الأولى بلاغة وحسناً لا يكونان ولا يتحققان لو كان الجاز بدون هذه الصحبة ... وبهذا نستطيع أن نقول إن المشاكلة قد ساهمت مع الجاز في جمال الأسلوب وفي حسن وسمو بلاغته ...

★ ★ ★

## المبالغة

أطلق علماء البلاغة على هذا الفن تسميات متعددة منها : الإفراط في الصفة .. الغلو .. الإغرار .. التبليغ ... الإفراط في الإغريق ... الإيغال ... كما أنهم عدوا المبالغة غرضا لفنون كثيرة كالتشبيه والاستعارة والمحاز المرسل والإيجاز والإطناب والقصر والكناية وغيرها ...

فهذه الفنون تفيد المبالغة ، وهي متفاوتة في تلك الإفاداة زيادة ونقصانا أو شدة وضعفا ... ونجده عند الصرفين وال نحوين صيغ المبالغة : فعال .. ومفعال .. وفعل .. و فعل ، وأساليب التوكيد اللغطي والمعنوي .. وتلك أيضاً تفيد المبالغة ، والبلاغيون عندما درسوا المبالغة فنا من فنون البديع ، أرادوا بذلك دراسة مدى تفاوتها في الشدة والضعف ، ومتى تقبل في الكلام ومتى ترد ، ولذا لن نهتم بدراسة هذه الأساليب التي تفيد المبالغة ، فتلك الأساليب تدرس في مواضعها من علمي المعانى والبيان وفي علم النحو والصرف أما علم البديع فيهتم بمدى التفاوت في المبالغة ، وإلى أى حد تصل المبالغة شدة أو ضعفا ثم تقبل ... ومتى ترد المبالغة ؟ وهل اتفق العلماء على قبولها ؟ هذا ما سنتناوله بالدراسة إن شاء الله .

تعريف المبالغة : عرفت المبالغة في علم البديع بأنها : ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا ... كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِن زِلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مَرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعْتُ وَتَضَعُّ كلُّ ذَاتٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسُ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى وَلَكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾<sup>(١)</sup> .. فالآلية الكريمة قد بالغت في وصف أهوال يوم القيمة ... ووصلت بهذه الأهوال إلى حد بعيد ، فالمرضعة تذهل عما أرضعت والناس سكارى من الأهوال وما هم

(١) سورة الحج آية ٢، ١.

بسكارى ... فينبغي على كل عاقل أن يفكر في عاقبة الأمر وأن يستعد للنجاة من هذا المهوّل وذاك الفزع الأكبر ...

آراء العلماء في المبالغة : اختلفت آراء العلماء في المبالغة قبولاً ورداً ، فبعضهم رأى قبول المبالغة مطلقاً ... وبعضهم رأى ردها مطلقاً .. وبعضهم رأى قبول أنواع منها ورد أنواع ...

الرأي الأول : فأما الذين رأوا قبولاً مطلقاً فقد استندوا إلى ما يلى :

- ١ - أن أجود الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ولذا قال البحترى مخاطباً الذين رأوا إجراء الشعر على مقاييس المنطق وقواعده :

**كفتمنا حدود منطقكم والشعر يكفى عن صدقه كذبه**

فالشعر يقوم على التخييل والتصوير ، والإغرار في المدح والهجاء والوصف وسائل الأغراض ، وهذا هو الكذب الذي يرمي إليه البحترى ويريده ، ولا يقصد الكذب الذي يزيف ويزين ، ويقلب الباطل حقاً والحق باطلاً .

- ٢ - ما جرى بين النابغة الذهبياني وحسان بن ثابت في سوق عكاظ عندما احتكم حسان إلى قوله :

**لنا الجفනات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من تجمده دما**

فقد استدرك النابغة عليه ترك المبالغة وعد ذلك عبياً حيث رأى أنه قلل الجفنان ، ولو قال الجفنان بدل الجفنات لكان أكثر ... وقال : يلمعن بالضحى ، ولو قال يبرقن بالضحى لكان أبلغ في المدح ، لأن الضيف أكثر طروقاً بالليل ... وقال : يقطرن ولو قال : يجررين لكان أكثر ...

الرأي الثاني : أما الذين رأوا رد المبالغة مطلقاً فقد استندوا إلى ما يلى :

- ١ - أن المبالغة من عيوب الكلام ، والكلام الجيد ما خرج مخرج الصدق ، وجاء على منهج الحق .. والمتكلم لا يلتجأ إلى المبالغة إلا إذا عجز عن التعبير الجيد وابتكر المعانى ، فهو يلحّأ إلى المبالغة لسد خللها وتميم نقصه ...

٢- قول حسان - رضي الله عنه - :

وَإِنْ أَشْعُرْ بِيَتْ أَنْتَ قَائِلَهُ      بَيْتْ يَقَالْ إِذَا أَنْشَادَهُ صَدْقاً

فيحب ترك المبالغة إلى الصدق والتحقيق ...

٣- قول عمر - رضي الله عنه - معللا كون زهير أشعر الناس ؛ « إنَّه لا يتبع حوشى الكلام ولا يعاظل فى المنطق ولا يقول ما لا يعرف ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه » .....  
الرأى الثالث : توسط بين الرأيين السابقين فقبل من المبالغة ما جاء معتدلا ولم يتجاوز حدود العرف والعادة ولم يخرج على تعاليم الدين الحنيف ، ورد ما عداه ... وهذا الرأى أولى بالقبول وأحق بالترجيح و لعل الذين رفضوا المبالغة مطلقا قد خفى عليهم أن المراد بالكذب فى الشعر : التخييل والتصوير ، لا ما هو نقىض الحق والصدق ... وأن المراد بالصدق : مالم يتجاوز حد الاعتدال فى المنطق والقول .

أقسام المبالغة : والذين توسطوا بين الرأيين رأوا أن المبالغة ثلاثة أقسام : التبليغ والإغراق والغلو ... أما التبليغ والإغراق فهما مقبولان ... وأما الغلو فيقبل منه ويرد ..  
١- التبليغ : فالتبليغ ما كان الوصف المبالغ فيه ممكنا عقلا وعادة .. كما فى قول امرئ القيس يصف فرسه بأنه لا يعرق وإن كثر عدوه :

فَعَادَى عَدَاءَ بَيْنَ ثُورٍ وَنَعْجَةٍ      دَرَاكَا فَلَمْ يَنْضَحْ بَمَاءَ فِيْغَسْلٍ<sup>(١)</sup>

فقد ادعى أن فرسه أدرك ثورا وبقرة وحشين فى مضمار واحد ولم يعرق وهذا الادعاء ممكن عقلا وعادة ..  
ومثله قال المتنبى :

وَأَصْرَعَ أَيْ الْوَحْشَ قَفْيَتِهِ بِهِ      وَأَنْزَلَ عَنْهُ مُثْلَهُ حِينَ أَرْكَبَ

---

(١) عداء : العداء هو الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الآخر فى شوط واحد . والثور : ذكر البقر الوحشى والنعجة : أنثاه ، ودرaka : متابعا ...

فقد ادعى أنه يلاحق بفرسه الوحش فيصرعها وعندما ينزل عنه بعد انتهاء الصيد تكون حالته شبيهة بحالته عندما ركبه في بداية الصيد فلم يلحقه تعب ولم يصبه إرهاق وهذا الادعاء ممكن عقلاً وعادة ..  
وقول ابن الرومي في المحاجة :

إبرا يضيق بها فناء المنزل      ولو أن قصرك يا ابن يوسف متل  
ليخيط قد قميصه لم تفعل      وأناك يوسف يستغيرك إبرة  
فككون المهجو على هذه الدرجة من البخل على الرغم من حقاره المطلوب وصغره  
وكثرة وجوده عنده وعظم الطالب وعلو منزلته ، ممكن عقلاً وعادة .  
وقول زهير في مدح هرم بن سنان :

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتقاداً      يطعنهم ما ارتفوا حتى إذا اطعنوا  
فككون المدوح على هذا القدر من الشجاعة والقوة لا يمتنع عقلاً ولا عادة .  
٢ - الإغراف : وهو ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً ممتنعاً عادة .. كما في قول عمير بن الأبيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا      فمتابعة الجار بالإكرام حيث مال وصف ممكن عقلاً يمتنع عادة .. وكما في قول أمرىء القيس :

تثورتها من أذرعات وأهلها      يشرب أدنى دارها نظر عال  
فرؤية النار في المدينة من أذرعات الشام ممتنعة عادة وعرفاً ولكنها جائزة عقلاً  
وبخاصة إذا زالت الحواجز والموانع التي تمنع الرؤية ، فالدار قد قربها إليه نظر عال لا تمنعه  
جبال شاهقة ولا حواجز مرتفعة .. قوله أيضاً يصف أنفاس صاحبته عند النهوض  
من النوم :

كان المدام وصوب الغمام      وريح الخزامي ونشر القطر

## يَعْلَمُ بِهِ بَرْدٌ أَنِيابُهَا      إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحْرِ

فكون صاحبته على تلك الحال وقت السحر ممكن عقلاً وإن امتنع عادة .

٣ - الغلو : وهو ما كان الوصف المبالغ فيه ممتنعاً عقلاً وعادةً والمقبول منه ثلاثة أنواع :

أولها : أن يقترب به ما يقربه من الصحة والإمكان كلفظ ((كاد)) و((لو)) و((لولا)) و((يخيل)) ونحو ذلك ... كما في قوله عز وجل : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورٍ كَمَشْكَاهَ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمُصْبَاحُ فِي زَجَاجَةِ الزَّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كُوكَبٌ دَرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مَبَارِكَةِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتَهَا يَضْئِلُ وَلَوْلَمْ تَقْسِسْهُ نَارٌ﴾<sup>(١)</sup> ، فإضاء الزيت دون أن تمسه نار تمنع عقلاً وعادةً ، ولكن دخول لفظ ((يكاد)) قربه من الصحة وجعله ممكناً حيث أفاد أن الإضاءة لم تقع ولكن قربت من الواقع ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ مِنْ جَبَلٍ فِيهَا مِنْ بَرْدٍ فَيُصَبِّبُ بِهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَصْرُفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله عز وجل : ﴿أَوْ كَظِلَامَاتٍ فِي بَحْرٍ جَلَى يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقُ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَا هَـا﴾<sup>(٣)</sup> ومنه قول البحترى :

ولو أَنْ مَشْتَاقًا تَكْلُفَ فَوْقَ مَا      فِي وَسْعِهِ لِسْعِي إِلَيْكَ النَّبْرِ  
فَسْعِي النَّبْرِ إِلَيْهِ يَمْنَعُهُ الْعُقْلُ وَلَا يَقْرُهُ الْعُرْفُ وَالْعَادَةُ وَلَكِنَّهُ قَرْبُهُ مِنَ الْإِمْكَانِ بِذَكْرِ  
((لو)) الَّتِي هِيَ حِرْفٌ لِامْتِنَاعٍ ... وَمُثْلُهُ قَوْلُ امْرِيَّ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَتَاهَهُ :  
مِنَ الْقَاصِرَاتِ الْطَّرْفُ لَوْ دَبْ مَحُولٌ      مِنَ النَّمْلِ فَوْقُ الْإِلَابِ مِنْهَا

(١) سورة النور آية ٣٥ .

(٢) سورة النور آية ٤٣ .

(٣) سورة النور آية ٤٠ .

(٤) المَحْوَلُ : مَا أَتَى عَلَيْهِ الْحَوْلُ . وَالْإِلَابُ : درعُ الْمَرْأَةِ وَمَا قَصَرَ مِنَ الثِّيَابِ وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى قَمِصَهَا ..

وقول زهير مادحا :

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

ومن ذلك قول المتنبي :

لولا مخاطبتي إياك لم ترني  
كفى بجسمى نحولاً أنسى رجل  
فبلغ الإنسان فى نحو الجسم مبلغاً امتنع معه رؤيته مما لا يجوز عرفاً ولا عقلاً..  
ولكن ذكر ((لولا)) قرب هذا المعنى من الصحة ؛ إذ هى حرف امتناع لوجود ، فقد  
امتنع عدم الرؤية لوجود المخاطبة ، و هذا ما قرب الادعاء من الصحة وجعله  
مكنا ... ومثله قول المهلل :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور<sup>(١)</sup>  
وقد قالوا : إن هذا البيت أكذب بيت قاله العرب على الرغم من وجود ما يقربه من  
الصحة والإمكان وهو ذكر ((لولا)) التي تفيد امتناع الإسماع لوجود الرياح ...  
وازدواج بين هذا البيت وبيت امرئ القيس السابق :

تورتها من أذرعات وأهلها يشرب أدنى دارها نظر عال  
فقال بعضهم إن بيت امرئ القيس أقرب إلى الصحة والإمكان للأمور الآتية :  
١ - لأن فيه ما يخلص به من الطعن ، وهو اعترافه ببعد مسافة النار ، وأنه لم يدنهما  
إلا النظر العالى :

٢ - أن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع ، ورؤية الأشياء المضيئة من بعد يتجاوز  
الحد غير ممتنعة وخاصة إذا ارتفعت الحواجز وزالت الموانع وقد كانت زرقاء اليمامة ترى  
الجيوش من مسيرة ثلاثة أيام ...

---

(١) حجر : مدينة اليمامة وأم قراها . والبيض : واحدته بيضة وهي الخوذة والذكور : السيف .  
والصليل : الصوت ...

- ٣- أن الذى رأه امرء القيس نيران عظيمة مرتفعة موادها وهو قد نظر إليها من مكان عال وهذا ما يجعل ادعاءه الرؤية ممكناً وجائزاً ..  
وبعضهم يرى أن بيت المهلل أقرب للصحة من بيت امرء القيس لما يلى :  
١- وجود (( لولا )) فى بيت المهلل دون بيت امرء القيس .  
٢- تصريح امرء القيس بأن النار قد شبت فى وجه النهار حيث قال قبل البيت المذكور :

### **نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال**

والمعنى : نظرت إلى هذه النيران والنجوم قد فارت الاختفاء لظهور ضوء النهار وكأنها مصابيح رهبان أوقدت أول الليل حتى إذا جاء آخره ضعف نورها وقل شعاعها .. ولكننى أرى أن ما فى البيت تصريح بأن النظر كان ليلاً وأن النيران قد أوقدت فى غسق الليل لا فى وجه النهار كما قيل ، فالنجوم قد ضعف ضوؤها وقل وهذا أدعى للظلام ، ظلام آخر الليل الذى يعقبه ضوء الصباح ... وبهذا يظل بيت المهلل أكذب بيت على الرغم من وجود (( لولا )) به كما أوضحتنا ... هذا وقد يكون اللفظ الذى الذى يقرب من الصحة مقدراً كما فى قول عنترة :

### **وأنا المنية حين تشجّر الفنا والطعن مني سابق الآجال**

وقول امرء القيس :

**مكر مفر مقبل مدبر معا كجل Mood صخر حطه السيل من عل**  
فالمعنى فى البيتين على تقدير (( يكاد )) أى : والطعن مني يكاد يسبق الآجال ... يكاد يكون مفراً مكراً مقبلاً مدبراً معاً .  
ثانية : أن يتضمن نوعاً حسناً من التخييل فيقربه ذلك من الصحة والإمكان .  
كما فى قول المتبنى :

### **عقدت سبابكها عليها عثرا لو تتبّغى عنقاً عليه لأمكنا<sup>(١)</sup>**

---

(١) السبابك : الحواجز . والعثرا : الغبار المثار . وعنقاً : سيراً .

معنى البيت : أن حواضر الخييل أثارت غباراً كثيفاً انعقد فوقها وترأكم بمحى  
لو أردت السير عليه لأمكانك السير لكتافته وغزارته ... وهذا يمتنع عقلاً وعادةً ، ولكن  
ما تضمنه من تخيل حسن ، أو هم السامع أن الغبار لكتافته صار كالأرض أو الجبال ،  
فيتمكن السير عليه ... هذا التخييل وكذلك وجود ((لو)) ، قرباً الوصف المدعى من  
الصحة والإمكان .. ومثله قول الآخر في وصف الليل بالطول :

وشت بأهدابي إلـيـهـن أجـفـانـي يـخـيلـلـيـ أـنـ سـمـ الشـهـبـ فـيـ الدـجـي

لفظ (( يخيل )) وما تضمنه البيت من تخيل الشهب مسممة في الديجى بمسامير وشد أحفان الشاعر بأهدابه إليهن ، قربا المعنى من الصحة وجعلاه ممكنا ...  
ثالثها : أن يخرج مخرج الخلاعة والهزل .. كما في قوله :

أسكر بالآمس إن عزمت عل ب غدا إن ذا من العجب

فالسخر المدعى يمتنع عقلاً وعادةً ولكن خروج هذا الكلام مخرج المزل قربه من الإمكاني ...

فإن خلا الغلو من هذه الأمور الثلاثة كان مردوداً ولا يقبل ... وذلك على نحو ما نرى في قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه  
لتحاول النطاف التي لم تخلق  
وقوله أيضاً :

حتى الذى في الرحم لم يك صورة لفؤاده من خوفه خفقان

ولو قدرنا (( يكاد )) في البيتين لكان من الغلو المقبول كما لا يخفى ...

ومن ذلك أيضاً قول ابن هانئ الأندلسي :

ما شت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وقول المتنبي :

ير تشنن من فمى رشفات      هن فيه أحلى من التوحيد  
ولا يخفى ما فى البيتين من خروج على تعاليم الدين ، وهذا ما جعله غلوا  
مردودا .

ومنه قول المتنبي أيضاً :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى      إلى قول قوم أنت بالغيب عالم  
وإذا تأملنا شواهد المبالغة التي ذكرها البلاغيون وجدنا أن الغلو غير المقبول قد كثر  
في العصر العباسي وما تلاه أما قبل ذلك فلا نكاد نجد سوى المبالغة المقبولة من تبليغ  
أو إغراق أو غلو قد قرب من الصحة والإمكان بأمر من الأمور التي ذكرناها .

## التجريد

وهو أن يتزوج من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في الأمر الأول المترعرع منه كما في قوله تعالى : ﴿ ذلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارَ ، لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخَلْدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحُدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

فجهنم هي (( دار الخلد )) ولكن قد جردت منها دار أخرى وسميت (( دار الخلد )) لإفاده المبالغة في أتصف جهنم بشدة العذاب وتهويل أمرها ... فلقد بلغت جهنم في شدة العذاب وهو له مبلغاً يصح معه أن يتزوج منها موصوف آخر متصف بتلك الصفة ، فهي فيها كأنها تفيض بمثيلاتها لقوتها وشدةتها كما يفيض الماء من البحر .. ومن ذلك قولنا (( لى من فلان صديق حميم )) فقد انتزع من فلان شخص آخر مثله في الصداقة ، وذلك للدلالة على كمال الصفة في فلان هذا ، المترعرع منه فقد بلغ في الصداقة مبلغاً يصح معه أن يتزوج منه شخص آخر مثله فيها ...

### صور التجريد : ويأتي التجريد على عدة صور أهمها :

- ١- أن يكون بدخول (( في )) على المترعرع منه كما في الآية الكريمة السابقة وكقولنا : (( للك في دار كرامة )) .
- ٢- أن يكون بدخول (( الباء )) على المترعرع منه نحو قوله : (( لمن سألت فلانا لتسألن به البحر )) فقد بلغ المترعرع منه في الجود مبلغاً يصح معه أن يتزوج منه بحر في الكرم والعطاء .
- ٣- أن يكون بدخول (( من )) على المترعرع منه كقولهم : (( لى من فلان صديق حميم )) ...
- ٤- أن يكون بدخول (( باء المعية )) على المترعرع كقول الشاعر :

---

(١) سورة فصلت آية ٢٨ .

**وشهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى      بمستلهم مثل الفنيق المرحل<sup>(١)</sup>**

يريد : تعدو بي ومعي من نفسى مستلهم أى لابس لأمة ، وذلك لكمال استعداده للحرب ، فقد جرد من نفسه مستلثماً مستعداً للحروب ...

٥ - أن يكون التجريد مستفادة من السياق والقرائن من غير توسط حرف من الحروف كقول الشاعر :

**فلن بقيت لأرحلن بغزوة      تحوى الغائم أو يموت كريم**  
 فهو يعني (( بالكرم )) نفسه على سبيل التجريد إذ انتزع من نفسه (( كريما ))  
 للمبالغة في اتصافه بالكرم ...

٦ - أن يكون بطريق الكناية ، كما في قول الأعشى :

**يا خير من يركب المطى ولا      يشرب كأسا بكف من بخل**  
 فقوله (( ولا يشرب كأسا بكف من بخل )) كناية عن شربه بكف الكريم ، وبهذا يكون قد جرد من نفسه كريماً يشرب بكفه هو ، وتم ذلك عن طريق الكناية إذ كنى بعدم الشرب بكف من بخل عن الشرب بكف الكريم الذي جرده من نفسه ... ومثله قول الآخر :

**إن تلقنى لا ترى غيرى بناظرة      تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد**  
 فقد كنى (( بجبهة الأسد )) عن الأسد نفسه وبهذا يكون قد جرد من نفسه أبداً للدلالة على كمال اتصافه بالشجاعة والقوة إلى درجة أن من يلاقاه محارباً لا يرى غيره بعينه الناظرة ، ينسى سلاحه ، لأنه يلقى أسدًا فاتكًا ...  
 ٧ - أن يكون بمخاطبة الإنسان نفسه ... كقول الأعشى :

**ودع هريرة إن الراكب مرتحل      وهل تطبق داعاً أيها الرجل**

---

(١) الشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها بالحروب . وصارخ الوغى : المستغيث . والمستلهم : لابس الأمة وهي الدرع . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل . والمرحل : المرسل الذي لا يربط .

فقد جرد من نفسه شخصاً آخر وأخذ يخاطبه : « (ودع) » ، « (وهل تطبق) » ،  
« (أيها الرجل) » ... وقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فقد جرد من نفسه آخر ومخاطبه قائلاً : أنت فقير لا تملك مالاً ولا عندك خيل  
فليكن ما تقدمه هو المدح والثناء الذي تقدر عليه وتنطق به ....

وفي هذه الصورة نرى أن الغرض من التجريد هو تمكين المتكلم من إجراء الأوصاف  
المقصودة من مدح أو غيره على نفسه إذ يكون مخاطباً بها غيره فيكون ذلك أذناً له ...  
هل يفيد أسلوب التجريد التشبيه أو الالتفات ؟ : إذا تأملنا أسلوب التجريد في  
صوره المذكورة وجدنا أن بعضها يفيد التشبيه الضمني وبعضها يفيض الالتفات  
وبعضها لا يفيد تشبيهاً ولا الالتفاتاً .

ففي الصورة الثانية وهي دخول حرف ( الباء ) على المترنع منه نحو « لمن سألت  
فلاناً لتسألن به البحر » (( ولمن لقيته لتلقين به الأسد )) تجد أن هذه الصورة قد أفادت  
التشبيه ضمناً ... وكذا في الصورة السادسة وهي إفاده التجريد عن طريق الكنية بمحنة  
بعض صور الكنية قد يفيد التشبيه ضمناً كما في البيت :

إن تلقني لا ترى غيري ببناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

وفي الصورة الخامسة وهي إفاده التجريد بالقرائن وبدون توسط الحروف تجده  
الالتفاتات من المتكلم إلى الغيبة وكذلك في الصورة الرابعة (( دخول الباء على المترنع ))  
كما في البيت :

وشوهاء تعدو بي إلى صاح الوعي بمستلهم مثل الفنيق المرحل

وكما في البيت الآخر :

فللن بقية لأرجلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

فقد التفت في البيتين من من المتكلّم في : « بي .. بقية » إلى الغيبة :

(( مستلهم .. يموت كريم )) ..

وكذا في الصورة السادسة وهي إفاده التجريد عن طريق الكناية نرى التفاسات في قوله :

إن تلقنی لا ترى غیری بناظرة      نس السلاح وتعرف جبهة الأسد  
حيث التفت من التكلم في : (( تلقنی ... غیری .. )) إلى الغيبة : (( تعرف جبهة  
الأسد )) ...

وبهذا يتضح أن بعض صور التجريد قد تفيض الالتفات أو التشبيه الضمني وبعضها لا يفيض سوى التجريد .

بلاغة التجريد : وتكون بلاغة أسلوب التجريد فيما يلى :

- ١ - المبالغة في وجود الصفة في المترد عنه ، فقد بلغ في الاتصاف بها مبلغاً عظيماً إلى درجة أن صار يفيض بها على غيره ، كما رأيت في الشواهد .
- ٢ - إثارة الخيال وتنشيط الأذهان وتنبيه العقول بما في أساليبه من تصوير وتخيل ومن تنويع وتلوين في الصياغة ، ولا يخفى عليك أن مثل هذا الكلام يقع في النفس موقعه ، لأن من شأن العقول التي أوقظت ونبهت أن تصفع بعناء ، وعندئذ يقع بها الكلام بما فيه من تصوير وتخيل موقعاً حميداً ...



## اللف والنشر

هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل من آحاده من غير تعين ثقة بأن السامع يرد إلى كل ما يليق به ...

كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(١)</sup> فقد ذكر متعدد وهو ﴿ الظَّلَلُ وَالنَّهَارُ ﴾ على جهة التفصيل حيث عطف النهار على الليل بواو العطف ، وهذا يسمى (( لف )) ويسمى بعض البلاغيين (( طياب )) ثم ذكر بعد هذا الطي أو اللف : (( النشر )) وهو ﴿ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ وذكره كما ترى بدون تعين ثقة بأن السامع يدرك ما لكل ويرده إليه ، فهو يدرك أن السكن للليل وأن ابتغا الفضل يكون نهاراً .. فإذا عين النشر وحدد كان من التقسيم الآتي بيانه لا من اللف والنشر .

وجه تسميته : ووجه تسمية هذا النوع من البديع باللف والنشر ، أن المتعدد المذكور على جهة التفصيل أو الإجمال ، قد انطوى فيه حكمه لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به ، ولذا سمي (( لف )) أو (( طياب )) فلما صرخ بعد ذلك بالحكم المطوى ، كان كأنه نشر وإبراز له ولذا سمي (( نشر )) .

أنواعه : ويتبين من التعريف أن اللف والنشر نوعان :  
الأول : أن يكون المتعدد مذكورة على جهة التفصيل وهذا النوع ضربان :  
أو همما : أن يكون النشر على ترتيب اللف ، كما في الآية السابقة وكما في قول امرئ القيس :

كان قلوب الطير رطباً وياساً      لدى وكرها العناب والخشاف البالي  
فقد ذكر متعددا على جهة التفصيل : (( رطباً وياساً )) ، ثم ذكر ما لكل مرتبة ،  
فالعناب يرجع للقلوب الرطبة والخشاف البالي يرجع للقلوب الياضة .  
ومنه قول ابن الرومي :

(١) سورة القصص آية ٧٣ .

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم  
في الحادثات إذا دجون نجوم  
فيها معالم للهدى ومصابح  
تجلو الدجى والأخريات رجوم<sup>(١)</sup>

فقد ذكر متعددًا : (( آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم )) على جهة التفصيل ثم ذكر ما لكل على الترتيب : فمعالم للهدى ترجع للآراء ، ومصابح ترجع للوجوه ، ورجوم ترجع للسيوف ، ولا يقدح في هذا تعين ما يرجع للسيوف بقوله : (( والأخريات )) لأن الأول والثانى بلا تعين ، كما لا يخفى ..

ثانيها : أن يكون النشر على غير ترتيب اللف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُ  
قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبُّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبُنَا وَإِسْرَافُنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَتْ أَقْدَامُنَا وَانْصَرَنَا عَلَى  
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحْسَنُ ثَوَابُ الْآخِرَةِ ﴾<sup>(٢)</sup>

فقد جمعوا في دعائهم بين أمرى الدنيا والآخرة وقدموا ما للآخرة : ﴿ أَغْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبُنَا وَإِسْرَافُنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ وآخرها ما للدنيا : ﴿ وَثَبَتْ أَقْدَامُنَا وَانْصَرَنَا ﴾ . وهذا  
متعدد ثم جاء النشر على غير ترتيب اللف حيث قدم ثواب الدنيا على ثواب الآخرة ،  
ولعل السر في ذلك يرجع إلى أن المقام مقام جهاد وقتل والنفوس في هذا المقام متطلعة  
للنصر ... وقد خص ثواب الآخرة بالحسن دون ثواب الدنيا إذانا بأنه المعتمد به عند الله  
عز وجل ..

ومن هذا الضرب قول ابن حيوس :  
كيف أسلو وأنت حقف وغضن  
وغرزال لحظا وقدا وردف<sup>(٣)</sup>

(١) دجون : أظلم من . والمعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق والدجى ، جمع دجية  
وهي الظلمة . والرجوم ، الشهب .

(٢) سورة آل عمران ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) الحقف : مجتمع الرمل إذا عظم واستدار ، والردف : العجيبة وقد شبه الشاعر المرأة بالحقف  
والغضن والغرزال .

فاللف هو : « حقف وغضن وغزال » والنشر ، « لحظاً » ويرجع إلى غزال « وقداً » ويرجع إلى الغصن ، و « وردفاً » ويرجع إلى الحقف واضح أن النشر على غير ترتيب اللف .

وقول الفرزدق :

لقد خنت قوماً لو لجأت إليهم  
طريد دم أو حاملاً ثقل مفرم

لألفيت فيهم معطياً أو مطاعنا  
وراءك شزراً بالوشيج المقوم<sup>(١)</sup>

فاللف : « طريد دم أو حاملاً ... » والنشر « معطياً » ويرجع إلى « حاملاً ثقل مفرم » و « مطاعناً » ويرجع إلى « طريد دم » وهو على غير ترتيب اللف .

الثاني : أن يكون المتعدد مذكوراً على جهة الإجمال .

كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يَحْارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا أَنْ يَقْتُلُوْا أَوْ يُصْلِبُوْا أَوْ تُقطعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِّنْ خَلَافٍ أَوْ يَنْفُوْا مِنَ الْأَرْضِ .. ﴾<sup>(٢)</sup> فقد ذكر متعدد على جهة الإجمال في قوله : ﴿ يَحْارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إذ المماربة تشمل : القتل أو أخذ المال أو الإخافة أو الجمع بين القتل وأخذ الأموال ، أو بين أخذ الأموال والإخافة ، فأجمل كل ذلك في قوله : ﴿ يَحْارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، ثم جاء النشر : ﴿ أَنْ يَقْتُلُوْا ﴾ إذ كانت المماربة قتالاً فقط ، ﴿ أَوْ يُصْلِبُوْا ﴾ أي مع التقتيل إذا جمعوا في المماربة بين القتل وأخذ المال ، ﴿ أَوْ تُقطعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِّنْ خَلَافٍ ﴾ ، إذا جمعوا بين أخذ الأموال والإخافة ، ﴿ أَوْ يَنْفُوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ إذا كانت المماربة إخافة فقط .. وكذا قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَلَكَ أَمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا

(١) الخطاب لهبيرة بن ضمضم ، طريد دم : كناية عن القتل ، و الثقل: الحمل الثقيل - وشزر : طعنه عن عينه وشماله . و الوشيج : شجر الرماح .

(٢) سورة المائدة آية ٢٣ .

برهانكم<sup>(١)</sup> فالضمير في **﴿قالوا﴾** يرجع لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هoda ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلف القولين وجمعهما في الضمير **﴿قالوا﴾** على جهة الإجمال ثم ذكر النشر : **﴿هوداً أو نصارى﴾** بدون تعين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله لما عالم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهم لصاحب.. وهذا النوع من اللف والنشر لا يقتضى ترتيباً أو عدم ترتيب ، لأن اللف بمحمل لا يعلم ترتيبه حتى نظر فى ترتيب النشر على ضوئه .

**بلاغة اللف والنشر** : وبلاعة اللف والنشر تكمن فى أن ذكر اللف مطويأً فيه حكمه أو ما يتعلق به ، يهبيء النفوس ويعدها لتلقى ما يذكر بعد من النشر العائد إلى اللف ، فإذا ما ذكر النشر بعدئذ وقع فى النفوس موقعه ، وتمت الفائدة أحسن تمام وتحقق الغرض أبلغ تحقيق ، لأن النشر جاء والنفوس إليه متطلعة وله مترقبة ...



---

(١) سورة البقرة آية ١١١ .

## ال التقسيم

التقسيم فن من فنون البديع ، وهو يرد في الكلام على عدة صور تختلف كل صورة منها عن الأخرى ، وأهم هذه الصور ما يلى :

١ - استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يترك منها قسماً محتملاً ... كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أُرْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عَبْدَنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> ، فالآية قد استوفت جميع الأقسام التي يمكن أن يكون عليها العباد ، فهم إما ظالم لنفسه أو مقتصد أو سابق بالخيرات ، وليس هنالك قسم رابع ... ومن لطيف ذلك قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، فليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين .. وقد قدم الخوف على الطمع لأن الصواعق تقع من أول برقة أما المطر فلا يحصل إلا بعد توافر البرقات ولذا كانت العرب تعدد سبعين برقة وتنتفع فلا تخطئ الغيث والكلأ ، وإلى هذا أشار المتibi بقوله :

وقد أرد المياه بغير هاد سوى عدى لها برق الغمام

فلما كان الأمر المخوف من البرق يقع من أول برقة ، قدم ذكر الخوف ولما كان الأمر المطعم منه يأتي ناسحاً للخوف ومبدأ له ، آخر ذكر الطمع ليكون الفرج بعد الضيق واليسير بعد العسر والأمن بعد الخوف ، مما من ريب في أن هذا يكون أوقع في النفوس وأبلغ ، حيث تطمئن بالبشرى وبحسن العاقبة ...

ومنه قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ مَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهْبِطُ لَمْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup> فقد

(١) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٢) سورة الرعد آية ١٢ .

(٣) سورة الشورى آياتاً ٤٩ ، ٥٠ .

استوفت الآية الكريمة جميع أقسام المعنى ، فالله عز وجل إما أن يهب الإناث أو يزوج العباد ذكوراً وإناثاً أو يهب الذكور أو لا يهب شيئاً .. وليس هنالك قسم آخر ... ومن دقائق التعبير في الآية الكريمة أن الأقسام وقعت على ترتيب البلاغة وهي الانتقال من الأدنى إلى الأعلى ، فقدم هبة الإناث وتلاها بهبة الذكور فهبة الإناث والذكور ثم الحرمان ... وقد أخر الحرمان وقدمت أقسام الهبة لأن إنعام الله وتفضله على عباده أولى بالتقديم ... كما عبر عن العطاء والتفضيل بلفظ الهبة وعبر عن الحرمان بلفظ الجعل لتأتي الألفاظ ملائمة للمعاني . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> فلم ترك الآية الكريمة قسماً من أقسام الم هيئات إلا أتت به ، ومثله قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَانُ الضَّرَّ دُعِيَ لِجَنِبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾<sup>(٢)</sup> . وللاحظ تغيراً في ترتيب الأقسام في الآيتين وهذا التغيير قد اقتضاه المعنى ، إذ الآية الأولى تتحدث عن الذكر وهو - والله أعلم - الصلاة ، والقيام فيها وأحب على القادر ويليه القعود عند العجز عن القيام ثم الاضطجاع عند العجز عن القعود ..

أما الآية الثانية فتحدث عن الضر الذي يمس الإنسلت وفيه يقدم الاضطجاع عند العجز عن القعود ..

أما الآية الثانية فتحدث عن الضر الذي يمس الإنسان وفيه يقدم الاضطجاع ثم يليه القعود عند زوال بعض الضر ، فإذا زال الضر كله كان القيام ، وبهذا قد حسن ترتيب الأقسام في كل آية وتحقق ائتلاف الألفاظ وملاءمتها للمعنى ...  
ومن التقسيم في الأحاديث النبوية قول الرسول ﷺ : " ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت " ولا رابع لهذه الأقسام .

(١) سورة آل عمران آيتا ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة يونس آية ١٢

ومنه ما حكى أن أعرابياً وقف على حلقة الحسن البصري فقال : (( رحم الله من تصدق من فضل أو آسى من كفاف أو آثر من قوت )) ، فقال الحسن : ما ترك لأحد عذراً ... ومن استيفاء الأقسام في أشعارهم :

قول زهير بن أبي سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله     ولكننى عن علم ما فى غد عمى  
فقد استوفى جميع الأزمنة التي يتوجه إليها العلم ...  
وقوله :

فإن الحق مقطعيه ثلاط     يمين أو نثار أو جلاء  
فذلكم مقاطعه كل حق     ثلات كلهن لكم شفاء  
روى أن عمر - رضى الله عنه - قد أعجب بالتقسيم في البيت الأول من البيتين  
وكان يردد متعجباً : « يمين أو نثار أو جلاء » كما كان يقول « لو أدركت زهيراً  
لوليته القضاء لمعرفته » ... وكان - رضى الله عنه - يتعجب من استيفاء الأقسام في بيت  
عبدة بن الطيب :

والمرء ساع لأمر ليس يدركه     والعيش شح وإشفاق وتأميم  
وكان يردد متعجباً ومعجباً : « والعيش شح وإشفاق وتأميم »  
ومن ذلك قول نصيبي :

قال فريق القوم لا وفريقهم     فليس في أقسام الإجابة غير ما ذكر ..  
نعم وفريق قال : ويحك ماندرى     وقول عمر بن أبي ربيعة :

فهبهما كشيء لم يكن أو كناز     به الدار أو من غيبته المقابر  
فلم يق ما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت  
- ومن صور التقسيم : ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يلائمها ويليق  
بها ... كما في قول أبي الطيب :

سأطلب حقى بالفنا ومشايخ  
كأنهم من طول ما التشموا مرد  
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا  
كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا <sup>(١)</sup>

فقد ذكر أحوال المشايخ مضافاً إلى كل حال ما يلائمها ويليق بها .  
ومنه قول الآخر :

فقد ذكر أحوال فتياته مضافاً إلى كل حال ما يلائمها ... وقول زهير :

**يُطْعِنُهُمْ مَا أَرْتَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا أَطْعَنُوا ضَارَبُوا إِذَا مَا ضَارُبُوا اعْتَقَا**

فقد ذكر أحوال مدوحة مضيفاً إلى كل حال ما يلائمها ويبيّن أن المدوحة يفوق

أعداءه ويقدم عليهم في القتال .... وقول طریح الثقفی :

إِن يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يَخْفُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا  
شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا

فقد ذكر أحوالهم مضيفا إلى كل حال ما يلائمها في الكشف عن حقيقة أمرهم ومنه قول على - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - : « أحسن إلى من شئت تكن أميره واستغن عن من شئت تكن نظيره واحتتج إلى من شئت تكن أسيره ....

٣- ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين ، وهذه الصورة من صور التقسيم تختلف عن اللف والنشر في أن ما يضاف إلى المتعدد معين وهو في اللف والنشر

(١) القنا : الرماح ، والمرد : جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت حليته .

(٢) سفرن : كشفن وجوههن. وانتقن: لبس النقاب وعندئذ تبدو الحواجب مقوسة مثل الأهلة... ومن تختارن في مشيئهن.

غير معين - كما مز .. ومن شواهد هذه الصورة قوله تعالى : ﴿ كذبت ثُمَّ وَعَادَ بِالقارعة . فَأَمَا ثُمَّ وَعَادَ فَأَهْلَكُوا بِرِيعِ صَرْصَرِ عَاتِيَةٍ ﴾<sup>(١)</sup> . فقد ذكر متعدد وهو تكذيب ثُمَّ وَعَادَ ثم أضيف إلى كل ماله وما حاق به من العذاب على وجه التعيين ... ومنه قول القائل :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانُ : عَيْرُ الْحَىٰ وَالْوَتَدُ  
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرَمْتَهُ وَذَا يَشْجُ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدٌ

فقد أضاف إلى (( عير الحى )) الربط على الخسف والذل ، وإلى الوتد الشج وهذه الإضافة على وجه التعيين لأن هذا اسم إشارة للقريب وهذا للأقرب ، ولأن (( على الخسف مربوط )) تعين للحمار فهو الذى يذل ويربط وقوله : (( يشج )) متعينة للوتد إذ هو الذى يدق ..

عيوب التقسيم : والتقسيم إذا استوفى جميع أقسام المعنى دون أن تتدخل الأقسام أو تتكرر فهو التقسيم الجيد .. أما إذا لم يستوف المتكلم كل أقسام المعنى الذي هو بصدق الحديث عنه أو أدخل بعض الأقسام فى بعض أو كرر بعضها كان التقسيم معينا ... فمن الأول قول جرير يهجو بنى حنيفة :

صَارَتْ حَنِيفَةَ أَثْلَاثًا فَلَثَّهُمْ مِنْ الْعَسِيدِ وَلَثَّ مِنْ مَوَالِيهَا

فقد ذكر أنهم صاروا ثلاثة أقسام ثم صرخ بقسمين وسكت عن القسم الثالث ، ولذا يقال إن جريراً أنشد هذا البيت ورجل من بنى حنيفة حاضر ، فسألته بعض الحاضرين : من أى قسم أنت ؟ فقال من الثالث الملغى ذكره ... ولعل الثالث الذى تركه جرير هم الأشراف ، وقد سكت عنه جرير ؛ لأن المقام مقام هجاء يقتضى حذفه وطيه .. ومن الثاني قول جحيل يخاطب بشينة :

لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقْدَرْ قَلَامَةٍ حَبَّا وَصَلْتَكَ أَوْ أَتَكَ رَسَائِلِي  
فَإِتِيَانُ الرَّسَائِلِ دَاهِلٌ فِي الْوَصْلِ ... وَلَوْ قَالَ : لَزَرْتَكَ أَوْ أَتَكَ رَسَائِلِي لِصَحِّ الْمَعْنَى  
وَاسْتِقَامَ التَّقْسِيمُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ يَصِفُّ قَوْمًا بَعْدَ مَعْرَكَةٍ : (( فَهُمْ مَا بَيْنَ جَرِيجٍ

(١) سورة الحاقة ٤ - ٦ .

مضرج بدمائه وهارب يلتفت إلى ورائه )) لأن الجريع قد يكون هارباً ، فالقسمان متداخلان ، ولو قال فهم ما بين قتيل مضرج بدمائه وهارب لصحيح المعنى واستقام التقسيم ، ... وكذا قول الآخر : « الناس ثلاثة : عاقل وأحمق وفاجر » ، لأن الفاجر قد يكون أحمق وقد يكون عاقلاً ، إذ العاقل يجوز أن يكون فاجراً وكذا الأحمق ، فالأقسام متداخلة والقسمة فاسدة ...

ومن الثالث وهو تكرار الأقسام قول أمية بن أبي الصلت :

رَبُّ الْأَنَامِ وَرَبُّ مَنْ يَتَابُدُ<sup>(١)</sup> اللَّهُ نَعْمَلْتَا تَبَارَكْ رَبُّنَا

فمن (( يتأيد )) أى يتواوح داخل فى الأنام ، ولذا فسد التقسيم من أجل التكرار والتدخل ...

ومثله قول الآخر :

فما برحت تومي إلى بطرفها  
لأن تومي بطرفها وتومض معنى واحد.



(١) الأنام : الخلق .. ويتأبد: يتتوحد .

الجمع

هو أن يجمع بين أمرتين مختلفتين أو أكثر في حكم واحد كما في قوله تعالى :  
﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾<sup>(١)</sup> ، فقد جمع المال والبنون في كونهما زينة  
الحياة الدنيا .. وقوله عز وجل : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأذلام رجس من  
عمل الشيطان فاجتنبه لعلكم تفلحون ﴾<sup>(٢)</sup> فقد جمعت هذه الرذائل في كونها  
رجس من عمل الشيطان . وقوله عز وجل : ﴿ الشمس والقمر بحسبان النجم  
والشجر يسجدان ﴾<sup>(٣)</sup> . جمع بين الشمس والقمر في الحسبان أي الحساب الدقيق ،  
وبين النجم والشجر في السجود أي الانقياد لإرادة الله .. ومنه قول النبي ﷺ : "من  
أصبح آمناً في سريه ، معافى في بدنـه ، عنده قوت يومـه ، فكأنـما حيزـت له الدنيا  
بحذـافيرـها ..." <sup>(٤)</sup> ، فجمع الأمـن ومعـافـة الـبدـن وقوـت الـيـوم في حـكم وـاحـد وـهـو حـيـازـة  
الـدـنيـا بـحـذـافـيرـها ... ومن أقوـاـهم قول أبـي العـتـاهـيـة :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة<sup>(٥)</sup>  
فقد جمع الشباب والفراغ والجدة في حكم واحد وهو كونها مفسدة للمرء أى  
مفسدة ....  
وقول ابن وهب :

ثلاثة شرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

(١) القنا : سورة الكهف آية ٤٦ .

. ٩٠ سورة المائدة آية (٢)

(٣) سورة الرحمن الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) السرب : يطلق على النفس وعلى الجماعة من النساء والبقر وغيرها والجمع : أسراب ..  
والخذافير : التواحي واحدها حذفار ....

(٥) الجدة : الاستغناء بالمال . وأى مفسدة : بمعنى كاملة الفساد .

فقد جمعت هذه الأمور الثلاثة شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر فى كونها تشرق  
الدنيا بيهجتها ... وقول الآخر :

آراؤه وعطاياه ونعمته وغفوه رحمة للناس كلهم

فقد جمع آراءه وعطاياه ونعمته وغفوه فى حكم واحد وهو كونها رحمة للناس  
كلهم ...



## التفريق

والتفريق عكس الجمع فهو إيقاع تبادل بين أمرتين من نوع واحد في المدح أو غيره ... كما في قول الوطواط :

ما نوال الغمام وقت ربىع كنوال الأمير يوم سخاء

فروال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء<sup>(١)</sup>

فقد أوقع الشاعر تبادل بين العطاءين : عطاء الأمير وعطاء الغمام وهو من نوع واحد أى : مطلق عطاء ، وغايته من هذا التفريق أن يفضل عطاء المدوح على نوال الغمام .. ومثله قول الوأواء الدمشقي :

من قاس جدواك بالغمام فما أنصاف في الحكم بين شكلين

أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد دامع العين<sup>(٢)</sup>

فقد فرق بين العطاءين وهو من نوع واحد ليفضل عطاء المدوح وعلل ذلك تعليلاً حسناً فالمدوح ضاحك عند العطاء لأنه محب للجود يعطي عن طوعية و اختيار ، والغمام عند عطائه دامع العين وكان هناك قوة تدفعه إلى العطاء على غير إرادة منه .. ومنه قول الآخر :

قاسوك بالغصن في الشّى قياس جهل بلا انتصار

فذاك غصن الخلاف يدعى وأنت غصن بلا خلاف<sup>(٣)</sup>

فقد فرق بين أمرتين من نوع واحد وهو صاحبته والغصن فهما من نوع واحد في الثنائي على التشبيه ، واتخذ من تسمية الغصن خلافاً ركيزة للتفريق وهدفه من هذا

(١) النوال : العطاء . والبدرة : كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم ، والمراد بالعين : المال ....

(٢) الجدوى : العطية ، والشكلان : ثنائية شكل يعني مثل .. وجاد : أعطى ...

(٣) الخلاف : شجر الصفصاف وتشبه به المرأة في الثنائي واعتدا على القامة .

التفريق تفضيل قوام صاحبته على غصن الخلاف لأن الأخير تنفر النفس منه لاسمه (الخلاف) أما الأول وهو قوام صاحبته فغضن بلا خلاف ولا شك ، ونلاحظ أن بين (الخلاف) و (خلاف) في البيت الثاني جناس تمام . ومن ذلك قول صفي الدين الحلبي في مدح المصطفى ﷺ :

فجود كفيه لم تقلع سحائمه عن العباد وجوب السحب لم يدم  
فجود كفيه - عليه الصلاة والسلام - وجود السحاب من نوع واحد وهو مطلق  
جود ، وقد فرق بينهما الشاعر و أوقع تبايناً معللاً تعليلاً حسناً ، وهو أن جود كفيه -  
عليه الصلاة والسلام - متصل و دائم على العباد ، لا تقلع سحائمه ، أما جود السحب  
 فهو  
منقطع غير دائم .. وغايته من ذلك ترجيح وتفضيل جود كفي الرسول - ﷺ -  
على جود السحب .



## الجمع مع التفرق

هو أن يجمع بين شيئين في حكم واحد ويفرق بين جهتي الجمع ... كما في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا الظَّلَلَ وَالنَّهَارَ آيَتِينَ فَمَحَوْنَا آيَةَ الظَّلَلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً﴾<sup>(١)</sup> . فقد جمع بين الليل والنهار في حكم واحد وهو كونهما آيتين ودليلين على قدرة الله وحكمته ، ثم فرق بين جهتي الجمع فالليل يكون مظلماً والنهار يكون مضيناً .. ومنه قول رشيد الدين الوطواط :

فوجنك كالنار في ضئوها      وقلبي كالنار في حرها

حيث جمع بين وجه حبيبه وقلب نفسه في حكم واحد وهو تشبيههما بالنار ، ثم فرق بينهما من جهة وجه الشبه ، فجعله في وجه الحبيب : الضوء واللمعان ، وفي القلب : الحرارة والاحتراق .  
ومثله قول الآخر :

تشابه دمعانـا غـداة فـراقـنا

فوجنتها تكسـو المـدامـع حـمـرة

فقد جمع بين الدمعين وقت الفراق في التشابه ثم فرق بينهما من جهة اللون ، فدمع الحبيبة أياض يكسوه خدها حمرة ، ودمعه أحمر لأنه يبكي دماً وجسده قد شحب وأصفر من العشق ، فإذا جرى دمعه على خده صيره أحمر ..

---

(١) سورة الإسراء آية ١٢ .

ومنه قول البحترى :

تعجب رائى الدرر منا ولا قطه  
ولما التقينا والنقا موعد لنا

ومن لؤلؤ عنـد ابتسامتها  
فمن لؤلؤ تخلوه عنـد ابتسامتها

جمع البحترى بين رائى الدر ولا قطه فى حكم واحد وهو التعجب منهما ، ثم فرق  
بين الرائى واللا قط من جهة التعجب ، فرائى الدر تعجب من ثناياها اللؤلؤية التى  
بدت عند ابتسامتها ، ولا قط الدر تعجب من كلمات تنفرج عنها شفتاها عند الحديث  
وتتساقط من فمها ، فيلتقطها وكأنها اللؤلؤ قيمة ونفاسة .



## الجمع مع التقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم واحد ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه تحت حكم واحد ... فمن الأول قول المتنبي يمدح سيف الدولة و يصف الروم عندما غزاهם .

حتى أقام على أرباض خرشنة      تشقى به الروم والصلبان والبيع  
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا      والنهم ما جعوا والنار ما زرعوا<sup>(١)</sup>

فقد جمع الروم وهو متعدد لأنه يريد نساعهم وأولادهم وأموالهم وزرعهم ، جمع هذه الأمور تحت حكم واحد وهو الشقاء ثم قسم ذلك الحكم إلى سبي وقتل ونهب وإحرق ورجع إلى كل قسم منها ما يلائمه ويوافقه . ومثله قول صفي الدين الحلى :

أبادهم فليبيت المال ما جعوا      والروح للسيف والأجساد للرحم<sup>(٢)</sup>

حيث جمع المتمردين على السلطان ممثلين في أموالهم وأرواحهم وأجسادهم تحت حكم واحد وهو الإبادة ثم قسم هذا الحكم إلى المال والروح والأجساد مضيّفاً إلى كل قسم ما يناسبه ويلائمه .

ومن الثاني قول حسان بن ثابت - رضي الله عنه :

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم      أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا  
سحرية تلك فيهم غير محدثة      إن الخلائق فاعلم شرها البدع<sup>(٣)</sup>

حيث قسم صفة المدوحين إلى ضر الأعداء في الحروب ونفع الأشياع والأولياء . ثم جمعها في البيت الثاني حيث قال : سحرية تلك فيهم غير محدثة .

(١) الأرباض : جمع ربع وهو ما حول المدينة ، وخرشنة : بلدة بالروم تسمى أماضية والبيع : جمع بيعه وهي معبودة النصارى وقال : (( ما نكحوا وما ولدوا )) . مع أن (( ما )) لغير العاقل إهانة لهم وملاءمة لما بعدهما أى : (( ما جعوا وما زرعوا )) .

(٢) الرحم : الطيور ، مفردها رحمة .

(٣) أشياع : أتباع وسحرية : طبيعة .

ومنه قول إبراهيم الصولي :

لو أن ما أنت فيه يدوم لكم  
لأن رأيت الليالي غير تاركة  
فقد سكنت إلى أني وأنكم  
فقد قسم الأحداث إلى قسمين : أحداث تسر وأحداث تسىء ، ثم جمعهم في  
قوله : (( خلاف الحالتين )) .



## الجمع مع التفريق والتقسيم

وهو الجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد ، ثم التفريق بينهما أو بينها في ذلك الحكم ثم التقسيم بين ما فرق بأن يضاف إلى كل ما يلائمه ويناسبه .. ومن شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكُلُّ نَفْسٍ إِلا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ فَأُمَّا الَّذِينَ شَقَوُا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدُونَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنْ رَبُّكَ فَعَالٌ لَمَا يُرِيدَ . وَأُمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَحْذُوذٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

فقد جمع النفوس في قوله جلا وعلا : ﴿ لَا يَكُلُّ نَفْسٍ ﴾ لأن النكرة في سياق النفي تعم ، ثم فرق فجعل البعض شقيا والبعض سعيدا ، ثم قسم بأن يضاف إلى الأشياء ما لهم من عذاب النار وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة .

ومنه قول ابن شرف القيروانى :

لمختلف الحاجات جمع بابه      فهذا له فن وهذا له فن

لللخامن العلية وللمعدن الغنى      وللمذنب العتبى وللخائف الأمان<sup>(٢)</sup>

حيث جمع مختلف الحاجات في حكم واحد وهو اجتماعهم أمام بابه .. ثم فرق بأن جعل لكل واحد منهم حاجة خاصة ... ثم عاد فقسم بأن يضاف إلى كل واحد منهم ما يناسبه ويلائمه : لللخامن العلية وللمعدن الغنى وللمذنب العتبى وللخائف الأمان .

وقول الآخر :

(١) سورة هود آية ١٠٥ - ١٠٨ .

(٢) الفن : النوع أو الحال أو الحاجة ، و الخامن : الكسوه والمراد من لا شأن له ... والعتبى : الإرضاء .

وكالنار ضوءاً وكالنار حراً  
محيا حبيه وحرقة بالى  
وهذا حرقه فى احتلال  
فذلك من ضئى فى احتلال

فقد جمع محيا حبيه وحرقة باله فى حكم واحد وهو تشبيههما بالنار ثم فرق بينهما من جهة وجه الشبه فهو فى محيا الحبيب الضياء والنور وفي حرقه باله للهيب والتوقد ... ثم قسم بأن أضاف إلى كل منها ما يناسبه ويلائم ، فالحبيب من ضئيه فى احتلال وهو من حرقته فى احتلال .



## تجاهل العارف

عرفه البلاطيون بأنه : (( سوق المعلوم مساق غيره لنكتة )) ... ولو ورد هذا اللون في أساليب القرآن الكريم فقد عدل السكاكي عن تسميته : (( تجاهل العارف )) ، وسماه (( سوق المعلوم مساق غيره )) وذلك تأديباً مع أساليب القرآن الكريم وتزييهماً لله عزوجل عن تلك اللفظة : (( تجاهل )) وتلك نظرة دقيقة من السكاكي رحمة الله فينبغى أن تتغير وتنقى أسماء المصطلحات بحيث لا تتنافي مع أساليب النظم الكريم ، ويكون إطلاقها على تلك الأساليب مقبولاً ومستساغاً .. من ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا تَكْبِرُ  
بَيْمِينِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ : هَذِهِ عَصَمَىٰ أَتُوكَأَ عَلَيْهَا وَأَهْشَبَهَا عَلَى غَمْمَىٰ وَلِفِيهَا  
مَآربَ أَخْرَىٰ﴾<sup>(١)</sup> . فالله عزوجل يعرف حقيقة ما ييد موسى - عليه السلام - إذ هو  
سبحانه وتعالى عليم بكل شيء ، ولكته - تعالى - ساق المعلوم مساق غير المعلوم  
لنكتة بلاغية وهي : التأنيس ورفع الميبة والتنبيه إلى أن تلك العصا سيكون لها شأن  
عظيم ، فهي عمما قليل ستكون حية تسعي فشعباناً مبيناً ، من أجل هذا سأله عزوجل عنها  
وساق المعلوم مساق غيره ..

وتعدد النكات والأسرار البلاغية التي من أجلها يساق المعلوم مساق غير المعلوم  
ولكن أهمها :

١ - التحقير : كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هَلْ نَدْلُكُمْ عَلَى رِجْلٍ يَنْبَثِكُمْ  
إِذَا مُزْقِتُمْ كُلَّ مُزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالمشركون يعلمون من هو محمد -  
صلى الله عليه وسلم - إذا هو الصادق الأمين كما سموه قبل البعثة ، ولكنهم ساقوا المعلوم

---

(١) سورة طه : آية ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة سباء : الآية ٧

مساق غيرة وكأنهم لا يعرفون عنه -صلى الله عليه وسلم- سوى أنه رجل ما ، ومرادهم بذلك التحقيق والحط من شأن المصطفى ﷺ .

٢- التقرير : كقوله تعالى : ﴿ قالوا : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْمَتْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرِيمَ أَنْتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَمِّي إِلَهَينِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> . فالغرض من الاستفهام فى الآيتين هو التقرير ، لأن السائل عالم بالمعنى الذى أراده ... وهذا شأن أساليب الاستفهام القرآنى التى أفادت معانى بلاغة ..<sup>(٣)</sup>

٣ - التعريض ، كما في قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنما أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالله أعلم ورسوله من هو على هدى ومن هو في ضلال ، وقد سبق الكلام هذا المساق للتعريض بعدم هداهم ، وفيه فائدة أخرى وهي استمالة هؤلاء الكفارة وحثهم على التأمل والنظر حتى يصلوا إلى وجه الحق والصواب فيكون ذلك أدعى لهدايتهم وإعانتهم ...

٤ - التوبيخ : كقول ليلى بنت طريف في رثاء أخيها وكان من الخوارج فقتل في عهد هارون الرشيد :

**أيا شجر الخابور مالك مورقا** كأنك لم تجزع على ابن طريف<sup>(٥)</sup>  
فهى تعلم أن الشجر لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك فوجنت الشجر لإيراقه ونصرته  
وعدم جزعه على أخيها ، وفي هذا تعريض بغيره من العقلاء وتوبیخ لهم على عدم  
جزعهم ...

٥ - المبالغة في الدم والهجاء : كقول زهير بن أبي سلمي :  
وَمَا أَدْرِي - وَسُوفَ إِخَالَ أَدْرِي - أَقْوَمَ آلَ حَصْنِ أَمْ نِسَاءِ<sup>(٦)</sup>

## (١) سورة الأنبياء آية ٦٣ .

١١٦ آية المائدة سورة (٢)

(٣) انظر الجزء الثاني من كتابنا علم المعاني باب الاستفهام .

٢٤ آية سبأ سورۃ (٤)

(٥) الخبراء : نهر بديار بكر ، و ابن طريف : أخوها الوليد وقد قتلها يزيد بن مزيد الشيباني في عهد هارون الرشيد .

فهو يعلم أن آل حصن رجال ، ولكنها تجاهل تلك المعرفة للambilage في ذممهم وإفاده  
أنهم بلغوا في الضعف مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس ، والشك في كونهم رجالاً ، ولذا  
قال وسوف إنحال أدرى ، أي : سأعلم في المستقبل إن كانوا رجالاً أم نساء ...

٦ - المبالغة في المدح والثناء : كما في قول البحترى :

**المع برق سرى أم ضوء مصباح** أم ابتسامتها بالنظر الصاحى<sup>(١)</sup>

فهو يعلم أن الذى ظهر هو ابتسامتها ، ولكنه تجاهل ذلك للبالغة فى مدحها ،  
وإفاده أنها بلغت فى الحسن مبلغا يحصل معه ذلك اللبس ... ومثله قول  
النابغة الذبيانى :

ام وجهه نعم بداعی ام سنانار  
ام لمحه من سنا برق رأى بصري

٧- التدله في الحب : كما في قول العرجي :

بِاللَّهِ يَا ظَبَابَاتَ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لِيَلَى مِنْكُنْ أُمَّ لِيلَى مِنَ الْبَشَرِ<sup>(٢)</sup>

فهو يعلم أن ليلاه من البشر ، ولكن لفطر حبه وشدة هيامه وقوه صبائه ، تجاهله تلك المعرفة ، وساق الكلام مساق من لا يعلم أنها من البشر ، وكان الحب قد أدهشه سلب عقله فصار لا يدرى : أليلاه من البشر أم من الظبيات ... ومثله قول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعسae بين جلاجل وبين النقا : أأنت أم أم سالم<sup>(٣)</sup>

فقد صار لفط حبه وشدة غرامه بأم سالم ، لا يدرى أهى أم سالم أم ظبية  
الوعسae ...

(٦) إدخال : أظن ، و القوم : يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال و النساء والمراد هنا الأول . و جملة (وسوف إدخال أدرى ) معرضة ؛ وإنحال أيضاً اعتراض .

(١) سرى : ظهر ليلاً والمنظر الضاحى : الوجه الظاهر .

(٢) القاع : المستوى من الأرض .

(٣) الوعس : الراية اللينة من الرمل تنبت البقول الحارة ، و جلاجل والنقا موضعان .

## **تأكيد المدح بما يشبه الدم**

تأكيد المدح بما يشبه الدم أسلوب يقوم على مفاجأة السامع بصفة من صفات المدح حيث كان يتوقع صفة ذم، وذلك باستخدام أداة من أدوات الاستثناء أو الاستدراك. ويتحقق التأكيد والمفاجأة بهذه الأسلوب سواء أكان المستثنى منه مثبتاً أم منفياً ، وسواء وجد المستثنى منه أم كان الاستثناء مفرغاً ، على نحو ما سترى في الشواهد ، كما يتحققان أيضاً سواء أكان الاستثناء متصلة أم منقطعاً ، لن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلةً ، ومثل تأكيد المدح بما يشبه الدم ، تأكيد الدم بما يشبه المدح وسيأتي الحديث عنه ، أما تأكيد المدح بما يشبه الدم فله ضربان :

أو لهما : أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخول صفة المدح المستثناء في صفة الدم المنفية .. كقول النابغة الذبياني :

**ولا عيب فيهم غير أن سيفهم بهن فلول من قرائ الكتائب**

فالعيوب صفة ذم وقد نفها الشاعر عن مدوحه ثم استثنى منها صفة مدح وهي : أن سيفهم بها فلول من قرائ الكتائب وذلك ينم عن شجاعتهم وكثرة قتالهم .. فهؤلاء لا عيب فيهم سوى الشجاعة ، إن كانت الشجاعة عيوباً ، وكون الشجاعة عيوباً محال ، فيكون ثبوت العيوب لهم من المحال ... ونظيره قول ابن نباتة :

**ولا عيب فيها غير سحر جفونها وأحب بها سحارة حين تسحر**

فتاته لا عيب فيها سوى الجمال وسحر الجفون ، لوعد سحر الجفون عيّاً ، وكونه  
عيّاً محال ... ومنه قول صفي الدين الحلبي :

لا عيب فيهم سوى أن التزييل بهم يسلو عن الأهل والأوطان والخشم  
فكون التزييل بهم يسلو عن الأهل والوطن والخشم ليس عيّاً بل هو دليل كرمهم  
وبرهان حسن ضيوفهم .

وقول الآخر :

أضر بنا والبأس من كل جانب ولا عيب فيما غير أن سماحنا  
وأفني الندى أموالنا غير ظالم فأفني الردى أعمارنا غير ظالم  
فكون السماح والبأس أضر بهم ليس عيّاً ، بل هو توكيـد لنـفي العـيب ، وما زـاد مـن  
لطـافة المعـنى وجـمالـه هـذا الـاحـتـرـاس الـبـدـيـع : ((ـغـير ظـالـم ، وـغـير عـائـبـ)) ....  
ومـنه قول ابن الرومي :

ليس له عـيبـ سوى أنه لا تـقـعـ العـيـنـ عـلـىـ شـبـهـهـ جـعلـ اـنـفـرـادـهـ بـالـحـسـنـ وـعـدـمـ وـقـوـعـ العـيـنـ عـلـىـ شـبـهـهـ لـهـ عـيـاـ فـرـادـ بـهـذـاـ مـنـ حـسـنـهـ وـأـكـدـ  
جـمالـهـ .. وـقـولـ حـاتـمـ الطـائـيـ :

إذا غـابـ عنـهاـ بـعـلـهـاـ لاـ أـزـورـهـاـ وما تـشـتـكـيـ جـارـتـيـ غـيرـ أـنـتـيـ  
إـلـيـهـاـ وـلـمـ تـقـصـرـ عـلـىـ سـتـورـهـاـ سـيـلـغـهـاـ خـيـرـيـ وـيـرـجـعـ أـهـلـهـاـ

فـشـكـوـيـ الـجـارـةـ صـفـةـ ذـمـ وقد نـفـاـهـ الشـاعـرـ ثـمـ استـشـنـىـ مـنـهـ صـفـةـ مدـحـ وهـىـ أـنـهـ يـحـفـظـ  
جـارـهـ فـيـ عـرـضـهـ عـنـدـ غـيـابـهـ ، فـيـصـلـ إـلـىـ تـلـكـ الـجـارـةـ الـمـالـ وـالـخـيـرـ وـقـضـاءـ الـمـاجـاتـ وـيـرـجـعـ  
إـلـيـهـاـ أـهـلـهـاـ وـلـمـ يـقـصـرـ سـتـرـهـاـ عـلـيـهـ ، وـبـهـذـاـ تـأـكـدـ المـدـحـ لـكـونـهـ مـدـحـاـ عـلـىـ مـدـحـ .ـ وـمـاـ جـاءـ  
فـيـ التـزـيلـ مـنـ هـذـاـ الضـربـ قـولـهـ تـعـالـىـ : ﴿ـلـاـ يـسـمـعـونـ فـيـهـ لـغـواـ وـلـاـ تـأـيـمـاـ إـلـاـ قـيـلاـ﴾

سلاماً سلاماً <sup>(١)</sup> فما قبل إلا نفي لسماع اللغو والتأثيم و ما بعدها إثبات للتحية بالسلام وكلاهما مدح ... ومثله قوله تعالى : ﴿ لَا يسمعون فيها لغوًا إِلَّا سلامًا وَلَهُمْ رزقهم فيها بكرة وعشياً <sup>(٢)</sup> ، وفما قبل أداة الاستثناء نفي لسماع اللغو ، وما بعدها إثبات للسلام ، وكلاهما مدح وتكريم .. ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَمَا تَنْقَمْ مِنَ إِلَّا أَنْ آتَيْنَاكُمْ رِبَّنَا مَا جَاءَتْنَا <sup>(٣)</sup> ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَ إِلَّا أَنْ آتَيْنَاكُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِ وَأَنْ أَكْثُرُكُمْ فَاسِقُونَ <sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ وَمَا نَقْمُو مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .. <sup>(٥)</sup> ، فما قبل إلا في الآيات الكريمة صفة ذم وهي : النقم . يعني الطعن والغيبة وقد جاء منفياً نفياً صريحاً أو بالاستفهام الذي أفاد النفي ، وما بعد إلا صفة مدح وهي : الإيمان بـ الله وآياته وما أنزل ... .

**الضرب الثاني :** أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء أو استدراك تليها صفة مدح أخرى ، من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أنا أفضح العرب بيد أني من قريش " ، فقد أثبت عليه الصلاة والسلام لنفسه صفة مدح وهي الفصاحة ، فلما أتى بعدها بأداة الاستثناء (( بيد )) أشعر ذلك أنه يريد إثبات وصف مختلف لما قبلها ، فلما أثبت أنه من قريش ، وقريش أفضح العرب ، كان ذلك تأكيداً للمدح بأسلوب ألف الناس سماعه في الذم ..

ومنه قول النابغة الجعدي :

**فتي كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا**

(١) سورة الواقعة آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة مريم آية ٦٢ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٢١ .

(٤) سورة المائدة آية ٥١ .

(٥) سورة البروج آية ٨ .

فقد وصف بكمال الأخلاق وعقب بأدابة استثناء (غير) ثم ذكر بعدها صفة مدح أخرى وهي الجود وإفشاء المال في العطاء والكرم ... وقول ابن مقرب :

وسلام أرواح الكماه لدى الوغى      ولكن مرجيه لدى السلم ساليه  
 فما قبل (لكن) وصف للممدوح بالجرأة والشجاعة لدى الوغى ، وما بعد لكن  
 وصف آخر بالكرم وتحقيق الرجاء ... ونلاحظ أن الذى ذكر فى البيت أدابة استدراك  
 وليس أدابة استثناء ... ومنه قول بديع الزمان الحمدانى :  
 هو البدر إلا أنه البحر زاخرا      سوى أنه الضرغام لكنه الوبل  
 وقول الآخر :

أخوه ثقة لا تهلك الخمر ماله      ولكنه قد يهلك المال نائله

وجه تسمية هذا اللون : ووجه تسمية هذا اللون بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، أن  
 هذا الأسلوب ألف الناس سمعاه في الذم ، لأن المتكلم عندما يذكر صفة ذم  
 منافية أو صفة مدح مثبتة ثم يعقب بأدابة استثناء أو استدراك يتوقع السامع أن المستثنى  
 أو المستدرك سيكون ذما ؛ لأن هذا ما قد ألفه واعتاده من مثل هذا الأسلوب ، ولكن  
 المتكلم يعدل عن ذكر ما قد ألف إلى ذكر صفة مدح يؤكده بها المدح الأول ، وهذا  
 سمي الأسلوب : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، ومثل هذا يقال في تأكيد الذم بما يشبه  
 المدح ، الذى حان الحديث عنه الآن .



## تأكيد الذم بما يشبه المدح

وتؤكد الذم بما يشبه المدح له ضربان أيضاً :

أولهما : أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخول صفة الذم المستثناء في صفة المدح المنافية ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يذوقون فيها بردًا وَ لَا شراباً إِلَّا حَيْمًا وَ غَسَاقًا ﴾<sup>(١)</sup> فقبل إلا نفى لذوق البرد والشراب وبعدها إثبات لذوق الحميم والغساق وكلاهما ذم ... ومنه قوله عز وجل : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَّا حَمِيمٌ وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ .. ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقبل إلا نفى لوجود الصديق الحميم والطعام الطيب وبعدها إثبات لوجود الطعام الخبيث : ﴿ غَسَلِينَ ﴾ وَ كَلَاهُمَا ذَمٌ ... ومنه قول الشاعر :

خسلاً من الفضل غير أني أراه في الحمق لا يجاري

فقد نفى عنه الفضل بقوله : ( خلا ) ثم استثنى من ذلك رؤيته له منغمساً في الحمق لا يجاري أحد في الحماقة .

وقول الآخر :

فإن من لا مني لا خير فيه سوى وصفى له بأحسن الناس كلهم

قبل سوى نفى الخير عنه وبعدها وصفه له بأحسن الناس كلهم .

ثانيهما : أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء أو استدراك تليها صفة ذم أخرى .. كما في قول القائل :

لثيم الطباع سوى أنه جبان يهون عليه الهران

أثبتت له صفة اللؤم قبل سوى وصفة الجبن بعدها .

ومنه قول الآخر :

يارسولاً أعداؤه أراذل النا س جيعاً لكنهم في الجحيم

(١) سورة النبأ آية ٢٤ ، ٢٥

(٢) سورة الحاقة آية ٣٥ ، ٣٦

فقد وصفهم بأراذل الناس ثم استدرك فأثبت أنهم في الجحيم .

بلاغة هذين الأسلوبين : وترجع بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم أو الذم بما يشبه

المدح إلى أمرين :

الأمر الأول : أن كلاً منهما بمثابة الدعوى التي أقيمت عليها الدليل والبرهان ، وذلك أن المتكلم يستدل على نفي الذم أو المدح في الضرب الأول من كل أسلوب ، وعلى إثباتهما في الضرب الثاني - يستدل على ذلك - بالتعليق على ما لا يكون ، ولا يتحقق له وجود بحال من الأحوال ... فعندما نقول : لا عيب فيك سوى أنك شجاع ، فإننا نستدل على نفي العيب عنك بكونك شجاعاً ، و المعنى : لا عيب فيك سوى الشجاعة إن كانت الشجاعة عيباً ، وكون الشجاعة عيباً محال ، ثبوت العيب لك محال ... وعندما نقول : فتى كملت أخلاقه سوى أنه كريم ، فإننا نستدل على كمال أخلاقه بكونه كريماً ، والمعنى لقد كملت أخلاقه إلا من شيء واحد وهو الكرم ينقص من كمال الأخلاق ، وكون الكرم إن كان الكرم ينقص من كمال الأخلاق محال ، فيثبت بهذا أنه متصرف بكمال الأخلاق ، وكذلك يقال في تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وما من ريب في أن إثبات الشيء بالدليل والبرهان يكون أكد وأبلغ من إثباته مجرداً عن الدليل .

الأمر الثاني : ما فيه من المفاجأة والمباغة للسامع ، فإن المتكلم عندما ينطق بأداة الاستثناء أو الاستدرك يتوقع السامع ويدور في خلده أن المستثنى أو المستدرك سيكون مغايراً ومخالفاً للمستثنى منه كما هو المألف من هذا الأسلوب وعندما يأتى المستثنى مؤكداً للمستثنى منه وعلى خلاف ما كان يتوقع السامع تكون المفاجأة والمباغة التي تكسب المعنى طرافة وتثير في النفس تنبها ، وبهذا يتأكد المدح في أسلوب تأكيد المدح ، والذم في أسلوب تأكيد الذم .

\* \* \*

المذهب الكلامي

الباحث أول من أشار إلى هذا اللون من الكلام ثم ابن المعتز الذي عده أحد الفنون الخامسة الأساسية للبديع ، ولكنهما لم يحددا مفهومه ، بل وأشارا فقط إلى أمثلته ، كقول الفرزدق :

لكل امرىء نفسان : نفس كريمة  
وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها  
إذ قل من أحراهرهن شفيعها  
ونفسك من نفسيك تشفع للندي  
وكل قول أبي نواس :

إن هذا يرى - ولا أرى للأحر	مق - أنى أعده إنسانا
ذاك فى الظن عنده وهو عندي	كالذى لم يكن وإن كان كان
وكقول إبراهيم المهدى :	فيما فعلت فلم تعذل ولم تلزم
البر منك وطاء العذر عندك لي	مقام شاهد عدل غير متهم <sup>(١)</sup>
وقام علمك بي فاحتاج عندك لي	

وعندما نتأمل هذه الشواهد نجد أن كل شاعر يدعى دعوى ثم يحاول التماس دليلاً مقنع يقيمه لها ، تماماً كما يفعل المتكلمون بإيراد الحجج العقلية لدعواهم .. ولذا سمى هذا اللون من الكلام باسم «المذهب الكلامي» .

وقد عرفه البلاغيون بأنه : إيراد المتكلم حجة لما يدعوه على طريقة أهل الكلام ..  
أو بمعنى آخر : أن يأتي البلّيغ لصحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة

(١) الـ طاء : خلاف الغطاء .

تصح نسبتها إلى علم الكلام ، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة ... وقد نسب ابن المعتز هذا اللون من الكلام إلى التكليف وزعم أنه لا يوجد في القرآن منه شيء ...

والصواب أنه قد ورد في النظم الكريم ، بل إن القرآن مليء به ، وهو فيه غير متتكلف ، فالمذهب الكلامي شأنه شأن غيره من ألوان البديع ، يأتي في الكلام بلا تكليف فيقبل ويأتي متتكلفاً فيرد ، وما جاء منه القرآن الكريم فهو غير متتكلف ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ اتَّخِذُوا آلهةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَنْشُرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾<sup>(١)</sup> فالمراد بفساد السموات والأرض خروجها عن النظام الذي هما عليه ، وقد استدل على وحدانيته تعالى بعدم فساد السموات والأرض ، وبيان ذلك أن يقال : لو كان فيها آلة غير الله لفسدتا ، ولكنهما لم تفسدا ، فليس فيهما آلة إلا الله ، إذ اللازم وهو الفساد باطل ، وهذا يقتضي أن يكون الملزم وهو تعدد الآلة باطلًا ، فانتفى الشانى لانتفاء الأول .. ومنه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْأُبُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي : الإعادة أهون عليه من البداء ، والأهون أدخل في الإمكان من غيره ، فالإعادة ممكنة ... وقوله عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الظَّلَلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآَفْلَيْنَ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي الكوكب يأفل وربى لا يأفل ، فالكوكب ليس بربى .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَاؤُهُ قَلْ فَلَمْ يَعْذِبْكُمْ بِذَنْبِكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup> أي أنتم تعذبون والأبناء لا يعذبون فأنتم لستم أبناء الله ومنه قول النبي - ﷺ : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً " ، و تمام الدليل أن يقال .. لكنكم ضحكتم كثيراً وبكيرتم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم .

(١) سورة الأنبياء الآية ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) سورة المائدة الآية ١٨ .

ومن أشعارهم قول زهير بن أبي سلمي :

توارثه آباء آبائهم قبل  
وما يك من خير أتوه فإذا  
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه  
وتربت إلا في منابتها التخل<sup>(١)</sup>

فكمما أنه لا تصنع الرماح الخطية الشهيرة إلا من أشجارها ولا تنبت التخل إلا في  
منابتها فكذلك هؤلاء توارثوا الأجداد والفضائل عن آبائهم وأجدادهم فهم أصل الفضائل  
ومنبع المد .. وقول النابغة يعتذر للنعمان بن المنذر عندما انصرف عنه ومدح آل جفنة  
من الغساسنة :

وليس وراء الله للمرء مذهب  
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة  
لبلغك الواشى أغش وأكذب  
لن كت قد بلغت عنى خيانة  
من الأرض فيه مسترداد ومذهب  
ولكنى كنت امرءاً لي جانب  
أحکم فى أمواهم وأقرب  
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم  
فلم ترهم في مدحهم لك أذنباً  
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم

فالنابغة يدعم اعتذاره للنعمان بالحجج والبراهين التي لا تدع شيئاً من الغضب والنكر  
إلا أنت عليه إذ يقول له : ليس من العدل التفرقة في الحكم بين مدح ومدح ، فأنتم  
أحسنت إلى قوم واصطفيتهم فمدحوك وأنا أحسن إلى قوم فمدحتم فكمما أن مدح

---

(١) الخطي : الرماح الخطية نسبة إلى مرفاً السفن بالبحرين لأنها تباع به لا أنه منبتها ، و الوشيج :  
شجر الرماح

(٢) ريبة : شك . ومسترداد : موضع طلب الرزق مأخوذ من أراد الكلأ أي : طلبه . ملوك وإنخوان :  
أراد بهم آل جفنة من الغساسنة .

هؤلاء لك لا يعد ذببا ، فكذلك مدحى ممن أحسن إلى وقربنى لا يعد ذببا .. وقول أبي تمام  
في مدح المتصمم واستنهاضه لمناجزة الحرب وألا يغول على كلام المنجمين :

دع النجوم لظرقى يعيش بها      وبالعزائم فانهض أيها الملك  
إن النبي وأصحاب النبي نهوا      عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

فأيوب تمام يرشده إلى فعل النبي ﷺ ونهيه عن التنجيم وعن تصديق المنجمين ، وقد  
امتثل الصحابة فسلكوا الدنيا وقد أبصرت ما ملكوا ، فينبغي عليك الاقتداء بهم  
وألا تركن لأقوال المنجمين وأكاذيبهم ..

ومنه ما يروى أن أبو دلف العجلاني قصده شاعر من بنى تميم فقال له : من أنت ؟  
قال : من تميم : فقال له أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولو سلكت سبل الهدایة ضلت

فقال له التميمي : (( بتلك الهدایة جئت إليك )) ، وقد أفحمه بذلك ، لأنه إذا كان  
التميمي لا يسلك سبيل الهدایة إلا وضل ، وقد سلك الطرق وجاء إليه ، فالمحىء إليه إذا  
ضلal ... ومنه قول أحد شعراء الأندلس :

لم تكن غايتها إلا الملل      لو يكون الحب وصلا كله  
لم تكن غايتها إلا الأجل      أو يكون الحب هجرا كله  
 يستطيع الماء إلا بالعلل      إنما الوصول كمثل الماء لا

فقد قاس الوصول على الماء ، فكما أن الماء لا يستطيع إلا بعد العطش ، فالوصول مثله  
لا يستطيع إلا بعد حرارة المحر . وبهذا يتضح لنا أن هذا اللون والذى عرف  
باسم : (المذهب الكلامى ) ، يعتمد على سوق البراهين والحجج وعرض الأدلة وإيراد

التعليلات الحقيقة للأحكام والدعوى والقضايا الأدبية التي يعرض لها الأديب ، وبقدر ما تكون هذه البراهين وتلك العلل أقرب إلى المنطق والعقل بقدر ما تكون بلاغة هذا الأسلوب وقوه تأثيره .

ما الفرق بين المذهب الكلامي وحسن التعليل ؟ وكما رأينا فالذهب الكلامي مبني على سوق الأدلة والعلل ، وحسن التعليل أيضاً قائم على إيراد التعليلات الحسنة ، ولكنهما يختلفان في نوع العلة المساقة ، فالتعليلات في ( المذهب الكلامي ) ، تعليلات حقيقة قائمة على العقل والمنطق - كما رأينا في شواهد المذكورة - أما التعليلات في ( حسن التعليل ) ، فهي تعليلات خيالية ، قائمة على التصوير والتخيل ، كما سرى في دراستنا لهذا اللون .



## الرجوع

وهو أن يعود المتكلم إلى كلام ذكره فينقضه لنكتة بлагيـة كما في قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلـي وغـيرها الأرواح والـديم<sup>(١)</sup>

فقد ذكر في صدر البيت أن تطاول الزمن وتقادم العهد لم يغير من هذه الديار فهى ما تزال شاهضة ماثلة كعهده بها أيام كان يعمرها الأحبة ، ثم عاد في عجز البيت إلى هذا الكلام فنقضه وأبطله ، وثبت أن القدم قد عفـاها ، وأن الرياح والأمطار قد غيرتها ، وسر هذا الصنـيع هو تصوير الكآبة والحزـن ، والألم والدهـشـة ، والـحـيرة التـى سيطرـت على عـقلـه ، واستولـت على فـكـره ، فـدـفـعـته إـلـى الإـخـبـار أولاًـ بما لا تـقـرـهـ الحـقـيقـةـ فـلـمـ ثـابـ إـلـىـ رـشـدـهـ ، تـدارـكـ كـلامـهـ وصـحـحـ مـقـالـهـ ...ـ وـمـثـلـهـ قولـ حـسـانـ :

لا أـسـرـقـ الشـعـراءـ ماـ نـطـقـواـ بلـ لاـ يـوـافـقـ شـعـرـهـ شـعـرـيـ

ذكر أولاً أنه لا يتأثر بمن سبقه من الشعراء وهذا معنى قوله : « لا أـسـرـقـ الشـعـراءـ ماـ نـطـقـواـ » ثم رجـعـ فـذـكـرـ أنهـ يـتأـثـرـ بـهـمـ وـمـاـ قـالـوهـ منـ شـعـرـ وـلـكـنـ لاـ يـوـافـقـ شـعـرـهـ شـعـرـهـ ...ـ وـسـرـ هـذـاـ الصـنـيعـ هوـ الفـخـرـ بـشـعـرـهـ وـإـبـراـزـ قـوـتهـ وـأـصـالـتـهـ وـتـفـوقـهـ عـلـىـ غـيرـهـ منـ الشـعـرـ ،ـ فـقـدـ دـفـعـهـ هـذـاـ إـلـىـ نـفـيـ التـأـثـرـ ،ـ وـلـمـ عـادـ إـلـىـ عـقـلـهـ وـفـكـرهـ وـأـدـرـكـ أـنـ التـأـثـرـ وـاقـعـ لـمـ حـالـةـ ،ـ حـيـثـ لـمـ يـتـرـكـ السـابـقـ لـلـاحـقـ شـيـئـاـ ،ـ كـمـاـ يـقـولـ عـنـتـةـ :

ما أـرـاـناـ نـقـولـ إـلـاـ مـعـارـاـ أوـ مـعـادـاـ مـنـ قـولـنـاـ مـكـرـورـاـ

---

(١) يـعـفـوـهـاـ :ـ يـبـلـيـهـاـ وـيـغـيرـهـاـ ،ـ الأـرـوـاحـ ؛ـ جـمـعـ رـيـحـ بـرـديـائـهـ فـيـ الجـمـعـ فـأـصـلـ رـيـحـ رـوـحـ ،ـ وـ الـدـيمـ :ـ جـمـعـ دـيـةـ وـهـىـ السـحـابـةـ الـكـثـيرـةـ المـطـرـ :

عندما أدرك ذلك عاد إلى كلامه السابق فنقضه مصححاً له ومتيناً وقوع التأثير،  
ولكن على الرغم من وقوعه فشعره هو الأقوى والأفصح : « لا يوافق شعرهم شعري »  
ومنه قول الآخر :

**أليس قليلاً نظرة إن نظرتها  
إليك وكلاً ليس منك قليل**

فقد ذكر أن نظرة منه إليها تعد قليلة فهى لا تشفى غليله ولا تروى ظماءه ، ثم عاد  
فقض ذلك وأبطله ، وذكر أن ما تسمع به وتجود ، ويقع منها ، لا يعد قليلاً ولو كان  
قليلاً ، وسر هذا الرجوع هو تحيره واضطرابه ، وفرط حبه لها وهيامه بها ، فقد دفعه ذلك  
إلى ذكر أن النظرة إليها لا تكفى ولا تشفى ، فلما ثاب لرشده وعاد لعقله وأدرك إباءها  
وتنعها ، عاد إلى كلامه السابق فنقضه وصححه وأثبت أن القليل منها يعد  
كثراً ... فإذا لم يكن الرجوع لنكتة بلاغية ، بل مجرد تصحيح خطأ وقع من المتكلم،  
كقولنا: أنفقت ثلاثةين بل خمسين درهماً، فلا يعد ذلك من الرجوع البلاغي.

★ ★ \*

المزاوجة

وهي أن يزاوج المتكلم بين معنيين واقعين في الشرط والجزاء وذلك بأن يرتب على كل منها معنى واحدا ... ففي قول الباحترى مادحاً المتكل عندهما أصلح بين بني تغلب:

## وفرضان هیجاء تجیش صدورها باحقادها حتی تضیق دروغها

**إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها** تذكرت القربى ففاضت

زوج بين (احتراهم) الواقع شرطاً ، وبين (تذكراهم القربي) الواقع جزاء حيث رتب على كل منهما إفاضة شيء ، فقد ترتب على احتراهم إفاضة الدماء ، وترتسب على تذكراهم القربي إفاضة الدموع .

ومنها قوله في مدح الفتح بن خاقان :

على أنها ما عندها لمواصل وصال ولا عنها لمصادر صير

إذا ما نهى الناهي فلنج بي الهوى أصاحت إلى الواشى فلنج بها

فقد زاوج بين (نهى الناهي) الواقع شرطاً، وبين (إصاحتها إلى الواشى) الواقع جواباً، إذ رتب على كل منهما (لحاج شيء) فلحاج الهوى مرتب على نهى الناهي له عن حبها ، وللحاج المحر مرتب على إصاحتها إلى وشي الواشى ... ومنها قول الآخر :  
إذا ما بدت فازداد منها جماله نظرت لها فازداد مني غرامها

رتب على كل من الشرط والجزاء زيادة شيء ، فازدياد جمالها مرتب على ظهورها ، و ازدياد غرامه بها مرتب على نظره لها عند بدوها .

**سر بلاغة المزاوجة :** ويكمّن سر بلاغة المزاوجة فيما فيها من المفاجأة ، ومواجهة

المخاطب بغير ما يترقب ، وملاقاته بغير ما ينتظر ويتوقع ، فمثلاً في قول البحتري  
الساعة :

## إذا ما نهى الناهي فلتج بى الهوى      أصاحت إلى الواشى فلتج بها المجر

عندما يقف المخاطب على حال العاشق وأنه لا يستجيب لنهى الناهي له عن حبها ، بل يتمكن الحب في نفسه ويشتد ثباته ، ويلج به الهوى ... عندما يقف على هذه الحال يتوقع أن يكون المعشوق كذلك ، وأن الغرام بينهما متبادل ، والحب سواء ، ولكنه يفاجأ بأنها تمن في هجر عاشقها وتصرف في قطبيته وتصفعى للواشى .

المخاطب عندما يسمع ( لج بها ) يتوقع أن يكون الذي لج بها ( هو ) وهو ما لج بصاحبها ، حتى يتزاءما في الحب ، ويستويا في الصباية والغرام ، وعندما يقف على متعلق ( لج ) وهو ( الهرج ) يعلم أنه ليس من نوع ما لج بعاشقها ، ومن ثم كان لقاء المخاطب بغير ما يتوقع ... وما من شك في أن مقاومة المخاطب ولقاءه بغير ما ينتظر مما يؤثر في النفس ويؤكد المعانى ويزيدها رسوخا في الأذهان واستقراراً في الوجدان .



## الهزل يراد به الجد

هو ذكر الشئ على سبيل الهزل والمداعبة ، واللعب والممازحة ، ويقصد به أمر صحيح ومعنى جاد ، كما في قول أبي نواس يهجو تميما :

**فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب**  
إذا ما تميماً أتاك مفاصرا  
فالضب حيوان صغير ذنبه كثير التعقد ، وكان أشراف العرب يعافون أكله ، فعندما يأتي التميماً مفتخرًا ، وتقول له : دع هذا الافتخار ، كيف تفتخر وأنت تأكل الضب؟ تكون بهذا قد هجوطه بأسلوب ظاهره الهزل والمزاح ، وإذا صار الهزل طريقاً للجد كان أوجع في المخاء وأبلغ في الإقذاع والإيلام .. ومثله قول جرير في هجاء تغلب :

**والتبغى إذا تحنح للقرى حك استه وتشل الأمثلا**  
فقد سلك في المخاء أسلوب الهزل : تحنح ... حك استه ، ولذا كان أقوى إيجاعاً وأشد إيلاماً .... وقوله في هجاء الفرزدق :

**لها برص بجانب أسلكتيها كعنفة الفرزدق حين شابا**  
ونحوه قول الآخر :

**وإذا أشار محدثاً فكانه قرد يقهقه أو عجوز تلطم**  
فقد سلك كل منهما في المخاء مسلك المزاح والهزل ، فكان أقوى إيلاماً وأشد إيجاعاً .

ومنه قول امرئ القيس :  
**أيقتلنى والمشرفى مضاجعى**  
**ومسنونة زرق كأنى بآغوال**  
**وقد علمت سلمى - وإن كان بعلها -**  
بأن الفتى يهذى وليس بفعال

سلك سبيل الم Hazel في هجاء بعلها بقوله : "أن الفتى يهدى وليس بفعال " ، وهذا أشد في تصوير ضعفه وأبلغ في الاستخفاف والاستهزاء به .

بلاغة هذا الأسلوب : وتكمم بلاغة هذا الأسلوب في أن Hazel إذا صار طريقا للجد كان أبلغ وأقوى في تصوير المعنى وإبرازه من أن يقصد إلى الجد رأسا ؛ كما هو واضح في الشواهد المذكورة .

الفرق بينه وبين أسلوب التهكم : أسلوب " Hazel يراد به الجد " ظاهره - كما قلنا - Hazel ومزاح والمقصود منه معنى صحيح وأمر جاد .. أما أسلوب التهكم فظاهره جد وباطنه تهكم أو مزاح ... كقول الله عز وجل : ﴿ثُمَّ صَبَوْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ . ذَقَ إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(١)</sup> ، ظاهر الآية الجد ، والمراد منها : التهكم والسخرية ، وكما تقول لصديقك البخيل : " تصدق علينا وجد فأنت حاتم " ظاهر كلامك الجد ، ومرادك منه Hazel والمزاح .... ولذا فالأسلوبان متناقضان .



---

(١) سورة الدخان آية : ٤٩ .

## حسن التعليل

وهو أن يدعى المتكلم علة للشيء غير علته الحقيقة على جهة الاستطراف لتحقيقه وتقريره .... وذلك لأن الشيء إذا كان معللاً كان أكد في النفس وأرسخ من إثباته بمقداراً عن التعليل .

ففي قول ابن الرومي :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها  
يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
ولأربح ما كان فيه وأرعد  
ولا فما يكبه منها وإنها  
نراه قد علل بكاء الطفل ساعة مولده بما تؤذن الدنيا به من صروفها ، وبالعناء الذي سيلقاه هذا المولود في حياته ، وتلك علة خيالية التمسها الشاعر لظاهرة البكاء لحظة ميلاد الطفل ، وهي تعبير عن نفسية الشاعر وحياته وتشاؤمه المعهود ، إذ ربط بين آلام الحياة وصروف الدهر وبين بكاء الطفل ساعة المولد ، ولا شأن للطفل بهذه المتاعب ، وإنما هي نظرة ابن الرومي المتشائمة للحياة ... ونرى أحد شعراء الأندلس يعلل بكاء الطفل عند مولده تعليلاً آخر إذ يقول مهنياً بمولود :

لم يستهل بك ولكن منكرا  
أن لم تعد له الدروع لفائفها  
فقد عللها بأن الطفل ينكر لفائفه المعتادة ويريد لها دروعاً وسيوفاً ، وكان الشاعر يتمنى  
بما سيكون عليه الطفل من الشجاعة والقوة وهذا يناسب المقام ، مقام التهنئة بالمولود ..  
وانظر إلى قول أبي العلاء المعري في رثاء أبي إبراهيم العلوى معللاً كلفة البدر :  
وما كلفة البدر المنير قديمة  
ولكنها في وجهه أثر اللطم

وقول ابن القيسراني معللاً كلفة البدر أيضاً :

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا  
الست ترى فى وجهه أثر اللطم

تجد اختلافاً في التعليلين حيث عللها الأول بأثر اللطم ، وعللها الثاني بسجود البدر  
لمن أحبه وهوه ، وقد ناسب ذلك المقام ، إذ المقام الأول مقام رثاء ، والمقام الثاني مقام  
حب وغزل .. هذا وينبغى أن نفرق بين التعليل العلمي وبين التعليل الأدبي ، فالتعليق

العلمي مبني على الحقائق الثابتة والتجارب المعملية ، أما التعليل الأدبي فمبني على الخيال والتماس علل غير العلل الحقيقة للأشياء وهذه العلل الخيالية تكون لأغراض متعددة كالمبالغة في المديح وكإدخال السرور على المدوح ونحو ذلك . وينبغي أن تكون ملائمة للمقام وغير متنافية مع الذوق والأدب الإسلامية ، وإلا كانت سوء تعليل لاحسن تعليل ، كما في قول ابن هانئ الأندلسي :

لَا كُنْتَ أَدْرِي عَلَى لِتَيْمٍ  
وَلَوْلَمْ تَصَافِحْ رَجُلَهَا صَفَحَةَ الْثَّرَى

فقد علل التيم بما يتنافي مع آداب الإسلام إذ جعل عنته مصافحة رجل الفتاة للثرى الذي يكون به التيم ..

صور حسن التعليل : وقد نظر البلاغيون إلى الشئ المعلل ، وهل توجد له علة حقيقة ؟ أم لا توجد له علة ؟ وإذا وجدت هل ينظر الناس إليها ويسألون عنها أم لا ؟ وهل هذا الشئ المعلل وصف ثابت أم غير ثابت ؟ وإذا لم يكن ثابتاً فهل هو ممكن ، بمعنى أن العرف والعادة يقضيان بإمكان وجوده ؟ أم أنه غير ممكن ؟ .... وبناء على هذه النظائر ذكروا لحسن التعليل أربع صور :

الأولى : أن يكون التعليل لشئ ثابت لا تظهر له علة حقيقة أولاً يسأل الناس عادة عن عنته نحو الزلازل وسقوط الأمطار والكسوف والخسوف والرياح ونحو ذلك من الظواهر الطبيعية الكونية .... من ذلك قول أحد الشعراء وقد حدث زلزال في مصر عندما تولى كافور الإخشيدى أمرها فتطير بسببه الناس :

مَا زَلَّتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدِ يَرَادْ بِهَا  
لَكُنْهَا رَقْسَتْ مِنْ عَدْلِهِ فَرَحَا

فقد علل حدوث الزلزال بأن الأرض ترقص فرحاً بعد كافور والناس عادة لا يسألون عن علة الزلزال .. ومنه قول المتبي :

**لم تحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيها الرحضاe<sup>(١)</sup>**

فالناس عادة لا يسألون عن علة المطر ولا ينظرون إليها وقد جعلها المتنبي ، ما حصل للسحاب من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء المدوح .

ومنه قول أبي هلال العسكري :

**رعم البنفسج أنه كعذراه حستا فسلوا من قفاه لسانه<sup>(٢)</sup>**

ففي البنفسج زائدة تحت ورقه لا يظهر لوجودها علة وقد عمل أبو هلال وجودها بأنها كاللسان له وقد سل من قفاه عقابا له على زعمه أنه يشبه عذار الغلام حستا ... وقول الشاعر يعلل البياض في جبين الفرس وفي قوائمه :

**فكانوا لطم الصباح جبينه فاقتض منه فخاض في أحشائه**

فهو يصور معركة نشبت بين الصباح والفرس ، قد بدأها الصباح فلطم جبين الفرس ، ولكن الفرس لم يسكت بل ثأر من الصباح ، فطرحه أرضا و Pax بقوائمه في أحشائه ، وكان نتيجة هذه المعركة أن ابىضت قوائم الفرس وايضا جبينه، فهو يعلل بياض جبهة الفرس بلطم الصباح له ، ويعلل بياض قوائمه بخوضه في أحشاء الصباح .. وهذا البياض مما لا يسأل الناس عنه ولا ينظرون إلى علته .... قوله الآخر معللا ظهور البدر ثم اختفاءه في السحاب :

**أرى بدر السماء يلروح حيناً ويبدو ثم يلتحف السحاباً**

**وذاك لأنّه لما تبدى وأبصر وجهك استحياناً وغاباً**

فيبدو البدر ثم اختفاء لا ينظر الناس إلى علته ولا يسألون عن سببه ، ولكن الشاعر يعلله بهذا التعليل الطريف وغضبه من ذلك أن يدخل السرور على المخاطب ويؤثر في وجده بالتطهير في مدحه والتلطيف في الثناء عليه ..

(١) تحكى : تشابه ، والنائل : العطاء . وحمت : أصييت بالحمى . والصبيب : ما صب من المطر . والرحضاe : عرق الحمى .

(٢) العذار : أول ما يبدو على الخلد من الشعر .

الثانية : أن يكون التعليل لشيء ثابت تظهر له علة حقيقة فيتغاضى الشاعر عنها ويثبت له علة خيالية فيها جدة وطرافة وذلك لنقرير هذا الشيء وتحقيقه كما فى قول المتنى :

ما به قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب  
قتل الأعدى له علة حقيقة وهى إرادة إهلاكهم ودفع مضارهم حتى تأمن النفوس منازعاتهم ، ولكن المتنى تغاضى عن هذه العلة وذكر مكانها علة خيالية وهى تمكن الكرم من نفس مدوحه حتى صار يتقى أن يخيب رجاء الذئاب التى خرجت ترقبه وتنظر اتساع أرزاها من قتلى أعاديه ..

وقول أبي تمام :

لا تكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى  
فقد علل عطل الكريم من الأموال بالقياس على عدمإصابة السيل الأماكن العالية واستقراره عندها إذ يتراكمها منحدرا إلى ما دونها من الأماكن المأبطة ، وعطل الكريم له علة حقيقة وهى جوده بالأموال ، وكثرة إنفاقه ..  
ومنه قول الآخر :

مغرم بالشاء صب بكسـب المجد يهتز للمساح ارتياحاـ  
لا يذوق الإغفاء إلا رجاءـ أن يرى طيف مستميح رواحـ<sup>(١)</sup>  
فالإغفاء له علة حقيقة وهى راحة البدن ولكن الشاعر لم يلتفت إليها وذكر أنه ينام ليرى طيف طالبي العطاء وقد قيده بالرواح ليشير إلى أن العفة إنما يحضرون في صدر النهار على عادة الملوك ، فإذا كان الرواح قلوا ، فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤيه طيفهم ... ونحوه قول الآخر :

ولع خيالا منك يلقى خيالـ وإنى لاستغشى وما بـى نعـسةـ

---

(١) مغرم : مولع . والصب : ذو الولع الشديد . والسماح : الجود .. والإغفاء : النوم الخفيف .  
والمستميح : طالب العطاء .. والرواح : العشى .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

من كثرة القتل ناها الوصب  
والدم في النصل شاهد عجب<sup>(١)</sup>

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم  
حرتها من دماء من قتلت  
وقول الآخر :

أتبكى بعين ترانى بها  
أمرت الدموع بتأدبيها<sup>(٢)</sup>

تقول وفي قوله حشمة  
فقلت إذا استحسنت غيركم

فالعلة الحقيقة لحمرة العين : الرمد ، وللبكاء : أسبابه من فقد حبيب أو حلول  
مكروه ، ولم يعتد الشاعران بذين ، بل علل ابن المعتز حرمة العين بدماء من قتلت من  
العشاق ، وعلل الآخر البكاء بتأديب العين لاستحسانها غير الحبيب .

الثالثة : أن يكون التعليل لشيء غير ثابت يريد المتكلم إثباته وهو ممكن .... كما في

قول مسلم بن الوليد :

يا واشيا حسنت فيما إساءته نحي حذارك إنسانى من الفرق<sup>(٣)</sup>

فاستحسان إساءة الواشى بوشایته شيء غير ثابت لم يقض العرف بشوته ولم تجدر  
العادة به ولكن قد يقع من بعض الناس فهو ممكن وليس محلا وقد علل الشاعر بهذه العلة  
الخيالية ، وهي أن حذره من وشایة الواشى منعه من البكاء ، فلم يغرق إنسان عينه  
بالدموع ... ومثله قول الآخر :

كما تكون خصيمتى فى الخضر  
فتلذ عينى من لذى المنظر

ولقد همت بقتلها من حبها  
حتى يطول على الصراط وقرفنا

(١) الوصب . المرض . والنصل : يطلق على السيف وقد استعر للعين لأنها تقتل مثله . والمراد  
قتل العين : نظراتها القاتلة للأحبة .

(٢) الحشمة : الغضب أو الاستحياء .

(٣) الواشى : الساعى بالفساد . وإنسانى : المراد إنسان عينه .

فقد ادعى أمراً غير ثابت ولا معتاد ولكنه ممكن ، ألا وهو هم العاشق بقتل حبيبه ، ولذا علله بطول الوقوف معها للمخاصمة يوم المحشر على الصراط فلذ عينه من منظرها اللذيد .

الرابعة : أن يكون التعليل لشيء غير ثابت وغير ممكن كما في قول القائل :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتظر<sup>(١)</sup>

فنية الجوزاء خدمة المدوح أمر غير ثابت وغير ممكن الحدوث ، وقد أراد الشاعر إثباته فعلله بانتظار الجوزاء أى بوجود الكواكب حولها فيما يشبه النطاق ، وهو ما يسمى نطاق الجوزاء فكأنها تأهبت لخدمة المدوح .

ما يلحق بحسن التعليل : ويلحق بحسن التعليل ما بنيت فيه العلة على الشك لا على اليقين والإصرار ... كما في قول أبي تمام :

ربى شفت ريح الصبا لرياضها إلى المزن حتى جادها وهو ها مع  
كأن السحاب الغرغرين تحتها حبيباً فما ترقا لهن مدامع<sup>(٢)</sup>

فقد علل هطول الأمطار على الربى بأن السحاب الغر كأنها قد دفنت حبيباً تحت تلك الربى فهي تبكيه دائماً .. وقد ألحق هذا بحسن التعليل لأن الشاعر لم يبنه على اليقين والإصرار ، بل بناه على الشك فقال : "كأن" .

---

(١) الجوزاء : برج فلكي حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء والمنتظر : ذو النطاق وهو ما يشد فى الوسط وقد يكون مرصعا بالجوهر كالعقد .

(٢) الربى ، جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض : والصبا : ريح تهب من الشرق .. والمزن : واحده مزنة وهى السحاب الأبيض ، والهامع : السائل بكثرة . وجادها : أمطرها . والغر : السحاب المطر الغزير الماء . وترقا : تسكن .

ومثله قول المتنبي :

رحل العزاء برحلتى فكأنى أتبعه الأنفاس للتشييع<sup>(١)</sup>

عمل ارتحال العزاء عنه بما ذكره من أنه أتبعه بتلك الأنفاس لتشيعه وتودعه ،  
والأنفس إنما تصعد في العادة للتحسر والتألم لا للتشييع ولم يجعل من حسن التعليل بل عدد  
ملحقا به لبنائه على الشك دون الإصرار .



---

(١) التشييع : التوديع . والمعنى : رحل عن العزاء بارتعال عنك فكأنى ودعته .

## ابتداء الكلام

نبه البلاغيون إلى أن المتكلم ينبغي له أن يتألق في ثلاثة مواضع من كلامه ... في ابتداء الكلام ... وعند الانتقال من معنى إلى معنى آخر أو استتباع معنى لمعنى أو إدماج معنيين ، أو اقتباس من القرآن والحديث ، أو التضمين من كلام الغير ، وعند انتهاء الكلام ... فإذا لم يتألق في تلك الموضع ، بدا كلامه قبيحا وعابه الناس ورفضوه وانصرفوا عنه ... ومعنى تأله أن يبدو كلامه أذب لفظا وأحسن نظما وأصبح معنى وأكثر مطابقة لمقتضى الحال ... وعندما نتأمل ابتداءات الكلام نجد أنها تأتي على صور ثلاث وهي :

١ - حسن الابتداء : إذا انتقى المتكلم لابتداء كلامه الألفاظ العذبة ، الخالية من الثقل والتنافس ، وتخير النظم الأحود ، بعيد عن التعقيد ، وأتى بالمعنى الصحيح ، المطابق لمقتضى الحال ، وصف ابتداؤه عندئذ بالحسن ، وكان ذلك داعيا إلى أن يقبل المخاطب إلى جميع كلامه فيصفع إليه ويتأمله ويعيه ... أما إذا لم يتدنى ابتداء حسنا ، فإن المخاطب ينفر منه ويعرض عن جميع كلامه ويرفضه ، ولو كان في غاية الحسن والبلاغة . فمن الابتداءات الحسنة قول النابغة الذبياني :

كليني هم يا أميمة ناصب      وليل أقصاسيه بطيء الكواكب  
وقول امرئ القيس :

قطا نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقوط اللوى بين الدخول فحومل

فقد ابتدأ كل منهما ابتداء حسنا يلائم حال الحزن والتألم ، ولكن النابغة فاق امرأ القيس في هذا الحسن فامرئ القيس وقف واستوقف ، وبكي واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت عذب اللفظ سهل النظم ، ثم لم يتطرق له ذلك في النصف الثاني ، بل أتى بمعان قليلة في ألفاظ غريبة فبيان الأول <sup>(١)</sup> .. أما النابغة ، فإن بيته وإن

(١) انظر المطول ٤٧٨ .

كان أقل معنى إلا أن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة لا غرابة فيها ... ومن ذلك قول المتنبي في ذكر فرقاء لسيف الدولة وقصده كافور الإخشيدى :  
**فراق ومن فارقت غير مذموم**

ومثله قول الآخر في وصف ألمه لفرق الأحبة :

**زموا الجمال فقل للعاذل الجانى**      لا عاصم اليوم من مدرار أjfانى

٢ - براعة الاستهلال : وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود بأن يكون فيه إشارة إلى ما سبق الكلام من أجله ، فيكون الابتداء مشعرا بالمقصود ومتينا به ... من ذلك قول أبي تمام في تهنئة المعتصم بفتح عمورية ، وكان أهل التنجيم قد زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

**السيف أصدق إنباء من الكتب**

**بيض الصفائح لا سود الصحائف**

ومثله قول الآخر في التهنئة بمولود :

**بشرى فقد أبغز الإقبال ما وعدا**

وقول المتنبي في التهنئة بزوال المرض وحلول الشفاء :

**المجد عوفى إذ عوفيت والكرم**

وقول الآخر في الرثاء :

**هي الدنيا تقول بملء فيها**

**فلا يغيركمو مني ابتسام**

ففي هذه الابتداءات بالإضافة إلى أسباب الحسن المذكورة في الصورة الأولى إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله ، وإشعار بالمقصود منه ، ولذا سميت ببراعة الاستهلال .

٣ - قبح الابتداء : أما إذا لم يتأنق المتكلم في ابتداء كلامه بانتقاء الألفاظ وتحثير النظم الأجدود ، ولم يراع مقتضى الحال عد ذلك عيبا وكان ابتداؤه ابتداء قبيحا يدعى إلى

أن ينصرف الناس عن كلامه ويرفضوه ، فمقام المديح والتهنئة مثلاً يقتضي من المتكلم أن يتجنب في ابتدائه ما يتطير به ويتشاءم منه ، فإن فعل ذلك رد كلامه ، كما روى أن ذا الرمة أنسد هشام بن عبد الملك ، وقيل عبد الملك بن مروان قوله :  
**ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلّي مفريّة سرب**

فقال الخليفة : بل عينك أنت ، وكان عين عبد الملك رمش فما تزال تدمع ...  
ويقال إن ابن مقاتل الضرير أنسد الداعي العلوى صاحب طبرستان :  
**\* موعد أحبابك بالفرقة غد \***

فقال له الداعي : موعد أحبابك أنت ولنك مثل السوء ، والفرقة : اسم موضع  
ولكنه يوهم فراق الأحباب ولذا تطير منه الداعي ...  
وروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد قوله :

**لا تقل بشرى ، ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان**

فتطير لابتدائه بنفي البشرى وقال له : يا أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وقيل  
بطحه وضربه خمسين عصا ، وقال إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه ..  
ومنه ما يروى أن إبراهيم بن إسحاق الموصلى دخل على المعتصم بالله وقد بني قصره  
بالميدان وجلس فيه ، فأنشده مادحاً ومهيناً :

**يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعرى ما الذى ا بلاك**  
فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

والحسن في مثل هذا قولقطامي :  
**إنا محىوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل (١)**

وقول أشجع السلمى في مطلع قصيدة له في مدح الرشيد :  
**تصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جماها الأيام**

---

(1) الطيل بكسر الطاء المشددة وفتح الباء : مدى الدهر .

## حسن التخلص

كثيراً ما يبتدىء المتكلم بغیر الغرض المقصود من کلامه ثم يتقدّم بما ابتدأ به إلى غرضه فتكون تلك البداية بمثابة التمهيد أو المقدمة ، وانتقاله منها إلى غرضه المقصود يسمى خروجاً أو تخلصاً ... وفي أثناء التكلم قد يتقدّم المتكلم من معنى لآخر ثم يعود للمعنى الذي انتقل منه ويسمى هذا استطراداً .. وقد يتحدث المتكلم عن معنى من المعانى ويستتبع ذلك الحديث عن معنى آخر .. أو يدمج معنى في معنى ، أو يضمن کلامه کلام الغير .. أو يقتبس من القرآن والحديث .. وعندئذ ينبغي للمتكلّم أن يتأنق في خروجه ، وأن يلائم في استطراده ، وأن يراعي المناسبة في استتاباعه أو إدماجه أو اقتباسه أو تضمينه وسنعرض لتلك الأمور مبتدئين إن شاء الله بحسن التخلص .

عرفه البلاغيون بأنه الانتقال بما ابتدأ به الكلام من تشبيب أو ذكر للديار أو وصف للخمر ونحو ذلك إلى الغرض المقصود منه الكلام مع رعاية الملاعنة بين ما ابتدأ به وما انتقل إليه . لأن المخاطب يكون متقبلاً ومنتظراً لهذا الانتقال ، فإذا ما جاء حسناً قد روّى فيه التلاؤم ، حرك من نشاطه وكان أدعى للإصغاء والتتابعة ، وإن جاء بخلاف ذلك أدى إلى النفور والإعراض .. ... فمن التخلصات الحسنة قول أبي تمام :

يقول في قومٍ قومٍ وقد أخذت أمطاع الشمس تبغى أن تؤمَّ بنا حيث انتقل انتقالاً حسناً من مطلع الشمس إلى مطلع الجرود ..	منا السرى وخطا المهرية القُود فقلت : كلا ولكن مطلع الجرود <sup>(١)</sup> وقول مسلم بن الوليد :
--	--

أجدك ما تدرِّين أن رب ليلة سهرت بها حتى تجلت بغرة	كان دجاهَا من قرونك تنشر كفرة يحيى حين يذكر جعفر <sup>(٢)</sup>
--	--

(١) قومٌ : موضع بخراسان ، السرى : السير ليلاً ، المهرية : الإبل ، القُود : الطويلة الظهور والأعناق ، وتؤمَّ : تقصد .

(٢) جد : الجد بالكسر الحقيقة وبالفتح الحظ فهو استحلاف بالحقيقة أو بالحظ ومنصوب بسنزع الخافض أى : أجدك والقرون : حصل الشعر .

حيث انتقل من النسيب إلى مدح يحيى بن حعفر انتقالاً حسناً فقد شبه غرة الصباح  
الذى بدد الظلم بغرتة ، فكان فى الانتقال من غرة الصباح إلى غرة المدوح تلاوة  
وتناسب ...

وقول المتنبى :

خليلى مالى لا أرى غير شاعر فكم منهم الدعوى ومنى القصائد<sup>(١)</sup>  
فلا تعجب إن السيف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد  
ورى بسيف الدولة عن أمير حلب ، فمعنى القرىب : السيف الذى يناضل به ،  
ومعنه البعيد : أمير حلب ، ولذا كان الانتقال من تفرده بالشعر إلى انفراد المدوح بالقوة  
وبكونه سيف الدولة انتقالاً حسناً متلائماً ...

وقول البحترى فى مدح المتوكى :

كأنها حين جلت فى تدفقها يد الخليفة لما سال واديهما  
فقد انتقل من وصف البركة إلى المدح انتقالاً حسناً متلائماً حيث شبه تدفق مياهها  
وسيلانه بتدفق يد الخليفة بالعطاء والبذل ...

إذا لم يراع المتكلم التناسب والتلاوة فى انتقاله سمى ذلك اقتضايا وهو مذهب  
الجاهليين ومن ولهم من المخصوصين ، إذ كانوا لا يحسنون التخلص ، بل ينتقلون من  
غرض لآخر بقولهم : "دع ذا" أو "عد عنه" أو "عد عما ترى" ونحو ذلك .. كما فى  
قول زهير :

فعد عما ترى إذ فات مطلبـه أمسى بذلك غرابـالـبـينـقدـنـعـقاـ

فقد انتقل من الغزل إلى غرضه المقصود بقوله : "عد عما ترى" فلـم يحسن  
التخلص ... وهذا لا يعني أن المتقدمين كانوا لا يراعون التناسب فى انتقالهم ولا يحسنون

---

(١) الدعوى : ادعاء الشعر .

التخلص على طول الخط ، بل كان منهم من يراعى ذلك ، فرهير نفسه الذى لم يحسن التخلص في البيت المذكور ، نراه يحسنه في قوله :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ      كن الجود على علاته هرم  
بل إن من المتأخرین من کان یسلک مسلك القدماء في الاقتضاب كما في قول  
أبی ثماں :

لورأى الله أن في الشيب خيرا      جاورته الأبرار في الخلد شيئا  
كل يوم تبدى صروف الليالي      خلقا من أبى سعيد غربيا

فقد انتقل إلى مدح أبى سعيد انتقالا مقتضاها بلا تخلص حسن ...

ومن الاقتضاب ما يكون قريبا من التخلص ، كقول القائل بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ، "أما بعد" وكلفظ "هذا" كما في قوله تعالى : ﴿هذا ذكر وإن للمتقين حسن مآب﴾<sup>(١)</sup> ، قوله عز وجل : ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾<sup>(٢)</sup> .. ومنه قول الكاتب عند الانتقال من موضوع لآخر : "هذا باب ... هذا فصل ..." .

هل يقع حسن التخلص في القرآن؟ اختلف في وقوع التخلص في القرآن التكريم ، فقيل لا يقع فيه لأنه يأتي في الغالب متکلفا ، والقرآن لا تکلف فيه ، وقيل : إنه قد وقع فيه ... وهذا هو الصواب ، فكل من "الاقتضاب" . و "التخلص" ، قد وقع في القرآن الكريم ولكن بلا تکلف ، وهذا شأن جميع الفنون البلاغية في الذكر الحكيم ... وقد رأينا الاقتضاب في الآيات السابقتى ... أما التخلص فكما في قوله تعالى : ﴿الرَّ . تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . وإن كنت من قبله لمن الغافلين . إذ قال يوسف لأبيه يا أبتي إني رأيت ...﴾<sup>(٣)</sup> ، فالسورة الكريمة موضوعة لقصة يوسف - عليه السلام - وقد افتتحت بذكر القرآن ثم انتقل بحسن تخلص من الافتتاح إلى المقصود ...

(١) سورة ص الآية ٤٩ .

(٢) سورة ص الآية ٥٥ .

(٣) سورة يوسف آية ١ - ٥ .

## الاستطراد

هو الانتقال من معنى إلى آخر متصل به لمناسبة ثم الرجوع إلى المعنى الأول ... وبهذا يتضح الفرق بينه وبين حسن التخلص ، فالاستطراد يعاد فيه ثانية إلى المعنى الذي انتقل عنه ، أما التخلص فهو انتقال بلا عودة كما أن الاستطراد يكون الانتقال فيه مفاجأة للمخاطب أما الانتقال في التخلص فلا مفاجأة فيه ، لأن المخاطب يتربى وينتظره ... فمن شواهد الاستطراد قوله عز وجل : ﴿يَا بَنِي آدَمْ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يَوْمًا سَوَاءٌ كُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسٌ تَقْوِيٌّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، فقد انتقل من الحديث عن آدم عليه السلام ، وكيف زين الشيطان له ولزوجته تلك الشجرة ليبدى لهم ما وورى عنهم من سوءاتهم فلما ذاقا الشجرة بدت لهم سوءاتهم وطفقا يخصنفان عليهم من ورق الجنة .. ثم كان المبروت إلى الأرض ... انتقل من ذلك في الآيات السابقة إلى الحديث عن لباس التقوى في هذه الآية إظهارا للمنتهى فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر بباب عظيم من أبواب التقوى<sup>(٢)</sup> ... ثم عادت الآيات الثانية إلى الحديث عن قصة آدم ووسوسة الشيطان له عقب هذه الآية : ﴿يَا بَنِي آدَمْ لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ...﴾<sup>(٣)</sup> ، ومثله قوله تعالى : ﴿إِذَا قَالَ لِقَمَانَ لَابْنَهُ وَهُوَ يَعْظِهِ يَا بَنِي لَا تَشْرُكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا إِنْسَانًا بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالَهُ فِي عَامِينَ أَنَّ اشْكُرْ لِي وَلَوَالَّدِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تَشْرُكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تَطْعَهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ

(١) سورة الأعراف آية ٢٦ .

(٢) انظر الكشاف ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .

فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ... <sup>(١)</sup> ، فقد وقع الاستطراد من وصية لقمان لابنه إلى وصيته - سبحانه وتعالى - لعباده لما بينهما من المناسبة ، ثم عاد إلى ما كان عليه من وصية لقمان لابنه .. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ... ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقض منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا . إنما سنلقي عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ... ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقد استطرد في الآية الأولى حيث وسط ﴿ وقرآن الفجر ﴾ بين ذكر الليل ... واستطرد كذلك في الثانية حيث وسط : ﴿ إنما سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ بين ذكر أوصاف الليل وبيان أحکامه ... ومن أقوالهم ... قول السموءل بن عاديا :

<p>إذا ما رأته عامر وسلول وتكرهه آجا لهم فتطول</p> <p>إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه</p> <p>فقد استطرد من مدح قومه والفخر بآجادهم وما ترهم إلى هجاء قبيلتى عامر وسلول . ثم عاد بعد ذلك إلى غرضه المنشود ... وقول زياد الأعجم :</p> <p>فقد استطرد من الوعظ إلى ذم قبيلة جرم ثم عاد بعد ذلك إلى غرضه المقصود من الوعظ ...</p>	<p>وإنما لقوم ما نرى القتل سبة يقرب حب الموت آجالا لنا</p>
--	--

(١) سورة لقمان آية ١٣ - ١٦ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) سورة المزمل آية ١ - ٦ .

## بلاغة الاستطراد : وتكمن بلاغة الاستطراد فيما يتحققه من عنصر المفاجأة

أو المبالغة ، في بينما المخاطب مشغول بالمعنى المسوّق له الكلام ، إذ بالمتكلم يفاجئه بالمعنى الآخر الذي يستطرد إليه .... كما ترجع بلاغة الاستطراد أيضاً إلى دفع الملل أو السأم عن السامّع وبخاصة عندما يطول ويتمدد الكلام في بيان الغرض المقصود منه، عندئذ قد يحتاج السامّع إلى ما يدفع الملل وينشط الذهن وينبه الفكر ... واقرأ في "البيان والنبيين" للجاحظ، فسترى أنه كثيرة ما يستطرد بأن يحكي نادرة أو يعرض فائدة أو يشير إلى حادثة ثم يعود إلى غرضه الأساسي ، بعد أن يكون السامّع قد استراح بهذا الاستطراد وتجدد نشاطه وتيقظ ذهنه فيصفي بدقة إلى الكلام المنشود ...

هذا ولا يخلو المعنى المستطرد إليه من مزايا بلاغية يقصد إليها ، كما رأى في الآيات الكريمة .



## الاستباع

الاستباع هو المدح بشئ على وجه يستبع المدح بشئ آخر .. فهو خاص بفرض المديع وهذا هو الفرق بينه وبين "الإدماج" الآتي ذكره .

ومن شواهد الاستباع قول المتني بمدح سيف الدولة :

**نهيت من الأعمار مالو حويته هنتت الدنيا بائك خالد**

فقد مدحه بأنه بلغ الغاية في الشجاعة والفتاك بأعدائه إذ كثر قتلامهم بحيث لو ورث أعمار هؤلاء القتلى لخلد في الدنيا ... واستبع هذا مدحه بكونه سببا في صلاح الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهناة بخلوده ، وهذا يقتضي اتصفاته بكل صفة حميدة ، فهو لم يظلم أحدا من مقتوليه ، بل قتلهم عدلا وإصلاحا ، وعلى الرغم من أن النهب يكون للأموال ، فإن سيف الدولة قد نهب أعمارهم ، تلك هي التي تعنيه ، فهو لم يطبع في أموال قتلاه ، وإنما نهب أعمارهم حتى لا يعشوا في الأرض مفسدين ... فقد مدح المتني سيف الدولة بشئ على وجه استبع مدحه بشئ آخر ... ومثله قوله في رده

رسـل الرـوم لـطـلب الـهدـنة :

**إـلـى كـم تـرـد الرـسـل عـمـا أـتـوا لـه كـأـنـهـمـ فـيـمـا وـهـبـت مـلـامـ**

فقد مدحه بالشجاعة على وجه استبع مدحه بالكرم لعصيانه اللوم الذين يلومونه لكثره هباته .



## الإدماج

أما الإدماج فهو أن يضمن كلام سبق لمعنى آخر ... فهو أعم من الاستبعاد ، لأن الاستبعاد خاص بالمدح ، أما الإدماج فيشمل المدح وغيره ... ولذا فإن الأولى أن يجعلنا واحد ، وأن يدخل الاستبعاد في الإدماج ... ومن شواهده قول المتبنى أيضا :

**أقلب فيه أجفاني كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا**

فالبيت مسوق لوصف الليل بالطول ، وقد ضمن هذا الوصف الشكایة من الدهر ، إذ قوله : "أقلب فيه أجفاني" كناية عن طول الليل وامتداده ، وهذا هو المعنى الذي سبق البيت من أجله ... وقوله : "كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا" .. كناية عن الشكوى من الدهر ، وهذا التشكي لم يسوق له الكلام بل جاء ضمناً وتابعـاً للمعنى الأول ..

ومثله قول ابن المعتز في وصف "الخـيرـي" وهو ورد أصفر اللون .

**قد نفض العاشقون ما صنع — هجر بألوانهم على ورقه**

فالغرض المسوق له الكلام هو وصف الورد بالصفرة وقد ضمن هذا الوصف : الحديث عن الغزل والعشاق وما يصنعه الهجر من صفرة في الوجه وتغير في اللون .... وقول ابن باتة :

**ولا بد لي من جهلة فى وصاله فمن لي بخل أودع الحلم عنده**

فالكلام مسوق للغزل ، وقد أدمج فيه الفخر بكونه حليماً ، وكني عن هذا الفخر بالاستفهام عن وجود صاحب صالح لأن يودعه حلمه .. ثم أدمج في الفخر الشكوى من الزمان وتغير الحال ، حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الإيداع ، وذلك بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار ... وقد نبه بهذا الإنكار وإياثاره التعبير بلفظ "أودع" إلى أنه لم يعزم على مفارقة حلمه حملة من أجل هذا الحبيب الذي يتطلب وصله "الجهـلـ" ،

وإنما سيودع حلمه عند خل حليم إن وجد له ، ثم يستعيده ، فاللودائع تستعاد ، وتلحظ في قوله : " جهله " تقوية لهذا المعنى ، فما هي إلا جهله أو جلهتان ثم يستعيد حلمه ويستزده من أودعه عنده ، إن وجد خلا يصلح لهذا الإيداع ... ومنه ثرا ما كتبه عمرو بن مسعدة أحد ولادة العباسين إلى الخليفة المأمون : " كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين - أعزه الله - ومن قبلي من قواه وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأحرت أرزاقهم واحتلت أحواهم ..." فقد أدمج طلبه أرزاق الجناد ورواتبهم في إخباره عن طاعتهم وانقيادهم للخليفة ، وأوضح أن في تأخر تلك الأرزاق احتلالا لأحوال الجناد .

وقد أعجب الخليفة بهذا التضمين ، وأخذ يردد النظر في الكتاب قائلا لأحد الكتاب بحضوره : " ألا ترى إدماجه المسألة في الإخبار ..." ؟



## الاقتباس

هو أن يضمن المتكلّم كلامه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك بأن يقول : " قال تعالى " .. أو " قال الرسول صلى الله عليه وسلم " ... أو نحوه ، فإن أشعر بذلك أو صرّح به فلا يكون اقتباساً ، بل يكون استشهاداً أو استدلالاً ... والاقتباس يكون في الشعر كما يكون في النثر ، ويجوز أن يحتفظ المقتبس بالنص القرآني أو النبوى ، أو أن ينقله إلى معنى آخر ، كما يجوز له أن يغير في الألفاظ المقتبسة تغييراً يسيراً ... وما من ريب في أن الألفاظ المقتبسة من القرآن أو الحديث ، تزيد الكلام قوّة وبلاّغة: كما تضفي عليه حسناً وجمالاً ، إذ تبدو وسطه كالضياء الامع ، والنور المشرق .. والمتكلّم عندما يقتبس يبني كلامه على الالئام والتلامح ، وبهذا يبدو كلامه قوياً بليغاً .. ومن شواهده في الشعر قول الحمامى :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب : ميعاد السلو المقابر

ستبقى لها في مضمون القلب والحسنا سريرة ودى يوم تبلى السرائر

فقد اقتبس في الشطر الأخير من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبَلِّي السَّرَّائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ ... ﴾ ومنه قوله أحد شعراء الأندلس :

حرف كمثل الصاد إلا أنها بعد السرى جاءت كحرف النون

كالبدر قدره الإله منازلا في الأفق حتى عاد كالمرجون

فقد اقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرُ قَدْرُنَا هُنَالِكَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمِ ﴾ ، واضح أن الشاعر قد غير قليلاً في ألفاظ الآية الكريمة ... ومثله قول الآخر :

وحوشى أن يقال لها عتابي ومن ذا يسمع الصم الدعاء ؟

فقد اقتبس من قوله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَ الدَّعَاءِ إِذَا ولَا مدربين ﴾ ..

ومنه قول ابن منذر :

## قد تقطع الرحم القريب وتُكفر النعـ

## يەدەنی اھری دا ویدەنی دا اھری

فقد اقتبس مع تغيير يسير في الألفاظ من قول النبي : "إن الرحم نقطع وإن النعم تکفر ولن ترى مثل تقارب القلوب" ... ومنه نثرا قول ابن باتة : "في أيها السفلة المطربون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون مالكم لا تشفعون ؟ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تتطبقون" .. وقول الحريري : "فلمما طال أمد الانتظار ولاحظ الشمس في الأطمار ، قلت لأصحابي : قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة ، إلى أن أضعننا الزمان ، وبيان أن الرجل قد مان ، فتأهبو للطعن ، ولا تلروا على حضرة الدمن " .

فقد اقتبس الأول من القرآن ، واقتبس الثاني من قول الرسول : "إياكم وحضراء الدمن " ونلاحظ أن الحريرى قد نقل ما اقتبسه إلى معنى آخر ، فالمراد بحضراء الدمن في الحديث : المرأة الحسناء في المنيت السوء ، والمراد بها في كلامه : سوء المخبر مع حسن المنظر مطلقا . ومثله شعر قول ابن الرومي مقتبسا من الآية الكريمة ﴿ربنا إنی أسكنت من ذریتی بواد غیر ذی زرع...﴾ :

لكن أخطئات في مسد حك ما أخطئات في منعى

## لقد أنزلت حاجاتي بـ وادغـير ذـي زـرع

فالمراد ، بواز غير ذى زرع ، فـي الآية مكة المكرمة وفي البيت : الرجل الذى لا نفع فيه . ولا يخفى علينا أن معرفة الاقتباس وتحديده تقتضى منا حفظ كتاب الله عز وجل وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ، وحسن فهمهما وتدبر معانيهما ....

★ ★ ★

## التضمين

أما التضمين فيختلف عن الاقتباس بأنه لا يكون من القرآن ولا الحديث ، بل يكون من كلام آخر غيرهما ، كما أنه لا يكون في النثر ، بل في الشعر خاصة ... وقد عرفوه بقولهم : أن يضمن الشاعر نظمه شيئاً من نظم غيره ، مع التنبيه عليه إن لم يكن من الأشعار المشهورة ... كما في قول القاضي الفاضل مادحاً :

أيا صاحب الآمال كم قلت مثينا      إذا نحن أثنينا عليك بصالح  
فقد ضمن بيته شطراً من بيت أبي نواس :

إذا نحن أثنينا عليك بصالح      فأنت كما نشى فوق الذى نشى  
ومثله قول الحريرى :

على أنى سأنشد عند بيعى      أضعاعونى وأى فتى أضعاعوا  
فالمصراع الأخير في البيت مأخوذ من بيت العرجى :

أضعاعونى وأى فتى أضعاعوا      ليوم كريهة وسداد ثغر

هذا وقد يقتضي اختلاف المعنى أن يبدل الشاعر ويغير تغييراً يسيراً في ألفاظ التضمين .. على نحو ما نرى في قول أحدهم يصف يهودياً أقرع :

أقول لعشرين غلطوا وغضروا      عن الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابن جلا وطلع الشايا      متى يضع العمامة تعرفوه

فالبيت الثاني من قول سحيم :

أنا ابن جلا وطلع الشايا      متى أضع العمامة تعرفوني

وقد غير في ألفاظه تغييراً يسيراً - كما هو واضح - اقتضاه اختلاف المعنى في البيتين ، إذ "جلا" في البيت الأول صفة للشعر ، يقال : شعر جلا أي : زال وانحرى ، وفي الثاني صفة للرجل ، يقال : رجل جلا بمعنى : كشف الأمور وأوضحتها

وجلاما ، و "الثنايا" في البيت الأول المراد بها : مقدم أستانه ، لأنها كانت بسارة ، وفي الثاني تعنى الطرق الصعبة ... " والعمامات" في الأول ، عمامة الرأس متى وضعها عن رأسه بدا داء الثعلب أى القراع ... وفي الثاني : عمامة الحرب أى : البيضة . فهو متى وضعها على رأسه عرفوا شجاعته ... وبهذا يتضح اختلاف معنى البتين ، وقد اقتضى هذا الاختلاف تغييرا يسيرا في ألفاظ التضمين كما ترى ...  
والتضمين إذا قل بأن كان مصرا على مما دونه سمي رفوا أو إبداعا ، وإن زاد عن مصرا سمى استعانا ..

وقد يعمد الأديب إلى النص القرآني أو إلى الحديث النبوى أو إلى النثر الجيد فينظمها ، ويسمى هذا عقدا ، فإن كان العقد من القرآن أو الحديث فينبغي على الأديب أن يغير فيها تغييرا كثيرا ، أو يشير إلى أنه منها ، وإلا كان اقتباسا .. كما انه قد يعمد إلى النظم فينشره نثرا جيدا ويسمى هذا حلا <sup>(١)</sup> ..



---

(١) ارجع إلى الإيضاح جـ ٤ ص ١٣٨ وما بعدها .

## اللَّمِيع

وعندما يذكر الاقتباس أو التضمين يتطرق إلى الذهن معنى "اللميع" فهو قريب منها ... وقد عرفوه بقولهم "أن يشير الشاعر أو الناشر إلى قصة أو مثل أو شعر دون أن يورد الفاظه" ... ومثاله قول ابن حزم الأندلسى :

لَنْ أَصْبَحَتْ مُرْتَحِلاً بِشَخْصٍ  
فِرْوَحَى عِنْدَكُمْ أَبْدَا مُقِيمٍ  
وَلَكُنْ لِلْعِيَانَ لَطِيفَ مَعْنَى  
لِهِ سَأْلَ الْمَعاِيَنَةِ الْكَلِيمِ

فهو يشير إلى قول موسى عليه السلام فيما حكاه عنه رب العزة والجلال :  
﴿ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ .. ومنه قول أبي تمام :

فَرَدَتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيلُ رَاغِمٌ  
بِشَمْسِهِمْ مِنْ جَانِبِ الْخَدْرِ تَطْلُعُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحْلَامَ نَائِمٍ  
الْمُتَبَناً أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشِعُ

فهو يشير إلى قصة يوشع بن نون فتنى موسى - عليهما السلام - فقد روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أذربت الشمس خاف أن تغيب دون أن يفرغ من قتالهم وعندئذ يدخل في السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعوا ربه فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ...

ومنه قول الآخر :

خَذُوا بِدَمِي هَذَا الْفَرِزَالَ إِنَّهُ  
رَمَانِي بِسَهْمِي مَقْلُتِيهِ عَلَى عَمَدٍ  
وَلَا تَقْتُلُوهُ إِنِّي أَنَا عَبْدُهُ

فقد أشار إلى الآية الكريمة : ﴿ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْشَى بِالْأَنْشَى ﴾  
 ومنه نثرا قول الحريرى فى المقامة الساوية " آنسـت من قلبى القساوة ، حين حللت سـاوية ، فأخذـت بالـحرـ المـأثـور ، فـى مـداـاتـها بـزيـارةـ القـبور " فهو يشير إلى قول

الرسول - ﷺ - : " إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد " ، قيل وما جلاؤها ؟ قال :  
تلاؤة القرآن وزيارة القبور " ...

ومنه قوله أيضاً : " بَنْتُ بَلِيلَةَ نَابِعَةً " ، أشار بهذا إلى قول النابعة الذبياني :

**فَبَتْ كَائِنِي سَاوِرْتَنِي ضَئِيلَةً**      **مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمْ نَاقِعٌ**<sup>(١)</sup>  
هذا و " التلميح أو التضمين " ، شأنهما شأن " الاقتباس " في أن كلاً منهما يحتاج  
من الدارس إلى حفظ القرآن والسنّة وفهمهما ، وحفظ الكثير من الأدب شعره ونثره ،  
ومداومة القراءة والاطلاع في مختلف كتب الأدب وشتى ميادينه ...

**آرَاءُ الْعُلَمَاءِ فِي الاقتباسِ مِنَ الْقُرْآنِ** : اختلفت آراء الفقهاء والعلماء في جواز  
الاقتباس من القرآن الكريم ، بعضهم منعه ، وبعضهم أجازه مطلقاً ، وبعضهم أجازه  
بشرط ألا يتنافى مع مبادئ الدين وقيم الإسلام ، فلا يجوز الاقتباس في معرض المزلل  
والسخيف ، ولا اقتباس ما نسبه الله عز وجل إلى نفسه ، كما روى أن أحد الولاة وقع  
على شكوى رفعت إليه : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ، ولا أخذ شيء من  
القرآن وجعله بيته من الشعر ، كما في قول القائل :

**كِتَابُ الْمَحْبُوبِ سَطْرًا**      **فِي كِتَابِ اللَّهِ مَوْزُونٍ**<sup>(١)</sup>

**لَنْ تَنْالُوا الْبَرَ حَتَّى**      **تَنْفَقُوا مَا تَحْبَبُونَ**

لأن هذا يتنافي مع نفي الشعر عن القرآن ... إلى غير ذلك مما يتناقض مع تعاليم  
الدين ، أما إذا لم يتعارض الاقتباس مع روح الدين وقيمه ومبادئه ، فلا غبار عليه ،  
وهذا الرأي هو ما نراه أولى بالقبول والترجيح على نحو ما مرّنا به في شواهد  
الاقتباس ... أما الاقتباس من الحديث الشريف فلا خلاف في جوازه ، لأن الحديث يحوز  
روايته بالمعنى وهو ما لا يجوز في القرآن الكريم .

★      ★      ★

---

(١) ساورتنى : أصابتنى . والضئيلة : الحية الدقيقة والأفعى كلما كبرت صغر جسمها .. والرُّقْشُ :  
مفرد رقشاء وهي الحية المنقطة بسود وبياض ، والناقع : الشديد .

## الانتهاء

هذا هو الموضوع الثالث الذى ينبغى للمتكلم أن يتأنق فيه ؛ لأن الانتهاء آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى ذهنه فإذا جاء حسنا جبرا ما يكون قد وقع قبله من تقدير وعدم وفاء . وإن جاء سينا فقد ينسى محاسن ما قبله .

حسن الانتهاء : وحسن الانتهاء يتم بمراعاة ما روعى فى حسن الابتداء من تحرير الألفاظ . والنظم الجيد وصحة المعنى ومطابقته لافتراض الحال ... من ذلك قول أبي نواس :

فبقيت للعلم الذى تهدى له      وتتقاعست عن يومك الأيام  
فقد أنهى قصيده وهى فى مدح المؤمن ، نهاية حسنة حيث دعا له أن يبقى للعلم  
هاديا ، وأن تتقاعس الأيام عن يومه ... ومنه قوله :

وأنت بما أمللت منك جدير      وإنى جدير إذ بلغتك بالمنى  
إلا فإلى عاذر وشكور      فإن تولنى منك الجميل فأهله

فقد أنهى قصيده وهى فى مدح الحبيب بن عبد الحميد المرادي ، نهاية جيدة ،  
لأن الشكر وقبول العذر يقتضيان انقطاع الكلام وانتهاءه ..

ومنه قول أبي تمام فى خاتمة قصيده فى مدح المعتصم وفتح عمورية :  
إن كان بين صروف الدهر من رحم      موصولة أو ذمام غير مقتضب  
وبين أيام بدر أقرب النسب      فيبين أيامك اللاتى نصرت بها

أبقيت بنى الأصفه المراض كاسمهم      صفر الوجوه وجلت أوجه العرب<sup>(١)</sup>

فقد اختتم القصيدة ختاما حسنا ، ويكمم هذا الحسن فى تحقيق النصر ونهاية  
الفتح الذى يؤذن بانتهاء الكلام ...

(١) صروف الدهر : حوادثه والذمام : الحق ، والمقتضب : المقطوع . بنى الأصفه : الروم .  
والمرض : صيحة مبالغة من المرض ، يعني أن صفتهم ناجمة عن مرض وليس خلقة فيهم .



(١) الكهف : الغار في الجبل والمراد به هنا : الملجأ على سبيل الاستعارة .

## الجنس

ورد الجنس كثيرا في النظم الكنز ، وفي الحديث الشريف ، كما ورد في الشعر والنشر قديمه وحديثه ... فمن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْجَنَّمَ مَا لَبْشُوا غَيْرَ سَاعَةً ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : ﴿ وَأَسْلَمَتْ مَعَ سَلِيمَانَ اللَّهَ رَبَّ الْعَامِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ... ﴿ فَاقْمُ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ الْقِيمِ ... ﴾<sup>(٣)</sup> ... ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾<sup>(٤)</sup> ... ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ... ﴾<sup>(٥)</sup> وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخُوفِ أَذَاعُوا بِهِ ... ﴿ وَفِي الْحَدِيثِ الْشَّرِيفِ : " اللَّهُمَّ اسْتَعِرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رُوْعَاتِنَا .. " .. " اللَّهُمَّ كَمَا حَسِنْتَ خَلْقِي فَحَسِنْ خَلْقِي" .. " الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيْهَا الْخَيْرٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" ..

ومن أقوالهم قول أمير القيس :

فسلی ثیابی من ثیابک تنسل  
وإن كنت قد سأتك مني خليقة

وقول زهير بن أبي سلمى :

كأن عيني وقد سال السليل بهم

وقول النعمان بن بشير :

وليلك عما نساب قومك نائم  
ألم تبتدركم يوم بدر سيفنا

(١) سورة الروم آية ٥٥.

(٢) سورة النمل آية ٤٤.

(٣) سورة الروم آية ٤٣.

(٤) سورة الأنعام آية ٢٦.

(٥) سورة الصافات آية ٧٢.

(٦) سورة النساء آية ٨٣.

(٧) السليل : واد .. وأمم : بين القرب والبعد .

وقول جرير في هجاء الفرزق :

فما زال معقولا عقال عن الندى  
وما زال محبوسا عن الجد حابس<sup>(١)</sup>

وقول الفرزدق :

"خفاف" أخف الله عنه سحابة  
وأوسعه من كل ساف وحاصب<sup>(٢)</sup>

والجنس - كغيره من ألوان البديع - إذا صدر عن طبع وجاء عفوا كان له وقعه  
وأثره في المعنى ، أما إذا تكلف وتصنع ، بدا ثقيلا ورغبت عنه النفوس وجافتته  
الأذواق ... يقول الإمام عبد القاهر : " أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين  
إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى  
بعيدا ، أتراك استضعت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بمذهب السماحة فالتوت  
فيه الظنون أمنذهب أم مذهب

واستحسنت تجنис القائل :

\* حتى نجا من جوفه وما نجا \*

وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمنت بما أدعاني  
لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ ... أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في  
الثانية ؟ ... ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفًا مكررة ، تروم لها  
فائدة فلا تجدها إلا بجهولة منكرة ، ورأيتك الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخندعك  
عن الفائدة وقد أعطها ، ويوجهك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها ....<sup>(٣)</sup> .

(١) عقال وحابس : من أجداد الفرزدق .

(٢) خفاف : اسم شخص . والسفى : الريح التي تسفي التراب . والحاصل : الريح الشديدة  
التي تحمل التراب والمحصاء أى : الحصى الصغار .

(٣) أسرار البلاغة ص ١٧ .

هذا وقد فطن العلماء منذ القدم إلى فن الجناس ، وكتبوا عنه وحاولوا تحديد مفهومه .. فقد أشار إليه الخليل بقوله : " الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو ، فمنه ما تكون الكلمة بجنس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها مثل قول الشاعر :

★ يوم خلجت على الخليج نفوسهم (١) \*

أو يكون بجنسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قوله تعالى : ﴿وَأَسْلَمَتْ مَعَ سَلِيمَانَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ...

وللأصمعي كتاب ينسب إليه يسمى : " كتاب الأجناس " .. وابن المعتز يعدد من الفنون الأساسية للبديع (٣) ... ثم ما لبث أن نما الجناس وتشعبت فروعه وكثرت أنواعه وتعددت مصطلحاته ... ولعل ذلك يرجع إلى إسراف الشعراء وإكثار الكتاب من هذا اللون وتقننهم في صنوفه وأشكاله وبخاصة في العصور المتأخرة ... والذى يعنيه الأن أن نقف على مفهوم الجناس وأثره في المعنى ، وأن نعرف أنواعه بعيداً عن التقسيمات المملاة والتي يتداخل معظمها ، ولا يجد الدارس من الوقوف عليها كبير فائدة ..

تعريف الجناس : الجناس والتجميس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس ، يقال : تجانس الشيئان إذا دخلوا تحت جنس واحد ، ويقال : كلمتان متجانستان أي : شابهتا إحداهما الأخرى ، فكانه قد وقع بينهما مجازة ، وحكى عن الخليل : هذا يجانس هذا أي : يشاكله ...

والجناس عند البلاغيين : تشابه اللفظتين في النطق واحتلافهم في المعنى .. كما في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْجَنَّمُونَ مَا لَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ ، فقد اتحد لفظ ﴿السَّاعَة﴾ و﴿سَاعَة﴾ نطقاً واحتللاً معنى ، إذ المراد بالساعة الأولى القيامة ، وبالثانية : المدة الزمانية ...

---

(١) خلجت نفوسهم : طعنتها بالرمم .

(٢) انظر كتاب البديع ص ٢٥ .

(٣) ارجع إلى القسم الأول .

## أنواع——هـ : والجنس نوعان :

١ - جناس تمام ... ٢ - جناس غير تمام ..

فالنام ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور : نوع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها ... وغير النام : ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في واحد أو أكثر من الأمور المذكورة .

الجنس التام : وهذا النوع من الجنس ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام : المماثل .. والمستوفي .. وجناس التركيب ..

١ - المماثل : وهو ما اتفقت فيه الكلمتان المتجانستان في نوع الأحرف وعددها وهيأتها وترتيبها ، وكانتا من نوع واحد من أنواع الكلمة ، اسمين أو فعلين أو حرفين ... كما في قوله تعالى : ﴿وَيُوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْجَرْمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾<sup>(١)</sup> ، فالجنس بين ﴿السَّاعَةُ﴾ و﴿سَاعَة﴾ وهمما استان ، ومنه قوله عز وجل : ﴿... يَكَادُ سَنَا بَرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ...﴾<sup>(٢)</sup> ، فالأبصار الأولى جمع بصر وهو النظر ، والثانية جمع البصر وهو العقل .. فالكلمتان في كل آية اختلفتا معنى واتفقتا نطقا في نوع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها ، وهمما استان كما لا يخفى ....

ومن ذلك قول أبي تمام :

إذا الخيل جاءت قسطل الحرب صدور العوالى فى صدور

فالمراد بصدور العوالى : أعلى الرماح ، وبصدور الكتائب : نحورها .

ومنه قول البحترى :

إذا العين راحت وهي عين على الهوى فليس يسر ما تسر الأرضاع

(١) سورة الروم الآية . ٥٥ .

(٢) سورة النور الآية . ٤٣ .

(٣) القسطل : الغبار . وصدعوا : أمالوا . والعوالى : جمع عالية وهي الرمح .

فالعين الأولى : العين الباصرة ، والثانية : الريبة أو الجاسوس .

وقول المعرى :

تقول أنت أمرؤ جاف مغالطة      فقلت : لا هومت أجفان أجفانا<sup>(١)</sup>

فأجفان الأولى : جمع جفن وهو غطاء العين ، والثانية : اسم تفضيل. معنى : أكثرنا  
جفاء ... وقول أبي نواس :

عباس عباس إذا احتمد الوغى      والفضل فضل والربيع ربيع

فعباس الأولى ، والفضل والربيع أعلام ، وعباس الثانية من العبروس ، وفضل من  
الفضل والزيادة ، وربيع : فصل الربيع وزمانه ...  
ومن أمثلة الجنس المماثل بين فعلين ، قولهم : "فلان يضرب بالبيداء فلا يضل ،  
ويضرب بالهيجاء فلا يكل ..." .

فالضرب الأول. معنى : قطع المسافة ، والثاني. معنى : الحمل على الأعداء ...  
وقولهم : "قال فلان عندنا فقال لنا" ، قال الأولى من القليلة والثانية من القول ... ومنه  
قول أبي محمد الخازن :

قوم لو أنهم ارتاضوا لما قرضاوا      أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

فشعروا الأولى. معنى : أحسوا ، والثانية. معنى : نظموا الشعر ..

ومن أمثلة الجنس المماثل بين حرفين ، قولهم : "قد ينزل المطر شتاء وقد ينزل  
صيفا" ، فقد الأولى للتکثير والثانية للتقليل . وقولهم : "من الناس من يعمل من  
الشروع إلى الغروب ..." ، فمن الأولى. معنى : التبعيض ، ومن الثانية تفيد الابتداء ...  
- المستوفى : وهو ما اتفقت فيه الكلمات في نوع الأحرف وعددها وهي أنها  
وترتبها وختلفتا في نوع الكلمة ، بأن تكون إحداهما فعلا والأخرى اسمًا أو حرفا ،  
أو إحداهما اسمًا والأخرى حرفا ... فمن الجنس بين الاسم والفعل قول الشاعر :

---

(١) هومت : بفتح الواو المشددة : معنى تحركت .

وسميته يحيى لحيانا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سيل

فيحيى الأولى اسم ، والثانية فعل ... ومنه قول الآخر :-

إذا رماك الدهر في عشر وأجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

فدارهم الأولى فعل من المداراة والثانية اسم ، وأرضهم الأولى فعل من الإراضاء

والثانية اسم ... ومنه قول المعري :

لو زارنا طيف ذات الحال أحيانا ونحن في حفر الأجداث أحيانا

فأحيانا الأولى اسم بمعنى من وقت لآخر ، وأحيانا الثانية فعل بمعنى بعث فيها الحياة

من جديد ... ومن الجناس بين الفعل والحرف ، قوله : " قاتل فلان على جواده فعلا "

فعلى الأولى حرف والثانية فعل ...

ومنه قول الشاعر :

علا نجمة في عالم الشعر فجأة على أنه ما زال في الشعر شاديا

" فعلا " الأولى فعل بمعنى ارتفع و " على " الثانية حرف جر ..

ومنه قول الآخر :-

ولسو أن وصلا عللوه بقربه لما أن من حل الصبابسة والجرى

فأن الأولى حرف توكيد ونصب ، وأن الثانية فعل ماض من الأنين ... ومن الجناس

بين الحرف والاسم قوله : " هويت في حفرة فسقطت من في أسنانى " ، ففى الأولى

حرف جر ، والثانية اسم ...

٣ - جناس التركيب : وهو ما كان كل لفظ من لفظيه مركبا أو أحدهما مركبا

والآخر مفردا ... من ذلك قول البستي :

إلى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أرافق دمى

فكل لفظ من لفظي الجناس مركب من كلمتين : " أرى قدمى " ، وأرافق دمى "

ومثله قول الآخر :-

وكم لجاه الراغبين إليه من مجال سجود في مجالس جود

ومن ذلك قول البستي أيضا :-

إذا ملك لم يكن ذاهبة فدعه فدولته ذاهبة

فاللفظ الأول مركب من مضارف ومضاف إليه والثاني مفرد بمعنى : زائلة فانية ...

ومنه قول الآخر :

طرقت الباب حتى كل متى فلما كل متى كلمتني

فابلجناس بين كلمتني وكل متى ، أحدهما مفرد والآخر مركب ...

ومثله قول الآخر :

ناظره فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعهانى

فأو دعاني الأولى مكونة من " أو و فعل الأمر " والثانية فعل ماض ... هذا ولا يعد إسناد الفعل إلى الضمائر المتصلة أو إضافة الاسم إلى الضمير تركيبا ، ولذا فابلجناس بين " ناظراه وناظرها " في البيت جناس مفرد .

ومنه قول الآخر :

لا تعرضن على الرواة قصيدة مالم تبالغ بعد في تهذيبها

فمتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذى بها

فابلجناس بين " تهذيبها وتهذى بها " الأولى مفردة والثانية مركبة من الفعل " تهذى " والجار والمجرور " بها " ...

ومثله قوله :

سل سبيلا إلى النجا ودع دم ع عينى يجرى سلسليلا

فابلجناس بين " سل سبيلا وسلسليلا " الأولى مركبة والثانية مفردة ..

ومن ذلك قول الحريري :

والمكر مهما اسْطَعْتُ لَا تَأْتِه لفقتى السُّؤْدَدِ والمَكْرَمَه

فاللفظ الأول مركب من الكلمة : "المكر" والميم والهاء من "مهما" ، واللفظ

الثاني مفرد "المكرمة" ... ومثله قوله أيضاً :

وَلَا تَلِهُ عَنْ تَذَكَّارِ ذَنْبِكَ وَابْكَاه بدمع يحاكي المزن حال مصابه

وَمُثْلِ لَعْنِيَكَ الْحَمَامُ وَوَقْعَه وروعة ملقاه ومطعم صابه

فاللفظ الأول مفرد وهو "مصابه" ، والثاني مركب من الميم الأخيرة من "مطعم" وكلمة "صابه" ... وبهذا يتضح لنا أن الجناس المركب ، قد يكون كلا لفظيه مركباً ويسمى هذا جناساً ملتفاً وقد يكون أحدهما مفرداً والآخر مركباً من الكلمة وجزء الكلمة والبلغيون يسمون هذا مرفواً ... وقد يكون أحد اللفظين مفرداً والثاني مكوناً من كلمتين ، فإن تشابها لفظاً وخطا سماه البلغيون : متشابهاً ، وإن تشابها لفظاً واحتلطا خطياً سمه : مفروقاً .. ولا أرى ضرورة للوقوف على هذه التسميات أو تلك المصطلحات ...

هذا وعلى الرغم من أن هذا النوع من الجناس - الجناس المركب - قد كثر في العصور المتأخرة حتى غلب على كثير من الشعراء ، فإننا نرى شعر العصور الأولى ، شعر الفطرة السليمة والطبع القوي قد خلا منه ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذا النوع من الجناس لا يخلو من التكلف ، فأنت تلاحظ أن التكلف والتصنّع باديان على ما أوردنا من شواهد و أمثلته ...

الجناس غير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربع المذكورة وهي : نوع الأحرف وعددتها وهيايتها وترتيبها ، ويأتي هذا الجناس على أنواع :-

١- الجناس المضارع أو اللاحق : وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الأحرف ، ويشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف ، فإن كان الحرفان اللذان وقع

فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج سمى الجناس مضارعا كما في قوله عز وجل :  
 ﴿ وَهُمْ يَنْهَاوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله عليه الصلاة والسلام : " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيمة " ... وقول الحريري : " بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس .." .. وإن كانا متبعدين في المخرج سمى لاحقاً كما في الآيات الكريمة :  
 ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَجَتَكَ مِنْ سَبَابِنَ يَقِينٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
 ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ... ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
 ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْآمِنِ أَوْ أَخْوَفُ أَذْعَانِهِ .. ﴾<sup>(٥)</sup> ، ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ... ﴾<sup>(٦)</sup> ... ومن اقوالهم في ذلك  
 قول ابن هرمة :

وأطعن للقرن يوم الوعى      وأطعم فى الزمن الماحل  
 وقول البحترى :

هل لما فات من تلاق تلاف      أم لشاك من الصباية شاف  
 وقول الحريري : " لا أعطي زمامي لمن يخفر ذمامي ، ولا أغرس الأيادى في بلاد  
 الأعدى .." ... وقول الآخر :

إن المكارم فى المكار      ره والمغانم فى المغارم

٢ - الجناس الناقص : وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الأحرف ، وسمى  
 ناقصا لأن أحد اللفظين ينقص عن الآخر حرفا أو حرفين ، ولا يكون النقصان بأكثر من  
 ذلك ، فمما نقص فيه أحد اللفظين عن الآخر حرفا قوله تعالى : ﴿ وَالْتَّفَتَ السَّاقُ

(١) سورة الأنعام آية ٢٦ .

(٢) سورة الهمزة آية ١ .

(٣) سورة النمل آية ٢٢ .

(٤) سورة غافر آية ٧٥ .

(٥) سورة النساء آية ٨٣ .

(٦) سورة العاديات آية ٦ - ٨ .

بالساق إلى ربك يومئذ المساق <sup>(١)</sup> ، فالجنس بين الساق والمساق <sup>(٢)</sup> ، وقد نقصت الأولى عن الثانية حرقا ... ومنه قولهم : "جدى جهدى" ، و "من جد وجد" ، والتتشديد لا يعتد به في الجنس الناقص ... وقولهم : سال من أحزانه سالم من زمانه ، حام لعرضه حامل لغرضه " ... ومنه قول أبي تمام :

يمدنون من أيد عواص قواض قواض <sup>(٣)</sup> تصول بأساف عواص عواص  
وقول الآخر :

وعلى فيها للوشاة عيون  
إلا الهوان فزال عنه التون  
وسائلها بإشارة عن حالها  
فتنفست صعدا وقالت : ما الهوى  
وقول البهاء زهير :

أشكر وأشكر فعله  
طرفى وطرف النجم فيه  
فأعجب لشاك منه شاكر  
ك كلامها ساه وسامه

ومن زادت في إحدى الكلمتين عن الأخرى حرفين قول حسان ابن ثابت - رضي الله عنه - :

وكنا متى يغزى النى قبيلة  
نصل جاييه بالقنا والقنابل <sup>(٤)</sup>  
وقول المنساء :

إن البكاء هو الشفا  
ء من الجوى بين الجوانح

ولا تكون هذه الزيادة أى : زيادة الحرفين إلا في آخر الكلمة ، ولذا سماه بعض البلاعين : مذيلا ، وسمى ما كانت الزيادة فيه بحرف واحد مطرفا .. <sup>(٥)</sup>

(١) سورة القيامة الآية ٣٠ .

(٢) عواص : جمع عاصية ، من عصى يعني لم يطع أو من عصاه إذا ضربه بالعصا وعواصم : جمع عاصمة أي حافظات لأوليائها وقواض : حاكمات بالقتل . وقواضب : قاطعات .

(٣) القنا : الرماح . والقنابل : جمع قبلة وقبل بفتح القاف : الجماعة من الناس أو الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ...

(٤) انظر بغية الإيضاح ٤/٨٢ .

ووجه حسن هذا النوع كما يقول عبد القاهر ، أنك تتوهם قبل أن يرد عليك آخر الكلمة ، كالمليم من : ((عواصم)) والنون والخاء من ((الجوانح)) أنها هي الكلمة التي مضت ، وقد أتى بها للتوكيد ، حتى إذا تمكنت آخرها في نفسك ووعاه سمعك ، انصرف عنك ذلك التوهם ، وفي ذلك حصول الفائدة بعد أن يحالطك اليأس منها<sup>(١)</sup> ...

٣- الجناس المحرف : وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيآت الأحرف ، أى في الحركات والسكنات ، واتفقا فيما عدا ذلك من نوع الأحرف وعددها وترتيبها ...

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ . وقول الرسول ﷺ " اللهم كما حست خلقى فحسن خلقى ..." ، ومنه قولهم : " لَا تَنَالُ الْغُرَرَ إِلَّا بِرَكَوبِ الْغَرَرِ " ، " جَبَّةُ الْبَرْدُ جَنَّةُ الْبَرْدِ " البدعة شرك الشرك<sup>(٢)</sup> . وقول المعري :

والحسن يظهر في بيته رونقه      بيت من الشّعر أو بيت من الشّعر

٤- جناس القلب : ويسميه بعضهم " جناس العكس " وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في ترتيب الحروف ، وهو إما قلب الكل ، وذلك إذا جاء أحد اللفظين عكس الآخر في ترتيب حروفه كلها ، كما في قولهم " حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائهم " ، وقول العباس بن الأحنف :

حسامك فيه للأحباب فتح      ورمك فيه للأعداء حتف

وقول الآخر :

حكاني بهار الروض حين ألفته      وكل مشوق للبهار مصاحب

فقلت له : ما بال لونك شاحبا      فقال لأنى حين أقلب راهب

(١) انظر أسرار البلاغة ص ٢٦ .

(٢) الغرر : بالضم جمع أغدر وهو الحسن من كل شيء وبالفتح التعرض للتهلكة . والبرد : بضم الباء الثوب وبفتحها ضد الحر وبين جبة وجنة جناس لاحق . والشرك : الحبائل ..

(٣) الشعر : بالفتح القابل للصوف والوبر .

فتح مقلوب حتف ، وراهب مقلوب بهار وهو نبت طيب الرائحة له زهر أصفر  
ينبت أيام الربيع ..

وإما قلب البعض : وهو ما اختلفت فيه الكلمتان في ترتيب بعض الحروف .. كما  
في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ ... ﴾<sup>(١)</sup> ، فالجنس في كلمتي : ﴿ بَيْنَ وَ بَنِي ﴾ ، وقد اختلفتا في ترتيب  
الحرفين الآخرين ... ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " اللهم است عوراتنا  
وآمن رواعتنا " ، وقول بعضهم : " رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين  
كفيه " ...

وقول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب <sup>(٢)</sup>

وقول المتنبي :

منعنة منعنة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا <sup>(٣)</sup>

فقد وقع التجانس بين : عوراتنا ورواعتنا .. وفكيه وكفيه .. والصفائح  
والصحائف .. ومنعنة ومنعنة ... وكل كلمتين قد اختلفتا في ترتيب بعض حروفهما  
كما ترى ...

هذا وقد أطلق بعض البلاغيين مصطلحات على جناس لا يخرج عن الأنسواع  
المذكورة .... من ذلك :

١ - الجناس المقلوب الجنج : إذا وقع أحد التجانسين في جناس القلب الكلى في  
أول الكلام والآخر في آخره سمى مقلوبا مجنجا ، كما في قول الشاب الظريف :

---

(١) سورة طه الآية ٩٤ .

(٢) الصفائح : جمع صفيحة وهي السيف العريض ، والصحائف : جمع صحيفة والمراد بها كتب  
المنجمين ... والريب : الشك جمع ريبة ..

(٣) رداح : يقال امرأ رداح أى : ضخمة العجينة ثقيلة الأوراك ..

فاجلناس بين " ساق " فى أول البيت و " قاس " فى آخره وقد قلبت حروفهما قلبا كلية ... ومثله قول الآخر :

## للاح أنسوار الهدى

٢ - الجناس المزدوج : وإذا تابعت الكلمتان المتجلانستان من أي نوع من أنواع الجناس المذكورة ، سمي جناساً مزدوجاً أو مكرراً أو مردداً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأً بَنِيْ يَقِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، وما جاء في الخبر : " المؤمنون هينون لينون " ، وقولهم : " من طلب وجود وحد ، ومن قرع باباً ولج ولج ... " ، وقول أبي تمام : يمدون من أيد عواصِم تصوّل بأسياف قواضِ قواضِب

إلى غير ذلك من الشواهد التي مرت بك ..

٣- الجناس المصحف : ويقال له أيضاً : الجناس المرسوم ، وهو أن تمثل الكلمات  
المتجانستان في الخطط والرسم ، وتحتليفًا في النقط ، كما في قوله تعالى :  
﴿ قل هل نبيكم بالأخرين أعملاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون  
أنهم يحسنون صنعوا ﴾<sup>(٢)</sup> ... ﴿ فيحسبون ويحسنون ﴾<sup>(٢)</sup> ، تمثيلان رسمًا وخطا  
مختلفان ناطقاً ... ومنه قوله عز وجل : ﴿ ... والذى هو يطعنى ويُسقين . وإذا  
مرضت فهو يشفين ﴾<sup>(٣)</sup> وقول على - كرم الله وجهه - : "قصر ثيابك فإنه أبقى وأنقى  
وأنقى .." ، وقولهم : "خلف الوعد خلق الوغد" ، ومنه شعراً قول أبي فراس الحمداني :  
من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أاعترف

٢٢ . الآية النمل سورة ) ١(

(٢) سورة الكهف الآيات ١٠٣ ، ١٠٤ .

٨٠ ، ٧٩ ، سورة الشعرا الآياتان ٣)

وقول الآخر :

فإن حلوا فليس لهم مقر  
وإن رحلوا فليس لهم مفر<sup>(١)</sup>

وقول أبي تمام :

رب حفص تحت الشرى وغناء  
من عناء ونترة من شحوب

وقول البحترى :

ليعجز والمعتز بالله إذا سرى  
ولم يكن المغتر بالله إذا سرى  
ولا يخفى عليك أن هذا يرجع إلى الجنس المضارع أو اللاحق حيث اختلفت  
الكلمتان في نوع الأحرف واتفاقا فيما عدا ذلك من عدد الأحرف وترتيبها وهيايتها ..

ما يلحق بالجنس : الحق البلاغيون بالجنس أمرین :

الأمر الأول : أن يجمع اللفظين الاشتقاد ، يعني أن يرجع اللفظان إلى أصل واحد  
في اللغة ، ويسمى هذا : "جنس الاشتقاد" .. وهذا النوع من الجنس يكثر في كلام  
القدماء شعره ونثره ، وفي النظم الكريم والحديث الشريف كثير منه ، وهو الذي لفت  
نظر العلماء الأوائل الذين تحدثوا عن الجنس وفطنوا لشواهده ، كالخليل والأصمى وابن  
المعتز وغيرهم ، وقد كان الرمانى يسميه : "تجانس المناسبة" وعنى به الجنس الذي  
يدور في المعانى التي يجمعها أصل واحد ترجع إليه ، وكشف عن أسرار بلاغته في  
كثير من آى الذكر الحكيم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرْفُهُمْ  
قُلُوبُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> فقد جونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير ، والأصل فيه  
واحد وهو الذهاب عن الشئ ، أما هم فذهبوا عن الذكر وأما قلوبهم فذهب منها  
الخير ، وقد رتب صرف قلوبهم عن الخير على انصرافهم عمما أنزل الله من الآيات ،  
وكان انصرافهم ليس لهم وإنما هو عليهم..<sup>(٣)</sup> .

(١) ولاحظ الجنس الناقص بين حلوا ورحلوا .

(٢) سورة التوبه الآية ١٢٧ .

(٣) انظر النكت للرمانى ص ١٠٠ .

ومنه قوله عز وجل : ﴿ رَجُالٌ لَا تَلِهِمْهُ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِ الزَّكَاةِ يَخْافُونَ يَوْمًا تَتَقْلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾<sup>(١)</sup> ، فـتـقـلـبـ الـقـلـوبـ تـرـجـعـانـ إـلـىـ أـصـلـ وـاحـدـ . وـكـذـاـ القـولـ فـىـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهكَ لِلَّدِينِ الْقِيمِ ﴾<sup>(٢)</sup> ... ﴿ يَعْلَمُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرَبِّي الصَّدَقَاتِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ فَإِنَّمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .. فـبـيـنـ كـلـ مـنـ « أـقـمـ وـالـقـيـنـ » .. ﴿ وَرِبَّا وَرِبَّى ﴾ .. ﴿ وَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ﴾ ، جـنـاسـ الـاشـتقـاقـ ... وـمـنـهـ قـولـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : " الـظـلـمـ ظـلـمـاتـ يـوـمـ الـقيـامـةـ " وـقـولـ الشـافـعـيـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ وـقـدـ سـئـلـ عـنـ النـبـيـ : " أـجـمـعـ أـهـلـ الـحـرـمـينـ عـلـىـ تـحـريـمـهـ " ... فـالـظـلـمـ وـالـظـلـمـاتـ ، يـرـجـعـانـ إـلـىـ أـصـلـ وـاحـدـ .. وـكـذـلـكـ " الـحـرـمـينـ وـتـحـريـمـهـ " .....

وـمـنـ جـنـاسـ الـاشـتقـاقـ ماـ يـجـرـىـ فـىـ الـأـعـلـامـ كـمـاـ فـىـ قـولـ النـبـيـ ﷺ : " أـسـلـمـ سـالـمـهـ اللـهـ وـغـفـارـ غـفـرـ اللـهـ لـهـ وـعـصـيـةـ عـصـتـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ " فـأـسـلـمـ وـغـفـارـ وـعـصـيـةـ أـسـماءـ قـبـائـلـ وـهـيـ تـرـجـعـ وـمـاـ ذـكـرـ مـعـهـاـ مـنـ أـفـعـالـ إـلـىـ أـصـلـ وـاحـدـ فـأـسـلـمـ وـسـالـمـ يـرـجـعـانـ إـلـىـ الـمـسـالـمـةـ ، وـغـفـارـ وـغـفـرـ إـلـىـ الـمـغـفـرـةـ وـعـصـيـةـ وـعـصـتـ إـلـىـ الـعـصـيـانـ ... ، وـمـنـ ذـكـرـ ماـ يـرـوـىـ أـنـ رـجـلـاـ مـنـ قـرـيـشـ قـالـ خـالـدـ اـبـنـ صـفـوانـ : مـاـ اـسـمـكـ ؟ قـالـ : خـالـدـ بـنـ صـفـوانـ الـأـهـمـ ، فـقـالـ الرـجـلـ : إـنـ اـسـمـكـ لـكـذـبـ بـاـخـلـدـ أـحـدـ ، وـإـنـ أـبـاـكـ لـصـفـوانـ وـهـوـ حـجـرـ ، وـإـنـ جـدـكـ لـأـهـمـ وـالـصـحـيـحـ خـيـرـ مـنـ الـأـهـمـ ....

قال خالد : من أى قريش أنت ؟ قال : من بني عبد الدار ، قال : فمثلك يشتمنيما في عزها وحسبيها، وقد هشمتك هاشم وأمتك أمية وجمحت بك جمع وخزمنتك مخزوم وأقصتك قصى فجعلتك عبد دارها وموضع شمارها تفتح لهم الأبواب

(١) سورة النور الآية ٣٧ .

(٢) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٦ .

(٤) سورة الواقعة الآيات ٨٨ ، ٨٩ .

إذا دخلوا وتغلقها إذا خرجوا ...<sup>(١)</sup> ، فالقرشى وخالد قد اتخذوا من كل اسم لفظاً مشتقاً من أصل مادته .. ومنه شعراً قول أمير القيس :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه  
ليلبسني من دائئه ما تلبسا  
وقول زهير :

و عبرة ما هم لو أنهم أمم  
كأن عيني وقد سال السليل بهم  
وقول النعمان بن بشير :

وليلك عما ناب قومك نائم  
ألم تبتدركم يوم بدر سيفونا  
وقول الفرزدق :

وأوسعه من كل ساف و حاصب  
خفاف أخف الله عنه سحابه  
وقول حرير :

وما زال محبوساً عن المجد حابس  
فما زال معقولاً عقال عن الندى  
وقول أبي تمام :

فيما دمع أنجدتني على ساكني نجد<sup>(٢)</sup>  
 وأنجدمت من بعد إتهام داركم  
وقول البحترى :

في سؤدد أربا لغير أرب

يعشى عن المجد الغبي ولن ترى  
وقول ابن وهيب :

فمالك موتور وسيفك واتر<sup>(٤)</sup>  
قسمت صروف الدهر بأسا ونائل

(١) انظر الصناعتين ٣٣٢ .

(٢) أنجدمت : سكتتم بحدا . وإتهام : سكتى تهامة .

(٣) يعشى : يصاب بالعشى وهو عدم الإبصار ليلاً أو ليلاً ونهاراً . والأرب : الحاجة ، والأرب : الماهر .

(٤) وتره : أصابه عكروه أو بظلم ، ونلاحظ في البيت محسناً آخر وهو اللف والنشر غير المرتب ، فموتور يرجع لنائل " وواتر يرجع لباس ..

ففى كل بيت كما ترى جناس اشتراق بين : طمع الطماح ... سال السليل ...  
 تبتدر وبدر ... خفاف أخف ... معقولا عقال ... محبوسا حابس ... أنجد ونجد ...  
 أربا وأريب ... موتور وواتر ... وقد كثر هذا النوع من الجناس - كما قلنا - فـى  
 الشعر القديم ، ثم ازدادت كثرته لدى المتأخرین ، وكان فى القديم يصدر عن طبع ويأتى  
 عفو الخاطر ، كما رأينا فى الشواهد ، أما المتأخرون كأبى تمام ، ومسلم بن الوليد ومن  
 سار على نهجهما ، فقد خرجوا عن حد القصد والاعتدال فى كثير من الأحيان ...

الأمر الثانى : أن يجمع اللفظين ما شابه الاشتراق ومعنى مشابهة  
 الاشتراق : أن يوجد فى اللفظ جميع ما فى الآخر من الحروف أو أكثرها ، ولكن  
 لا يرجعان إلى أصل واحد كما فى الاشتراق ولذا كان شبها به وليس إيه .. من ذلك  
 قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمْلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ...﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَقَالَ﴾ من القول  
 ﴿وَقَالِين﴾ من القلى فهما - وإن تشابهت حروفهما - مختلفان لا يرجعان إلى أصل  
 واحد .. ومثله قوله عز وجل : ﴿وَجَنِي الْجَنَّتَيْنِ دَانَ...﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَالَقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ...﴾<sup>(٣)</sup> وقوله جل وعلا : ﴿فَبَعَثْتَ اللَّهُ غَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيَرِيهِ  
 كَيْفَ يَوْرَى سُوَاءً أَخْيَهِ...﴾<sup>(٤)</sup> فمعنى الجنى غير معنى الجنة ، ومعنى الأرض غير معنى  
 الرضا ، ومعنى الرؤية أو الإراعة غير معنى المواراة فاللفظان وإن تشابهت حروفهما لا  
 يرجعان لأصل واحد ...

ومن ذلك قول البختى :

**وإذا ما رياح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء**

(١) سورة الشعرا الآية ١٦٨ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٤ .

(٣) سورة التوبه الآية ٣٨ .

(٤) سورة المائدah الآية ٣١ .

" هبت " من الهبوب " ، " وهباء " من هبا يهبو ، فأصلهما مختلف وقد تشابهت حروفهما ...

هذا ولا أرى وجهاً لجعل البلاغيين هذين النوعين ملحقين بالجناس ، إذ لا فرق بينهما وبين الأنواع السابقة له ، إلا أن يقال : إن اللفظين في " جناس الاشتقاء " ، يرجعان إلى أصل واحد ، وحد الجنس تشابه اللفظين نطقاً واحتلافاًهما معنى ، وذا غير مسلم لأن اللفظين وإن رجعاً إلى أصل واحد ، فقد صار لكل منها معنى مختلف عن معنى الآخر ، ولو سلم بهذا القول في " جناس الاشتقاء " ، وعد به ملحقاً بالجنس ، فماذا نقول فيما شابه الاشتقاء ، وقد رأينا أن لفظه لا يرجعان لأصل واحد ؟ .... ولذا أرى أن يعد جناس الاشتقاء وما شابهه من أنواع الجنس وألا يجعل ملحقين به ، كما ذكر البلاغيون ...

بلاغة الجنس : بعد أن وقفتنا على مفهوم الجنس وعرفنا أنواعه المتعددة نعود فنقول : إن الجنس لا يقبل ولا يعد حسناً إلا إذا طلبه المعنى واستدعاه ، وجاء عفو المخاطر ، صادراً عن طبع لا عن تكلف وتصنع ... يقول عبد القاهر : " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلب واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا يتبعى به بدلًا ولا تجد عنه حولاً ، ومن هنا كان أحلى جناس نسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاً ما وقع من غير قصد من المتكلّم إلى احتلابه ، وتأهّب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمة - وإن كان مطلوباً - بهذه المنزلة وفي هذه الصورة ..." <sup>(١)</sup> ..

والجنس شأنه شأن فنون البديع الأخرى ، لا يحمد فيه الإسراف ، ولا يستحسن الإكثار ، " لذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعانى لا تدين فى كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم للمعنى .." <sup>(٢)</sup> .

---

(١) أسرار البلاغة ص ٢٠ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨ .

ونستطيع أن نقول إن بلاغة الجناس ترجع إلى الأمور الآتية :

١ - التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثيل الكلمات تمثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرّب له الأذن وتهتز له أوتار القلوب فتجابو في تعاطف مع أصوات أبنيتها وهذا يؤكّد بجلاء أهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في النص الأدبي وبناء ما بين ألفاظه من وشائج التغيم ...

٢ - ما يحدّث الجناس من المفاجأة وخداع الأفكار واحتلال الأذهان ، إذ يتوهّم السامع أن اللفظ مردّ المعنى مكرر وأنه لن يعني منه سوى التطويل والسامّة ، وعندما يأتي اللفظ الثاني يعني بغير ما سبقه ، تأخذ هذه الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة ، فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر ، كان للنفس تشوف إليه وتطلع ، وعندئذ يقع منها أحسن موقع ، لأن الجناس يعيد اللحظة على السامع كأنه يخدّمه عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهّمه كأنه لم يزده وقد أحسن الزيادة ووفاها<sup>(١)</sup> ...

٣ - لا يخرج الجناس عن نظرية : "تداعي الألفاظ" و "تداعي المعاني" ، في علم النفس ، وله أصله في الدراسات النفسية فهناك ألفاظ متفقة كل الاتفاق أو بعضه في الجرس وهناك ألفاظ متقاربة أو متشابكة في المعنى بحيث تذكر الكلمة بأختها في الجرس وأختها في المعنى ، كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً ، وهذه الناحية النفسية هي التي تشرح لنا كيف يقع التجنّيس للشاعر دون معاناة ، إذا كان ملماً بلغته محساً بذوقها عالماً بتصاريفها واشتقاقها .. فالدرامي يعرف لغة أن "الخرق" هو الصحراء الواسعة ويعرف لغة أن الناقة التي تخرق الأرض تسمى "خرقاء" وهذه المعرفة تدفعه إلى التجنّيس في لين وسهولة فيقول :

وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية إذا الكواكب كانت في الدنا سرجا

(١) انظر أسرار البلاغة ص ١٧ .

وجريدة يعرف أسرة الفرزدق ، ويعرف أن من بين أجداده " عقال وحابس " ،  
ويعرف كذلك معنى الحبس والعقال في اللغة، فيجري لسانه بهذا الجنس هاجيا الفرزدق:  
**فما زال معقولاً عقال عن الندى  
وما زال محبوساً عن المجد حابس**

والفرزدق يعرف " خفاف " ويريد هجاءه فيذكر اسمه بالخلفة ، لأنه يعلم أن  
خير السحب أثقلها ، وأن السحابة إذا خفت حفت ، ولذا يدعو عليه أن يخف الله  
سحابه وأن يدلله بها السافيات الحواصب إذ يقول :  
**خفاف أخف الله عنه سحابه  
وأوسعه من كل ساف وحاصب**

والشعر يشاركه التشر في هذه الملاحظة النفسية <sup>(١)</sup> ...

وارجع إلى شواهد الجنس التي مرت بك من آيات كريمة ، وأحاديث شريفة ،  
وشعر أو نثر صدر الجنس فيه عن طبع وجاء عفوا ، ثم استبدل الألفاظ المتجانسة  
براءفات لها ، وانظر بعد ذلك لترى كيف زال الحسن والجمال ، وذهب الرونق  
والبهاء ، ومضت بلاغة الجنس التي كنت تشعر بها في تلك الشواهد ...



---

(١) انظر بلاغة أرسقو بين العرب والميونان ١١٧ ، وفنون بلاغية ٢٣٣ .

## السجع

السجع في اللغة: الكلام المففي ، أو موالاة الكلام على روى واحد ، وجمعه أسجاع وأساجيع ، وهو مأخوذ من سجع الحمام ، وسجع الحمام هو هديله وترجعه لصوته <sup>(١)</sup> .

وفي اصطلاح البلاغة : تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة ، ويقع في الشعر كما يقع في النثر ... فمما تواطأت فيه الفواصل على حرف واحد قوله تعالى : ﴿ وَالظُّرْ ﴾ وكتاب مسطور في رق منشور . والبيت العموري <sup>(٢)</sup> ، وقوله عز وجل : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغَيْرَاتِ صَبْحًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ... ومن التواطؤ على حروف متقاربة قوله تعالى : ﴿ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مِنْذُرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ . أَجْعَلِ الْأَهْمَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آهْتَكُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يَرَادٌ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فالباء والدال والكاف حروف متقاربة ... وكذا قوله تعالى : ﴿ قٰ . وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ بِلٰ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مِنْذُرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فالدال والباء حرفان متقاربان... ومن وقوعه في الشعر قول أبي تمام :

تجلى به رشدى وأثرت به يدى وفاض به ثدى وأورى به زندي

(١) انظر القاموس ولسان العرب مادة سجع والإتقان ٩٧/٢

(٢) سورة الطور آية ٤-١ .

(٣) سورة العاديات آية ٣-١ .

(٤) سورة ص آية ٧-٤ .

(٥) سورة ق آية ١ - ٢ .

وقول المتنبي :

### فحنن فى جذل والروم فى وجل والبر فى شغل والبحر فى خجل

هذا ويرى بعض البلاغيين كالسكاكي والخطيب أن السجع لا يكون إلا في التتر ، وأنه لا يكون إلا بتواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد ، فليس منه التواطؤ على حروف متقاربة .

يقول الخطيب : " السجع تواطؤ الفاصلتين من التتر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي : الأسحاع في التتر كالقوافي في الشعر ..." <sup>(١)</sup> والأولى ما ذكرناه ، لأن السجع قد ورد في الشعر كما ورد في التتر ، ولأن معظم البلاغيين جعلوا منه التواطؤ على حروف متقاربة .

الفقرة والقرينة والفاصلة : هذه الكلمات تتردد كثيرا في باب السجع وينبغى أن نعرف المراد بكل منها ، فالفاصلة هي الكلمة الأخيرة من الفقرة أو القرينة ، والفقرة أو القرينة بمعنى واحد وهي الجملة التي تنتهي بالفاصلة ، فمثلا قوله تعالى : ﴿اقربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ <sup>(٢)</sup> الفاصلة كلمة ﴿القمر﴾ في الآية الأولى ، و﴿مستمر﴾ في الآية الثانية والقرينة أو الفقرة : الآية كلها ، كل آية فقرة أو قرينة .

شروط حسن السجع : ذكر ابن الأثير شروطا أربعة ينبغي تحقيقها حتى يكون السجع حسنا ، فإذا فقدت أو فقد شرط منها لا يكون السجع حسنا ، وتلك الشروط هي:

- 1 - أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة لاغنة ولا باردة .

---

(١) الإيضاح ٩٢/٤ .

(٢) سورة القمر آية ١ ، ٢ .

٢ - أن تكون التراكيب أيضا صافية حسنة رائقة خالية من الغثاثة وذلك أن المفردات قد تكون حسنة ، ولكنها عند التركيب تفقد هذا الحسن ، ولذا شرط في التركيب ما شرط في المفرد ومعنى الغثاثة والبرودة التي ينبغي أن تخلو منها الألفاظ والتركيب أن يهتم المتكلم بالسجع ويهمل الألفاظ والتركيب فتأنى غثة باردة .

٣ - أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى ، لا أن يكون المعنى تابعاً للفظ وإنما كان ظاهر موه على باطن مشوه .

٤ - أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أحنتها ، فإذا كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه ؛ لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها ....<sup>(١)</sup> .

وهذا الشرط الأخير لم يسلم لابن الأثير ، فقد فنده ابن أبي الحديد ذاكراً أن السجعة الثانية إذا كانت بمعنى الأولى فهي تؤكّد معناها ، والتأكيد عمدة البيان ، ثم ذكر أن القرآن الكريم قد ورد فيه ذلك في كثير من مواضعه ، نحو قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالرب هنا والملك والإله بمعنى ، فكل سجعة من هذه السجعات قد أعطت معنى الأخرى... ومثله قوله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمَصْرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا ، لِنَخْرُجَ بِهِ حَبَا وَنباتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإن الجنات هي البساتين ولا معنى للبساتين إلا ما كان محتواها على الحب والنبات.. وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حَسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

(١) انظر المثل السادس ٢٧٦ / ١ - ٢٧٩ .

(٢) سورة الناس آية ١ - ٣ .

(٣) سورة النبأ آية ١٤ - ١٦ .

كذاباً<sup>(١)</sup> فإن عدم اعتقادهم في الحساب هو تكذيبهم بالأيات ، ومثل هذا في القرآن العزيز كثير جداً ...<sup>(٢)</sup>

والذى نراه أن السجعة الثانية عندما تأتى بمعنى الأولى ، فإن كانت مؤكدة لها أو مبينة وموضحة كما رأينا في الآيات ، فذلك محمود ، لأنه إطناب والإطناب من البلاغة ... أما إذا كان تكرارها لا يزيد الأولى شيئاً ، فذلك مذموم ، لأنه من التطويل والتطويل على ، ومنه قول الصابى : " الحمد لله الذى لا تدركه العيو بالحاظها ، ولا تحده الألسن بألفاظها ، ولا تخلقه العصور بمورها . ولا تهرمه الدهور بكرورها ، ثم الصلاة على النبي الذى لم ير للكفر أثراً إلا طمسه ومحاه ولا رسماً إلا أزاله وعفاه " ... فلا فرق هنا بين مرور العصور وكر الدهور ، ولا بين محو الأثر وعفاء الرسم ، فالسجعة الثانية مكررة وتكرارها لم يقد الأولى شيئاً ولم يزد الكلام بهجة ولا أضفى عليه رونقاً ، ولذا كان من التطويل المعيب .

أنواع السجع : وللسجع أنواع مختلفة بعضها يكون في النثر والشعر ، وبعضها يختص بالشعر ، فأنوعه المشتركة بين النثر والشعر ثلاثة :

١ - المطرف : وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزناً واتفقت روياً ، كما في قوله تعالى : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾<sup>(٣)</sup> فوزن ﴿وَقَارًا﴾ يختلف عن وزن ﴿أَطْوَارًا﴾ والروي واحد وهو حرف الراء .... ومنه شعراً قول أبي تمام :

تجلى به رشدى وأثرت به يدى وفاض به ثدى وأورى به زندي

(١) سورة النبأ آية ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر الفلك الدائر على مثل المسائر ٤/١٧٩ .

(٣) سورة نوح آية ١٣ ، ١٤ .

فرشدی ویدی : مختلفان وزنا ، متفقان رویا ، أما " رشدی وثمدی وزندی " فمتفقة في الروى والوزن معا ، والمراد بالوزن هنا الوزن العروضي لا الصرفى .

٢ - المرصع : وهو أن يكون ما في إحدى القراءتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابلها من الأخرى وزنا وتنقية ... كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لِفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفَجَارَ لِفِي جَحِيْمٍ﴾<sup>(١)</sup> ، فالأبرار مثل الفجار ، ونعميم مثل جحيم ، وزنا وتنقية ... ومثله قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله عزوجل : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغَيْرَاتِ صَبْحًا . فَأَثْرَنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسْطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾<sup>(٣)</sup> ... وقوله صلى الله عليه وسلم : " الله أعط منافقا خلفا وأعطى ممسكا تلفا " ... ومنه قول الحريرى : " فهو يطبع الأسحاج بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ... " .

ومنه شعرا قول أبي فراس الحمداني :

**وأفعالنا للارغبين كرامـة وأموالـنا للطلـابـين نهـاب**

وقول الآخر :

**فحريق جمرة سيفـه للمـعتـدى ورحـيق خـرة سـبـبيـه لـلمـعـتـدى**

٣ - المتوازى : وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزنا وتنقية ، كما في قوله تعالى : ﴿فِيهَا سَرُورٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ...﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فـإن مرفوعـة و مـوضـوعـة مـتفـقـان وزـنا وـروـيا ... ومنه قوله صلى الله عليه

(١) سورة الانفطار آية ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة الغاشية آية ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة العاديـات آية ١ - ٥ .

(٤) سورة الغاشية آية ١٣ ، ١٤ .

وسلم : " اللهم إني أدرأ بك في خورهم وأعوذ بك من شرورهم " ، " فنحورهم وشرورهم " متفقان وزنا وقافية ، .... ومنه شرعا قول المتنى :

فنحن في حذل والروم في وجحل والبر في شغل والبحر في خجل<sup>(١)</sup>

فالشطر الأول مسجوع سجعا متوازيا ، والشطر الثاني من السجع المرصع . فإن اتفقت الفاصلتان في الوزن دون القافية سمى هذا باسم " الموازنة " كقوله تعالى : ﴿ وَمُخَارِقَ مَصْفُوفَةٍ . وَزَرَائِيْ بِمَبْثُوثَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فلفظا : " مصروفه ومبثوثه " متفقان في الوزن لا في القافية ، فالأولى على القاء والثانية على الثاء وهو حرفان متقاربان لا متفقان ... ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلمْ ترَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَزَهَّمُ أَزْأَرًا . فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُهُمْ عَدًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ فَازَا وَعَدَا ﴾ اتفقا وزنا واحتلFTA قافية ... فإن كان ما في إحدى القراءتين من الألفاظ أو أكثر ما فيهما مثل ما يقابلها من الأخرى في الوزن دون القافية خص باسم المائلة ، كقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا هُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَا هُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٤)</sup> ..

ومنه شرعا قول أبي تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أو انس  
فنا الخط إلا أن تلك ذوابل  
وقول البختى :

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا  
وأقدم لما لم يجد عنك مهربا<sup>(٥)</sup>

(١) الجذل : الفرح . والوجل : الخوف ، والمعنى : نحن فرحون بالنصر والروم في خوف من غاراته ، والبر مشتغل بجيشه المتند والبحر في خجل من غزاره كرمه

(٢) سورة الغاشية آية ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة مرريم آية ٨٣ ، ٨٤ .

(٤) سورة الصافات آية ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) الضمير في أحجم : يرجع للأسد الذي بارزه المدوج والمعنى أن الأسد أحجم عنه لأنه لم يجد فيه مطمعا لقوته ، فلما عرف أنه لا ينجو منه أقدم دهشا إليه .

هذا وكما يقع السجع في كلام شخص واحد ، فقد يقع في كلام شخصين ،  
كما حكى أنه قيل لرجل : ما أحسن السجع ؟ قال : ما راق في السمع ، قيل : مثل  
ماذا ؟ قال : مثل هذا .... ومنه ما روی أن النبي صلی الله علیه وسلّم سأله عن قتل  
أحد الكفرا ف قال له : "ابن الأكوع" ، فقال عليه الصلاة والسلام : "له سببه أجمع" .

وأما أنواعه الخاصة بالشعر فهي :

١- التشطير: وهو أن يجعل كل شطر من شطري البيت سجعتان بحيث تختلف  
سجعتا كل شطر عن سجعتي الشطر الآخر في القافية ...

كما في قول أبي تمام :

تدبر معتصم بالله منتفم      الله مرتب في الله مرتفب

٢- التصرير: وهو جعل كل شطر من شطري البيت فقرة ، فتكون العروض  
مقفاة تقافية الضرب ، وهذا النوع يحسن في أول أبيات القصيدة ، وعند الانتقال من  
غرض إلى آخر كالانتقال من النسيب إلى المديح ، وفيما عدا هذين الموضوعين ،  
يحسن ما قل منه دون ما كثر ...

ومن شواهده قول أبي فراس :

بأطراف المشفقة العروال      نفرت ا بواسط المعالي

وقول أمير القيس :

ألا عم صباحا أيها الطلل البال      وهل ينعم من كان في العصر الحال

وقوله في مطلع معلقته :

فانا نبك من ذكرى حبيب      بسقوط اللوى بين الدخول فحومل

وفي أثنائها :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل  
وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

وقول أبي العناية :

الفقر فيما جاوز الكفاف  
من اتقى الله رجا وخفافا

٣ - ان يكون غير مصروع ولا مشطور ... كما في قول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخلقة  
لدى الطريقة نفاع وضرار

وقول أبي تمام :

تجلى به رشدي وأثرت به يدى  
وفاض به ثدى وأورى به زندي

بناء الأسجاع : وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز .

موقوفا عليها ، إذ الغرض أن يزاوج بينها ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون ... ففي قول قيس بن ساعدة الإيادي : " من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت .... " وقول الآخر : " ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هوا آت " لو لم نقف بالسكون لفatas الغرض من السجع ، إذ التاء من " مات وفات " تصير مفتوحة ومن " آت " تصير مكسورة منونة ، وذلك حسب إجراء حركات الإعراب أو البناء على آخر الفواصل ، وهذا الإجراء لا يتحقق التزاوج بين الفواصل ، فوجب الوقوف عليها وتسكنين أحجازها .

السجع من حيث طول الفقر وقصرها : والسجع على اختلاف أنواعه

ينقسم من حيث طول فقره وقصرها إلى قسمين :

١ - سجع قصير .

٢ - سجع طويل .

فالقصير : ما كان مؤلفا من ألفاظ قليلة إذ يبدأ بكلمتين وينتهي إلى تسع كلمات أو عشر ... كما في الآيات الكريمة : ﴿ والمرسلات عرفت فالعاصفات عصفا ... ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ... ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى ... ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ... ﴾<sup>(٤)</sup> .

والطوبل : ما كان مؤلفا من ألفاظ طويلة ... وتنافوت درجاته في الطول ، إذ يبدأ من إحدى عشرة لفظة ، وينتهي إلى عشرين فما فوقها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسنه ليقولن ذهب السينات عنى إنه لفرح فخور ﴾<sup>(٥)</sup> ، قوله عز وجل : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ إذ يریکم الله في منامك قليلا ولو أراکمهم كثيرا لفشلتم ولتسازمتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور . وإذ يریکم لهم إذ التقييم في أعينكم قليلا ويقلل لكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور ... ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة المرسلات آية ١ ، ٢ .

(٢) سورة المدثر الآية ٥-١ .

(٣) سورة النجم الآية ١-٣ .

(٤) سورة القمر الآية ١-٣ .

(٥) سورة هود الآية ٩ ، ١٠ .

(٦) سورة التوبه الآية ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٧) سورة الأنفال الآية ٤٣ ، ٤٤ .

ويرى البعض أن السجع من حيث طول فقره وقصرها ثلاثة أقسام طويل ووسط وقصير ، فالقصير يبدأ بكلمتين وينتهي إلى أربع كلمات والوسط يبدأ من خمس إلى عشر والطويل مافوق ذلك ، ولا أرىفائدة لهذا الاختلاف ، كما لا أرى فائدة وراء هذه التقسيمات ، فالأولى أن يقال : إن السجع يبدأ بكلمتين وينتهي إلى العشرين أو ما قاربها ...

السجع من حيث تساوى فقره وعدم تساويها : والسجع قد تتساوى فقره كما في قوله تعالى : ﴿فِي سَدْرٍ مُخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظَلٌّ مَمْدُودٌ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا الْيَتَيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَهْرِ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقد تطول الفقرة الثانية طولا لا يخرج بها عن حد الاعتدال كقوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هُوَ ماضٍ صَاحِبُكَ وَمَا غَوَى﴾<sup>(٣)</sup> ، وقد تتساوى الأولى والثانية وتطول الثالثة كقوله تعالى : ﴿خَذُوهُ فَلَوْهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوهُ ...﴾<sup>(٤)</sup> ، وقد تكون الثانية أقصر من الأولى قصرا يسيرا كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾<sup>(٥)</sup> ... وهذه الأنواع كلها حسنة وقد وردت في أساليب القرآن الكريم - كما رأينا - ، ويدرك البعض أن أحسن السجع ما تساوت قرائته ثم ما طالت قرينته الثانية ثم الثالثة ثم ما قصرت قرينته الثانية قصرا يسيرا .... ولا وجه لهذا التفضيل خاصة وأن الكل قد ورد في النظم الكريم ، فالأولى أن يقال إن كل نوع منها حسن في موضعه ... أما ما يستتبع فهو أن تطول الفقرة الثانية عن الأولى كثيرا بحيث يخرج بها هذا الطول عن حد

(١) سورة الواقعة آية ٢٨ - ٣٠ .

(٢) سورة الضحى آية ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة النجم آية ١ ، ٢ .

(٤) سورة الحاقة آية ٣٠ ، ٣١ .

(٥) سورة الفيل آية ١ ، ٢ .

الاعتدال ، لأن هذا يفوت على السامع لذة الاستمتاع بالقافية لبعدها بعدها كثيرا ... كما يصبح أن تقصر الثانية عن الأولى قصرا كثيرا لأن السجع إذا استوفى أmode من الأولى لطوها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا ، كان ذلك كالشئ المبتور ، ويبيّن السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ... ولم يرد شيء من ذلك في أساليب النظم الكريم ....

### السجع عبر العصور : السجع مصطلح بلاغي عرف منذ العصر الجاهلي ، قبل

أن توضع مصطلحات العلوم ، ومنذ معرفته في ذلك العصر وحتى الآن ، ودلالة لم تتغير ولم تتبدل ، وعلى الرغم من أن بعض العلماء قد أطلقوا على هذا الأسلوب في القرآن الكريم اسم "الفواصل" بدلا من السجع ، إلا أن دلالته ظلت باقية حتى الآن ... وكان للسجع منزلة سنية بين العرب في الجاهلية فقد كثر في كلامهم ، وكان يصدر عن طبع سليم وسليقة قوية وفطرة واضحة ... من ذلك قول أوس بن حارثة موصيا ابنه : " يا مالك ، المنية ولا الدنيا ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبلد ، واعلم أن القبر خير من الفقر ، وشر شارب المستشف ، وأقبح طاعم المقتف ، وذهب البصر خير من كثير النظر ...<sup>(١)</sup> ... وقول قيس بن ساعدة الإيادى في سوق عكاظ : " أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليس داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر وبخار تزخر ...." ، وقول عبد المطلب بن هاشم يعني سيف بن ذي يزن باسترداد ملوكه من الحبشة : " إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك حلا رفيعا صعبا منيعا ، باذخا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبست فرعه ، في أكرم معدن وأطيب موطن ...<sup>(٢)</sup> ، ... وإلى جانب هذا السجع الفطري ، وجد نوع آخر من السجع المتكلف وهو سجع الكهان ، كقول سطيح بن مازن وهو من كهان العرب ، في تعبير رؤيا ربعة بن نصر اللحمى أحد

(١) المستشف : المستقصى . والمقتف : العجول .

(٢) الباذخ : العالى . والأروممة وكذلك الجرثومة : الأصل .

ملوك اليمن: "أحلف بما بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش ، وليملکن ما بين أيین إلى حرش "<sup>(١)</sup> .... وقول شق أنمار من كهان العرب في تعبير تلك الرؤيا : "أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان ، وليلغبن على كل طففة البنان وليملکن إلى ما بين أيین وبجران "<sup>(٢)</sup> ، وقول الكاهن المخزاعي في تنفير هاشم بن عبد مناف على أخيه أمية بن عبد شمس : "والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد أو غائز ، لقد سبق هاشم أمية إلى المأثر .. " .

وفي العصر الإسلامي ، نهى النبي ﷺ عن سجع الكهان ، فقد روى أنه ﷺ قضى في جنين امرأة ضربتها أخرى فسقطت ميتا ، بغرة أى : عبد أو أمة على عاقلة الضاربة ، فقال رجل منهم : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثل ذلك دمه يطل "<sup>(٣)</sup>" ، فقال صلی الله عليه وسلم : "إياكم وسجع الكهان ، أو أسجعاً كسجع الكهان" ، وسبب نهيه عليه الصلاة والسلام عن سجع الكهان ، يرجع إلى ما فيه من التكليف والتصنّع ، وما تضمنه من أحکام تخالف تعاليم الإسلام ، وما يقصد إليه الكاهن من التزييف وتزيين الباطل كي يعلو على الحق ... ولم يقصد عليه الصلاة والسلام - النهى عن السجع مطلقا ، بل قصد النهى عن هذا النوع منه وهو سجع الكهان .... ودليل ذلك أن أسلوب السجع قد ورد في النظم الكريم على نحو ما رأينا .. كما ورد في أقواله صلی الله عليه وسلم ، من ذلك قوله : "يقول العبد : مالي مالي ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنت ، أو أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت ...." ، وقوله : "أيها الناس ، أفسحوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل

(١) الحرثان : ثنية حرة وهي أرض ذات حجارة لغرة سود ، والحنث : الذباب والخبيه وكل ما يصاد من الطير والموام وحشرات الأرض ، وجرش : مخلاف باليمن .

(٢) طفلة البنان : رخصة البنان أى ناعمتة . بفتح الطاء واللام وسكون الفاء ..

(٣) يطل : أى يهدى ..

والناس نيا م تدخلوا الجنة بسلام " ... وفي أقوال أصحابه رضوان الله عليهم ... من ذلك قول عبد الله بن عباس في وصف أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم : " رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تالياً وعن المنكر ناهياً وبذنبه عارفاً ومن الله لاخائفاً وعن الشبهات زاجراً وبالمعروف آمراً ، وبالليل قائماً وبالنهار صائماً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً ، وسادهم زهداً وعفافاً " ....

وإذا كان سجع الكهان قد اختفى بمجيء الإسلام ، فقد ظهر نوع آخر من السجع أغرق منه في الكذب والضلال ، وأكثر منه اضطراباً في النظم وسماحة التركيب ، ألا وهو سجع مدعى النبوة الذين استخفوا قومهم فأطاعوهم .... من ذلك قوله مسليمة الكذاب : " يا ضفدع نقى ، كم تنفين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين ..." ، قوله : " سجع اسم ربكم الأعلى الذي يسر على الجبل ، فأخرج منها نسمة تسعى ، من بين أحشاء ومعى ، فعنهم من يموت ويُدْس في الثرى ، ومنهم من يعيش ويقى ، إلى أجل ومتى والله يعلم السر وأخفى ، ولا تخفي عليه الآخرة والأولى ..." <sup>(١)</sup> ، ... وإذا ما استثنينا هذا النوع وهو سجع مدعى النبوة ، بجد أن أسلوب السجع ظلل قوياً مطبيعاً وبخاصة في الوصايا والحكم والوعظ والأحوبة والتواتر وغير ذلك من فنون القول حتى أواسط القرن الرابع الهجري حيث امتنزح العجم بالعرب ، ودب الفساد في اللغة ، وعدل القوم عن الأسلوب الفطري المطبوع ، وتحولوا إلى الزخرف والزينة ، فكان الإسراف والإفراط ، وظهرت الصنعة والتتكلف ، ليس في السجع فقط ، بل في مختلف الفنون البلاغية ....

**آراء العلماء في أسلوب السجع** : ولا تفوتنا الإشارة بإيجاز إلى آراء العلماء في أسلوب السجع من حيث الإباحة والحظر ومن حيث جواز إطلاقه على مافي القرآن الكريم من فواصل وعدم الجواز فقد اختلفت آراء العلماء في ذلك ، فمنهم من عاب أسلوب السجع وعده من الأساليب التي تقوم أكثر ما تقوم على الصنعة وعلى التتكلف

---

(١) انظر نهاية الإيجاز ص ٣٤ وثمار القلوب ص ١١٥ .

والتعسف وهم يستدللون على وجهة نظرهم هذه بما آل إليه حال البيان العربي من تدهور وانحطاط في العصور التي شاع فيها استعمال السجع ... ومنهم من استحسن ودافع عنه محتاجاً بأنه لو كان مذموماً لما ورد في النظم الكريم ، حيث لا تكاد سورة تخلو منه ، بل إن من سوره ما جاءت جميعها مسجوعة كسوره القمر وسوره الرحمن وغيرهما ... ومنهم من أجاز إطلاق السجع على ما في القرآن الكريم .... ومنهم من منع وأطلق عليه اسم "الفواصل" ....

وخلاصة الرأي في هذا الخلاف ، أن منع إطلاق مصطلح السجع على ما في القرآن الكريم ، إنما هو لرعاية الأدب فقط ، لأن السجع في الأصل هديل الحمام ونحوه ، وأنه قد شاع إطلاق هذا المصطلح على أقوال الكهان ولم يرد نص شرعى صريح يمنع من إطلاق السجع على ما في القرآن الكريم ، أما نهى النبي عن السجع فهو مقيد بسجع الكهان ، وليس مطلقاً ، وقد مر بنا سبب هذا النهي ....

والسجع كغيره من ألوان البلاغة إنما يستحسن ويستجاد إذا صدر عن طبع وجاء عفواً وقد إليه المعنى ، أما إذا تكلف وتصنع ، وصار هو الذي يقود إلى المعنى ، فإنه يستصبح ويعاب ويرد على قائله .... يقول عبد القاهر : "ولن تجد أئمَّن طائراً ولا أحسن أولاً وآخراً ، وأهدى إلى الإحسان وأجلب إلى الاستحسان ، من أن ترسل المعانى على سجيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس منها إلا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزيّنها ... فاما أن تضع في نفسك أنك لابد من أن تجنّس أو تسجع بلفظين مخصوصين ، فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ....<sup>(١)</sup> .

بلاغة السجع : وترجع بلاغة السجع إلى أنه يؤثر في النفوستأثير السحر ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم ، لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها

(١) أسرار البلاغة ص ٢٣ .

الأذن وتهش لها النفس ، فتقبل على السماع من غير أن يدخلها ملل أو يخالطها فتور ، فيتمكن المعنى في الأذهان ، ويقر في الأفكار ، ويعز لدى العقول <sup>(١)</sup> .. كما أن من مزايا السجع في النظم الكريم شدة ارتباط الفاصلة وتماسكها بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع أخذارا ، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها وبحيث لو حذفت لاحتل معنى الكلام ، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختتم بها انسياقا مع الطبع والندوق السليم .. انظر إلى قوله تعالى : ﴿أَفِرَأَيْتَ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزِ﴾ <sup>(٢)</sup> ، تجد أن كلمة ﴿ضِيزِ﴾ ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزي <sup>(٣)</sup> ، الواقعه في الفاصلة تماسك مع المعنى وتنحدر على الأسماع وتنساق مع السياق انسياقا تماما ، وهي لفظة غريبة ولكن غرائبها من أشد الأشياء ملائمة لغراية تلك القسمة التي أنكرها النظم الكريم <sup>(٤)</sup> ، وذلك هو شأن الفوائل في جميع آى الذكر الحكيم ..



(١) انظر الصيغ البديعي ٤٩٧ .

(٢) سورة النجم آية ٢٢ .

(٣) انظر إعجاز القرآن للرافعى ص ٢٦١

## رد الأعجاز على الصدور

ورد العجز على الصدر أو الأعجاز على الصدور ، من الفنون البدعية التي فطرن لها القدماء ، فقد جعله ابن المعتز أحد الفنون الخمسة الرئيسية للبدع وسماه : " رد أعجاز الكلام على ما تقدمها " وأشار إلى أنه يرد في الشر كما يرد في الشعر .... وقد عرفه المتأخرون من البلاغيين بأنه : " أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتاجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها ، هذا في الشر ، أما في الشعر فهو أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو في حشوه أو في آخره أو في صدر المصراع الثاني .<sup>(١)</sup> ..

واللقطان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى ، والمتاجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى - كما مر بنا في الجناس - وأما الملحقان بهما أي بالتجانسين فهما اللقطان اللذان يجمعهما الاشتقاء أو شبهه .... من ذلك قوله تعالى : ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله عز وجل : ﴿فَقَلْتَ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكَ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا﴾<sup>(٣)</sup> ، .... ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾<sup>(٤)</sup> .... ﴿قَالَ إِنِّي لَعْلَكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَحَنْكَ إِنِّي كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> ... ومن أقوالهم :

(١) انظر بغية الإيضاح . ٨٧/٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٣) سورة نوح آية ١٠ .

(٤) سورة آل عمران آية ٨ .

(٥) سورة الشوراء آية ١٦٨ .

(٦) سورة الأنبياء آية ٨٧ .

"القتل أفنى للقتل" ... "الحيلة ترك الحيلة" ... "سائل اللثيم يرجع ودمعه سائل" ...  
ومنه شعراً قول الأقيشر الأسدى :

سرريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندى بسرريع

وقول الشافعى رضى الله عنه :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

وقول القاضى الأرجانى :

دعانى من ملامكما سفاهـا فداعى الشوق قيلكما دعاني

وقول امرئ القيس :

إذا المـراء لم يخـزن عـلـيـه لـسانـه فـليـس عـلـى شـئ سـواه بـخـزانـ

وقول أبي الأسود الدؤلى :

وـما كـل ذـى لـب بـؤـتـيك نـصـحـه وـلا كـل مـؤـت نـصـحـه بـلـبـيـبـ

وقول الآخر :

إذا لم تستطـع شـيـنا فـدعـه وجـاؤـه إـلـى ما تـسـتـطـعـ

وقول الحمامى :

قـنـتـعـ مـنـ شـيـمـ عـرـارـ نـجـدـ فـمـا بـعـدـ العـشـيـةـ مـنـ عـرـارـ<sup>(١)</sup>

وقول جرير :

زـعـ الفـرـزـدقـ أـنـ سـيـقـتـلـ مـرـبـعـ أـبـشـرـ بـطـولـ سـلـامـةـ يـاـ مـرـبـعـ

(١) شيم : مصدر شم . والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الرائحة ، أو الترمس البرى .

قول الحريري :

مشغوف بآيات المشانى

## ومفتون بربات المشانى<sup>(١)</sup>

قول الآخر :

فَدْعُ الْوَعِيدِ فَمَا وَعَيْدُكَ ضَائِرٌ

أطنين أجنحة الذباب يضر

وقول أبي تمام :

وقد كانت البيض القواصب في الوعي

**بواتر فھی الآن من بعده بـ**<sup>(٤)</sup>

قول الآخر :

ناظراه فیما جنی ناظراه

## او دعاني امت بما أو دعاني

## قول القاضي الأرجاني :

أَمْلَتْهُمْ ثُمَّ تَأْمَلُهُمْ

فلا ح لی أ ن لیس فیهم فلا ح<sup>(٣)</sup>

هذا ولا يخفى عليك معرفة نوع اللفظين فى الشواهد المذكورة ، أهم ما مكرر ان  
أم متحانسان أم ملحقان ... كما لا يخفى عليك معرفة موضع اللفظ الأول المردود عليه  
فى الشواهد الشعرية فهو فى أول المصراع الأول أم فى حشوه أم فى آخره أم فسى أول  
المصراع الثاني ....

ما الفرق بين الإرصاد وبين رد العجز على الصدر؟ :

مر بنا أن الإرصاد هو أن تجعل قبلا العجز ما يدل عليه إذا عرف الروى ، كقوله

تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الثاني : الأولى آيات القرآن والثانية أوتار المزامير :

(٢) بواتر جمع باتر وهو القاطع ، وبتر بضم الباء وسكون التاء جمع أبتر وهو المقطوع .

(٣) أملت يفتح اليم المشددة : رجوت الخير وتأملت : نظرت في، أحوالهم .

وقول زهير بن أبي سلمى :

سُئِّمَتْ تِكَالِيفُ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا - لَا أَبَالَكَ - يَسَّأَمْ

وقول عدى بن الرقاع :

تَرْجِي أَغْنَ كَأْنَ إِبْرَةَ رُوقَه قَلْمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاهَةِ مَدَادَهَا

فقد دل قوله عز وجل : ﴿ لِيظُلْمُهُمْ ﴾ على أن ختام الآية الكريمة :

﴿ يَظْلَمُونَ ﴾ ، ودل قول زهير : " سُئِّمَتْ " على أن عجز بيت : " يَسَّأَمْ " ودل قول عدى : " قَلْمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاهَةِ " على أن عجز البيت : " مَدَادَهَا " ....

وعندما نتأمل الشواهد في رد الأعجاز على الصدور ، نجد أن الصدر المردود عليه قد دل على العجز ، فما الفرق إذا بينه وبين الإرصاد ؟ .... الفرق بينهما هو أن رد الأعجاز على الصدور قد قيد بكون اللفظين إما مكرريين أو متجانسين أو ملحقيين بالمتجانسين ، أما الإرصاد فلم يقييد بذلك ، فالدلال على العجز في الإرصاد قد يكون هو نفس العجز كما في الآية الكريمة وبيت زهير فيكون من التكرار وقد يكون بمحاسنه أو ملحقا بالمتجانس ، وقد يكون غير ذلك كما في بيت عدى .... وبهذا نستطيع أن نقول: إن الإرصاد أعم من رد الأعجاز على الصدور ....

بلغة رد الأعجاز على الصدور : وترجع بلاغة هذا الفن إلى أمريين : أو هما :

دلالته على تأكيد المعاني وتقريرها، وذلك أن اللفظ عندما يكرر أو يذكر بمحاسنه للآخر يتتأكد معناه في ذهن السامع ويتحقق .... انظر إلى قول القائل :

عَمِيدُ بَنِي سَلِيمٍ أَقْصَدَتْهُ سَهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سَهَام

تجد أن تكرار السهام قد قرر المعنى وأكده المأساة، فهذا بطل شجاع ظل طوال حياته يقاتل ولا يحمل سوى سهام الموت التي يوجهها إلى أعدائه ، ثم إن تلك السهام لم

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٠ .

تغفل عنه فقد قصدهه ولم تبق عليه ، فاعجب للموت ينزل به الموت والرجل يصاب بمثل سهمه ...

وتأمل قول الآخر :

وَمَا كُلَّ ذِي لَبْ بِهُؤُتِيكَ نَصِحَّهُ      وَلَا كُلَّ مُؤْتَ نَصِحَّهُ بِلَبِيبٍ

تجده يحذر من قبول نصيحة الناصح دون ترو في قبولها وتأن في أخذها ، ثم يؤكّد ذلك بالمحاسبة بين : لب ولبيب<sup>(١)</sup> فأنت أمام رجلين أحدهما ذو لب بخييل بنصيحته ، والآخر جاهل يؤتي النصيحة عن جهل وحمافة ، وإذا كان الأمر كذلك فعليك بالتزوي والتأنى في قبول النصيحة ...

ثانيهما : دلالة أول الكلام على آخره ، وارتباط آخره بأوله ، وتلك هي البلاغة - كما أوضحتنا في حديثنا عن الإرصاد - فقد قال الخبراء بفن القول : البلاغة أن يكون أول كلامك دالا على آخره ، وآخره مرتبطا بأوله ... وقد كان صناع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم على آخره ، وارتباط آخره بأوله كما كان النقاد يفظون للكلام الجيد المتماسك ويدركون آخره عند سماعهم لأوله<sup>(٢)</sup> ...



---

(١) بين اللفظين جناس الاشتقاء .

(٢) انظر الإرصاد ص ١٦٠ من هذا القسم .

## لزوم ما لا يلزم

لزوم ما لا يلزم - كما يقول ابن الأثير - من أشـق هذه الصناعة أـى : صناعة الكلام مذهبـا وأبعـدها مسلـكا وذـلك لأن مؤـلفه يلتـزم فيه بما لا يلزمـه .. وقد عـده ابن المـعـتر في كتابـه البـديع من مـحـاسـن الـكـلام وـسـاهـ : إـعنـاتـ الشـاعـرـ نـفـسـهـ فـيـ القـوـافـيـ وـتـكـلـفـهـ مـنـ ذـلـكـ ماـ لـيـسـ لـهـ .. وـقـدـ عـرـفـهـ الـخـطـيـبـ الـقـزوـينـيـ بـقـولـهـ : "ـهـوـ أـنـ يـجـئـ قـبـلـ حـرـفـ الـروـيـ أـوـ ماـ فـيـ مـعـناـهـ مـنـ الفـاـصـلـةـ مـاـ لـيـسـ بـلـازـمـ فـيـ السـجـعـ"ـ<sup>(١)</sup>ـ فـالـشـاعـرـ أـوـ النـاثـرـ قـدـ يـلتـزمـ فـيـ كـلـامـهـ بـحـرـفـ أـوـ أـكـثـرـ قـبـلـ حـرـفـ الـروـيـ ،ـ وـهـذـاـ يـعـدـ حـسـنـاـ إـذـاـ صـدـرـ عـنـ طـبـعـ وـجـاءـ عـفـواـ إـذـاـ تـكـلـفـ وـتـصـبـعـ كـانـ قـبـيـحاـ كـمـاـ هـوـ الشـأـنـ فـيـ سـائـرـ أـلـوـانـ الـبـديـعـ ..ـ

وـمـنـ شـوـاهـدـهـ فـيـ النـظـمـ الـكـرـيمـ قـولـهـ تـعـالـىـ :ـ<sup>(٢)</sup>ـ فـأـمـاـ الـيـتـيمـ فـلـاـ تـقـهـرـ وـأـمـاـ السـائـلـ فـلـاـ تـهـرـ ..ـ<sup>(٣)</sup>ـ ،ـ وـقـولـهـ تـعـالـىـ :ـ<sup>(٤)</sup>ـ وـالـطـورـ وـكـتـابـ مـسـطـورـ ..ـ<sup>(٥)</sup>ـ ،ـ وـقـولـهـ تـعـالـىـ :ـ<sup>(٦)</sup>ـ وـالـتـفـتـ السـاقـ بـالـسـاقـ إـلـىـ رـبـكـ يـوـمـذـالـسـاقـ ..ـ<sup>(٧)</sup>ـ ،ـ وـقـولـهـ :ـ<sup>(٨)</sup>ـ إـنـ الـذـيـنـ اـتـقـواـ إـذـاـ مـسـهـمـ طـائـفـ مـنـ الشـيـطـانـ تـذـكـرـوـاـ فـإـذـاـ هـمـ مـبـصـرـوـنـ .ـ وـإـخـوـانـهـ يـمـدـونـهـ فـيـ الـفـيـ ثـمـ لـاـ يـقـصـرـوـنـ ..ـ<sup>(٩)</sup>ـ ،ـ فـقـدـ التـزـمـ قـبـلـ حـرـفـ الـروـيـ فـيـ تـلـكـ الـآـيـاتـ بـحـرـفـ فـيـ بـعـضـهـاـ وـبـأـكـثـرـ فـيـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ ،ـ وـلـاـ يـخـفـيـ أـنـ هـذـاـ غـيـرـ مـقـصـودـ فـيـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ ،ـ وـقـدـ اـقـضـاهـ الـمـقـامـ وـاستـدـعـتـهـ الـمـنـاسـبـ وـجـاءـ تـابـعـاـ لـلـمـعـنـىـ ،ـ وـلـيـسـ الـمـعـنـىـ تـابـعـاـ لـهـ ..ـ وـمـنـ أـقـوـاـهـمـ قـولـ بـدـيـعـ الـزـمـانـ الـهـمـذـانـيـ :ـ "ـهـلـمـواـ إـلـىـ كـلـامـهـ فـهـوـ بـعـدـ إـلـاـشـارـاتـ قـلـيلـ ..ـ

(١) انظر الإيضاح ٤ / ١٠٣ .

(٢) سورة الضحى الآية ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة الطور الآية ١ ، ٢ .

(٤) سورة القيامة الآية ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٠٢ .

الاستعارات ، قريب العبارات ... "وقول الحريري" ملت في ريق زماني الذي غير ، إلى  
محاورة أهل الوير ، لأخذ أخذ نفوسهم الأبية وألسنتهم العربية ..." ، .. ومنه شعرا  
قول طرفة بن العبد :

ألم تر أن المال يكسب أهله فضوها إذا لم يعط منه نواسبه  
أرى كل مال لا محالة ذاهبها وأفضلها يبقى وإن هان كاسبه  
وقول الفرزدق :

منع الحياة من الرجال ونفعها  
حدق تقلبها النساء مراض  
وكان أفسدة الرجال إذا رأوا  
حدق النساء لبلها أغراض  
وقول الآخر :

سأشكر عمرا إن تراخت مني  
أيادي لم تقن وإن هي جلت  
فتى غير محظوظ الغنى عن صديقه  
ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت  
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها  
وقول كثير عزة :

خليلى هذا ربى عزة فاعلا  
قلو صيكما ثم احللا حيث حلت  
وما كنت أدرى قبل عزة ما اهوى  
ولا موجعات الحزن حتى تولت

وقول ابن الرومى :  
يقولون فى البستان للعين لذة  
وفي الخمر والماء الذى غير آسن  
إذا شئت أن تلقى المحسن كلها  
ففى وجه من تهوى جميع المحسن

وقول أبي تمام :  
خدم العلا فخدمته وهى التى لا تخدم الأقوام مالم تخدم

فإذا ارتفى فى قلة من سؤدد      قالت له الأخرى : بلغت تقدم  
وقول ابن أذينة :

خلقت هواك كما خلقت هوى لها      إن التي زعمت فرؤادك ملها  
بلياقـة فـأدقـهـا وأجلـهـا      بـيـضـاءـ بـأـكـرـهـاـ النـعـيمـ فـصـاغـهـاـ  
هـذـاـ وـالـتـزـامـ مـاـ لـاـ يـلـزـمـ لـدـىـ الـمـتـقـدـمـينـ كـمـاـ يـبـدوـ مـنـ شـعـرـهـمـ يـأـتـىـ عـفـوـ الـخـاطـرـ  
غـيرـ مـقـصـودـ وـلـاـ مـتـعـمـدـ ،ـ وـلـذـاـ لـاـ تـرـىـ عـلـيـهـ أـثـرـاـ لـلـتـكـلـفـ أوـ الصـنـعـ ...ـ أـمـاـ الـمـتأـخـرـونـ فـقـدـ  
توـسـعـواـ فـيـهـ وـأـكـثـرـواـ مـنـهـ وـمـنـهـمـ مـنـ تـعـمـدـهـ وـقـصـدـ إـلـيـهـ قـصـداـ ،ـ وـكـأـنـماـ يـرـيدـ أـنـ يـدـلـ عـلـىـ  
مـقـدـرـتـهـ فـيـ النـظـمـ وـسـعـةـ إـحـاطـتـهـ بـعـفـرـدـاتـ اللـغـةـ ...ـ وـمـنـ هـؤـلـاءـ أـبـوـ العـلـاءـ الـعـرـىـ ،ـ فـلـهـ  
ديـوـانـ يـسـمـيـ بالـلـزـومـيـاتـ أـتـىـ فـيـهـ بـالـجـيدـ الـذـيـ يـحـمـدـ وـبـالـرـدـئـ الـذـيـ يـذـمـ ...ـ

وـمـنـ جـيـدـهـ قـوـلـهـ :

إـذـاـ أـغـنـتـ فـقـيرـاـ أـرـهـقـهـ      أـرـىـ الدـنـيـاـ وـمـاـ وـصـفـتـ بـبـرـ  
وـإـنـ رـجـيـتـ لـخـيـرـ عـوـقـتـهـ      إـذـاـ خـشـيـتـ لـشـرـ عـجـلـتـهـ  
وـنـفـسـ الـمـرـءـ صـيـداـ أـعـلـقـتـهـ      حـيـاةـ كـالـحـبـالـةـ ذـاتـ مـكـرـ  
وـإـنـ هـىـ سـورـتـهـ وـنـطـقـتـهـ      فـلـاـ يـخـدـعـ بـجـيـلـتـهـ أـرـيـبـ  
وـصـدـتـ فـاهـ عـمـاـ ذـوقـتـهـ      أـذـاقـتـهـ شـهـيـاـ مـنـ جـنـاهـاـ

وـكـمـاـ يـكـونـ التـزـامـ مـاـ لـاـ يـلـزـمـ فـيـ الـحـرـفـ يـكـونـ فـيـ الـحـرـكـةـ وـحـدـهـ ،ـ كـمـاـ فـيـ  
قول ابن الرومي :

لـمـ تـؤـذـنـ الدـنـيـاـ بـهـ مـنـ صـرـوفـهـاـ      يـكـونـ بـكـاءـ الطـفـلـ سـاعـةـ يـوـلـدـ  
وـإـلاـ فـمـاـ يـبـكيـهـ مـنـهـاـ وـإـنـهـاـ      لـأـوـسـعـ مـاـ كـانـ فـيـهـ وـأـرـغـدـ

وَمَا تَجُدُّ إِلَيْهِ أَنْ هَنَالِكَ فَرْقًا بَيْنَ لَزُومٍ مَا يُلْزَمُ وَلَزُومٍ مَا لَا يُلْزَمُ فِي  
الْقَوْافِيِّ ... فَمِنْ بَابِ لَزُومٍ مَا يُلْزَمُ قَوْلُ الْقَائلِ :  
فِي شَعَابِ النَّسِيَانِ أَفْرَدٌ وَحْدَى      فَعَبَرَتِ الْأَيَامُ حِيَا كَمِيتَ  
أَجَدَ الْغَدَرَ وَالْعَقُوقَ مِنَ النَّا      سَوْلَقِي الظَّلَامِ فِي عَقْرِبِيَّتِي

فقد التزم الشاعر هنا حرف الياء الساكنة قبل القافية "الباء" والياء هنا ردد يجب عليه الالتزام به في جميع أبيات القصيدة فتركه يعد عيبا من عيوب القافية .... أما لزوم ما لا يلزم فلا يعد تركه عيبا ، بل يجوز للشاعر أن يتلزم به وأن يعدل عنه ...

وخلالصة القول أن لزوم ما لا يلزم يعد من محاسن الكلام إذا وفق فيه الأديب فجاء عفوا بلا تكلف ولا تعلم ، وكان المعنى هو الذي يقود إليه ويستدعيه ، وليس هو الذي يقود إلى المعنى ، وإلا عد من مساوى الكلام وقبحه لا من محاسنه ...



## السرقات الشعرية

أول من أشار إلى موضوع السرقات الشعرية هو الجاحظ وذلك في معرض حديثه عن التأثر والتأثير بين الشعراء ، إذ يقول : " لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيبة تام ، وفي معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إنه هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعنه بأسره ، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى و يجعل نفسه شريكا فيه ، كالمعني الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعراض أشعارهم ، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى فقط وقال : إنه خطأ على بالي من غير سباع كما خطأ على بالي الأول <sup>(١)</sup> ...

ثم كثر الحديث بعد ذلك عن سرقات الشعراء ، وألفت فيها كتب ، فرأينا " سرقات الشعراء " لعبد الله بن المعتز ، و " سرقات أبي تمام " لأحمد بن أبي طاهر ، وأحمد ابن عمار ، و " سرقات البحتري من أبي تمام " لأبي الضياء بشر بن تميم ، كما كتب مهلهل بن يومت في " سرقات أبي نواس " ...

وقد تعرض البلاغيون لهذا الموضوع ، وتناولوه بالدراسة والبحث ، فقرروا أن اتفاق الشاعرين في الغرض العام كالوصف بالشجاعة والشجاعة والشجاعة والشجاعة والشجاعة والشجاعة ، لا يعد سرقة ، لأن هذه أمور متقررة في النفوس ، ومصورة أمام العقول ، يشتراك فيها العامة والخاصة ... أما اتفاقهما في وجه الدلالة على الغرض من تشبيه أو مجاز أو كناية أو حقيقة ، فإن كان مما يشتراك الناس في معرفته لاستقراره في العقول وجريان العادة و العرف به ، كتشبيه الحسناء بالبدر والشمس ، والجود بالغيث والبحر ، والبليد

---

(١) الحيوان ٢ - ١١٥ .

البطئ الفهم بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، واستعارة الأسد للشجاع ، والكتابية عن الكرم بكثرة الرماد وهزال الفضيل ... وكوصف الحواد بالتهلل عند ورود العفة ، والارتفاع لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشر ، ووصف الشجاع حال الحرب بالابتسام وسكنون الجوارح ووضوح الوجه بعدم مبالاته بعده ..... نحو قول القائل :

كأن دنانيرا على قسماتهم وإن كان قد شف الوجه لقاء

فلا يعد اتفاقهما عندئذ سرقة ... وإن كان وجه الدلالة على الغرض مما لا ينال إلا بفكر وروية ، ولا يصل إليه كل أحد ، لكونه في أصله خاصياً غريباً ، كقول عدي بن الرفاع :

ترجي أغرن كأن إبرة روقه قلم أصحاب من السدوة مدادها

وقول أبي تمام في مدح أحمد بن المعتصم :  
إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنت في ذكاء إيس

فلما انتقد بأن الأمير أرفع وأعز من هؤلاء ، قال معذراً :  
لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس  
فالله قد ضرب الأقل نوره مثلاً من المشكاة والنبراس

أو لكونه في أصله عامياً مبتدلاً وتصرف فيه بما يندرج من العامة إلى الخاصة ،  
كقول علي بن الجهم :

عشية حياني بسورد كأنه خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وقول المتنبي :  
لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجهه ليس فيه حياء

فتتشبيه الخد بالورد أو الورد بالخد تشبيه عامي مبتذل ، وكذا تشبيه الوجه بالشمس ولكن الشاعرين تصرفوا فيه بما أخرجه عن الابتذال حيث جعل على الخدود مضافا بعضها إلى بعض ، وجعل المتبني للشمس وجهها قد انتزع منه الحياة ... فمثل هذا هو الذي تقع فيه السرقة ، وإن اتفق فيه الشاعران يقال إن أحدهما قد سطا على الآخر وسرق منه وانتحل قوله ، أو أغار عليه ومسخ ، أو ألم به وسلخ إلى آخر ما ذكره البلاغيون في وصف السرقة وتعداد أقسامها ...

أقسام السرقة : جعل البلاغيون السرقة قسمين ، سرقة ظاهرة ، وسرقة غير ظاهرة ، فالسرقة الظاهرة أنواع منها :

١ - النسخ : ويقال له أيضا الاتتحال ، وهوأخذ المعنى واللفظ معا أو أخذ المعنى ومعظم اللفظ من غير تغيير لنظمه ، وهو مذموم لأن سرقة محضة ، من ذلك ما روى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنسده :

إذا أنت لم تتصف أخاك وجده على طرف الهجران إن كان يعقل  
ويركب حد السيف من أن تصيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل<sup>(١)</sup>

ثم دخل معن بن أوس المرنى فأنسده قصيده التي مطلعها :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل على أينما تعلدو المنية أول حتى أتى عليها وفيها بيتا عبد الله فأقبل معاوية على عبد الله وقال له ، ألم تخبرني أنهما لك ؟ ، فقال : المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو أخي من الرضاعة وأنا أحق بشعره .... وروى لأوس ولزهير هذا البيت :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حلينا أو أصابك جاهم

(١) الضيم : الظلم . ومزحل بفتح الميم والراء وسكون الزاي : مبعد

وروى للفرزدق :

أتعدل أحساباً لثاماً حاتهما  
بأحسابنا إنى إلى الله راجع

وبلجirir :

أتعدل أحساباً كراماً حاتهما  
بأحسابكم إنى إلى الله راجع

وروى للأبيرد اليربوعي :

فتي يشتري حسن الثناء بماله  
إذا السنة الشهباء أعزها القطر<sup>(١)</sup>

وللأبي نواس :

فتي يشتري حسن الثناء بماله  
ويعلم أن الدائرات تدور

وروى لأحد المتقدمين مدح معبداً :

أجاد طويّس والسرّيحيُّ بعده  
وما قصبات السبق إلا لمعبده

وللأبي تمام :

محاسن أصناف المغرين جمة  
وما قصبات السبق إلا لمعبده

وكقول أمرئ القيس :

وقوفاً بها صحبى على مطهيم  
يقولون : لا تهلك أنسى وتجمل

وقول طرفة :

وقوفاً بها صحبى على مطهيم  
يقولون : لا تهلك أنسى وتجلد

وكقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدهم  
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وقول الفرزدق :

وما الناس بالناس الذين عهدهم  
ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

(١) السنة الشهباء : المجدية . والقطر : المطر .

وَكَقُولْ حَسَانْ بْنْ ثَابَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَدْحَ آلِ حَفْنَةِ:  
بِيَضِ الْوَجْهِ كَرِيمَةُ أَحْسَابِهِمْ شَمِ الْأَنُوفُ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
وَقُولُ بَعْضِهِمْ فِي الْهَجَاءِ :

سَوْدِ الْوَجْهِ لَثِيمَةُ أَحْسَابِهِمْ فَطَسِ الْأَنُوفُ مِنَ الطَّرَازِ الْآخِرِ  
٢ - الإِغْارَةُ أَوِ الْمَسْخُ : وَهُوَ أَخْذُ الْمَعْنَى وَاللَّفْظُ مَعًا مَعَ تَغْيِيرِ النَّظَمِ أَوْ أَخْذُ الْمَعْنَى  
وَبَعْضُ الْلَّفْظِ ... إِنْ كَانَ الثَّانِي "الْمَأْخُوذُ" أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ "الْمَأْخُوذُ مِنْهُ" لَا يَحْتَصِصُهُ  
بِحَسْنِ النَّظَمِ وَقُوَّةِ السُّبْكِ أَوِ الْإِخْتَصَارِ وَالْإِيَاضَاحِ أَوْ زِيادةِ الْمَعْنَى فَهُوَ حَسَنٌ مَقْبُولٌ ....  
مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَارَ :

مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ لَمْ يَظْفِرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالْطَّيَّاتِ الْفَاتِكِ الْلَّهِجَّ  
وَقُولُ سَلْمَ الْخَاسِرِ :

مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ مَاتَ غَمًا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسِّورِ  
فَالْمَعْنَى فِي الْبَيْتَيْنِ وَاحِدٌ ، وَبَيْتُ سَلْمٍ أَجْودُ سُبْكًا وَأَحْصَرَ لَفْظًا وَقَدْ شَهَدَ  
بَشَارُ لَتَّلَمِيذَهُ "سَلْمٌ" بِهَذَا فَقَالَ : "ذَهَبَ وَاللَّهُ يَبْتَئِي فَهُوَ - أَى بَيْتُ سَلْمٍ - أَحْفَ مِنْهُ  
وَأَعْذَبُ ....".

وَإِنْ كَانَ الثَّانِي "الْمَأْخُوذُ" دُونَ الْأَوَّلِ "الْمَأْخُوذُ مِنْهُ" فِي الْبَلَاغَةِ فَهُوَ مَذْمُومٌ  
مَرْدُودٌ ، كَقُولُ أَبِي تَمَّامَ :

هَيَّهَاتٌ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبِخِيلٍ  
وَقُولُ أَبِي الطَّيْبِ :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاوَهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخِيلًا  
فَمَصْرَاعُ بَيْتِ أَبِي تَمَّامَ أَحْسَنُ سُبْكًا مِنْ مَصْرَاعِ بَيْتِ أَبِي الطَّيْبِ ، لَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ  
يَقُولَ : كَانَ الزَّمَانُ بِهِ بِخِيلًا ، فَعَدَلَ عَنِ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ لِلْوَزْنِ ... وَإِنْ كَانَ

الثاني مثل الأول ، فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثاني أبعد عن المذمة ، والفضل لصاحب الأول ، من ذلك قول بشار :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا  
وقول الآخر :

وإنى امرؤ أحببتكم لكرام سمعت بها والأذن كالعين تعشق  
وكقول أبي تمام :  
لو حار مرشد المية لم يجد إلا الفراق على النفوس دليلا  
وقول أبي الطيب :

فیت المتبی أجدود سبکا وأحسن وصفا ، وكأنه قد اقتبسه من قوله تعالى :  
هلکنا بما فعل السفهاء منا .. (۲).

(١) تصد : يعني تصرف وفاعله ضمير مستتر يعود على تغلب ، والخطاب في : تراك للخليفة المتوكلا .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٥ .

وَكَقُولُ الْقَائِلِ :

وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْفَنِيِّ إِذَا كَانَتِ الْعَلَيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وَقُولُ أَبِي تَمَامَ بَعْدَهُ :

يَصُدُّ عَنِ الدِّينِ إِذَا عَنْ سَوْدَدِ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زَى عَذْرَاءِ نَاهِدِ

فِي بَيْتِ أَبِي تَمَامَ أَخْصَرَ وَأَبْلَغَ ، لَأَنَّ الصَّدَّ عَنِ الدِّينِ أَبْلَغَ مِنْ نَفْيِ النَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَلَأَنَّ

قُولُهُ : " وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زَى عَذْرَاءِ نَاهِدِ " زِيَادَةُ حَسْنَةٍ وَتَخْيِيلٌ بَدِيعٌ ...

وَكَقُولُ أَبِي تَمَامَ :

جَذْلَانٌ مِنْ ظَفَرٍ حَرَانٌ أَنْ رَجَعْتَ مُخْضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارَهُ بَدْمِ

أَخْذَهُ الْبَحْرَى فَأَحْسَنَ سِبَكَهُ فَقَالَ :

إِذَا احْتَرَبْتَ يَوْمًا فَفَعَلْتَ دَمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ الْقَرْبَى فَفَاضَتْ دَمَوْعُهَا

وَكَقُولُ أَبِي تَمَامَ :

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يَعْجَلُ فَخَيْرٌ وَإِنْ يَرْثِ فَلَلْرِيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنْفَعٌ

وَقُولُ الْمَتَنْبِيِّ :

وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْءُ سِبَكِ عَنِي أَسْرَعُ السَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ<sup>(۱)</sup>

فِي بَيْتِ أَبِي الطَّيْبِ أَبْلَغَ لَا شَتْمَالَهُ عَلَى زِيَادَةِ بَيَانٍ ، إِذْ عَلَلَهُ بِكُونِ السَّحَابِ الْجَهَامَ أَسْرَعَ مَسِيرًا ، وَأَنْ أَبْطَأَ السَّحْبَ أَنْقَلَهَا ، فَكَانَهُ دَعْوَى بَدْلِيهَا بِخَلْافِ بَيْتِ أَبِي تَمَامَ فَقَدْ خَلَا مِنْ ذَلِكَ .

ثَانِيَا : أَنْ يَكُونَ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ فِي الْبَلَاغَةِ وَجُودَةِ السِّبَكِ ..

---

(۱) الْجَهَامُ : بِفتحِ الْجَمِيمِ : السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءُ فِيهِ .

كقول بعض الأعراب :

وريها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنب

وقول بشار :

إذا أديت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

فبيت الأعرابي أبلغ وأحود : لأن بشارا جعل الغلبة للمسك لا لرائحتها ، كما أن

إدناء البصل منها مما يقع فעה ، ولا يحسن ذكره ... وقول الخنساء :

وما بلغ المهدون للناس مدحه وإن أطباوا إلا وما فيك أفضل

فهو أحوج نظما من قول أشجع :

وما ترك المداح فيك مقالة ولا قال - إلا دون ما فيك - قائل

لما في مصraعه الثاني من التعقيد اللغظي ....

ثالثها : أن يكون الثاني مثل الأول في البلاغة وجودة السبك وعندئذ يكون الفضل  
لصاحب الأول .... كقول الأعرابي :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرجبهم ذراعا

وقول أشجع :

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفة أوسع

فالبيتان متساويان في البلاغة وجودة النظم .... وقيل بيت الأعرابي أجوز لدلالة  
على السخاء بطريق الكناية "أرجبهم ذراعا" ، والكناية أبلغ من الحقيقة .... وقول بكر  
بن النطاح :

كأنك عند الک فى حومة الوغى تفر من الصف الذى من ورائكم

وقول أبي الطيب المتنى :

فكانه والطعن من قدامه متخوف من خلفه أن يطعنه  
فالبيتان سواء في المعنى والنظم .....  
وكتقول العتبى في رثاء ابن له :  
والصبر يحمد في المواطن كلها  
إلا عليك فإنه مذموم

وقول أبي تمام بعده :

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع  
فالبيتان سواء ، وقيل بيت أبي تمام أبلغ ، لأن في قوله : " لابس الصبر " استعارة  
بالكلنائية والاستعارة أبلغ من الحقيقة ..... .

السرقة غير الظاهرة : أما السرقة غير الظاهرة فهى مقبولة بجميع أنواعها لما فيها  
من حسن التصرف وخفاء الأخذ ، وكلما كان الأخذ أشد خفاء كانت أولى قبولا ،  
لأنها عندئذ تخرج من سبيل الأخذ والاتباع إلى حيز الاحتراع والابداع .... وهى عده  
أنواع منها :

١ - أن يتتشابه معنى الأول ومعنى الثاني ، دون نقل للمعنى إلى محل آخر ....  
كقول الطرامح :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغرض إلى كل امرئ غير طائل

وقول أبي الطيب :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لي بأنى كامل

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبعض الذى هو غير طائل الطرامح ، وشهادة ذم  
الناقص لأبي الطيب بالكمال ، كزيادة حب الطرامح لنفسه بسبب بعض غير الطائل  
له ... ومعرفة أن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى خفى غامض ، لا يعرفه إلا من مارس

الأشعار ، ولا يتبيّن إلا من أغرق وغاص في استخراج المعانى ... ومن ذلك قول أبي العلاء المعرى في ميراثه :

**وَمَا كَلْفَةُ الْبَدْرِ النَّيْرِ قَدِيمَةٌ  
وَلَكُنْهَا فِي وِجْهِهِ أَثْرُ اللَّطْمِ**<sup>(١)</sup>

وقول ابن القيساراني :

**أَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لِهِ الْبَدْرُ سَاجِدًا  
أَلْسْتُ تَرَى فِي وِجْهِهِ أَثْرُ التَّرْبِ**<sup>(٢)</sup>

فالشطر الثاني من هذا البيت يشبه الشطر الثاني من البيت الأول ، إذ كلاهما يشير إلى كلفة البدر ، ولكنها في الأول من أثر اللطم ، وفي الثاني من أثر السجود .... وأوضح من ذلك قول جرير :

**إِذَا مَا كُنْتَ مُلْتَمِسًا نَكَاحًا  
فَلَا تَعْدِلُ بِجَمْعِ بَنِي ضَرَار**  
**فَلَا يَنْعَكُ مِنْ أَرْبَ لَحَامَهُ  
سَوَاءٌ ذُو الْعَامَةِ وَالْخَمَارِ**

وقول أبي الطيب المتنبي :

**وَمَنْ فِي كَفَهِهِ مِنْهُمْ قَنَّاءٌ  
كَمْنٌ فِي كَفَهِهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ**

في بيت المتنبي يشبه بيت جرير الثاني ، ولكن الأخذ هنا واضح وليس خفيًا ، فال الأولى أن يكون من السرقة الظاهرة ...

٢ - النقل : وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله ، كما في قول البحترى :

**سُلُّبُوا وَأَشْرَقَ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ  
عُمْرَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْلِبُوا**

(١) الكلفة بضم الكاف وسكون اللام وفتح الفاء : حمرة يخالطها سواد ، يريد أن كلفة البدر من لطمته على من يرثيه لشدة حزنه عليه ...

(٢) أهوى الأولى : يعني أحب والثانية : يعني سقط في بينهما جناس تمام . والترب بضم التاء المشددة وسكون الراء : الزراب .

أخذه المتنبى ونقله إلى السيف فقال :  
يس النجع عليه وهو مجرد <sup>(١)</sup>  
عن غمده فكأنما هو محمد

وَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

رَعَتْهُ الْفِيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حَقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبَهُ

أَخْذَهُ الْبَحْرَى وَنَقْلَهُ مِنَ الْجَمْلِ إِلَى شِيخِيْنِ كَبِيرِيْنِ قَدْ هَرَمَا فَقَالَ :  
رَكَبا الْقَنَا مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَ الْقَنَا فِي عَسْكَرٍ مَتْحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ

٣ - أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بْنُو قَيْمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

وقول أبي نواس :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ أَنْ يَجْمِعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

فيبيت أبي نواس أشمل ، لأن العالم يشمل الإنس وغيرهم كالملائكة والجن  
وغيرهما ....

٤ - القلب : وهو أن يكون معنى الثاني نقىض معنى الأول ، سمى بالقلب لأن  
الشاعر يأخذ المعنى ويقلبه إلى نقىضه .... كما في قول أبي الشيص :

أَجَدَ الْمَلَامَةَ فِي هُواكَ لَذِيْذَةٍ جَبَا لَذِكْرَكَ فَلِيَلْمَنِي الْلَّسُومَ

أخذ أبو الطيب هذا المعنى وعكسه فقال :

أَحَبَهُ وَأَحَبَ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

---

(١) التنجع : الدم المائل إلى سواد .

فأبو الشيص جعل الملامة محبوبة لأنها تذكره بالحبيب ، والمتتبى أنكرها وكرهها ،  
لأنه لا يستطيع أن يحبه ويحب أعداءه، إذ الملامة لا تكون إلا من أعدائه .... وقول  
أبي تمام :

كريم متى أمدحه والوري معى وإذا مالته لته وحدى

أخذه ابن طاهر وقلبه فقال :

يشترك العالم فى ذمه لكننى أمدحه وحدى

٥ - أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه وتحمله ، كقول الأفوه  
الأودى :

رأى عين ثقة أن ستمار<sup>(١)</sup> وترى الطير على آثارنا

وقول أبي تمام :

وقد ظلللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل  
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لا تقاتل<sup>(٢)</sup>

فأبو تمام قد جعل الطيور " فى الدماء نواهل " وتلك زيادة حسنت المعنى وقررته ،  
فقط طيور الأفوه واثقة بأنها ستطعم ، أما طيور أبي تمام فإنها تنهل من دماء الأعداء .... ثم  
جعلها قائمة مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لا تقاتل ، لأن مهمتها أن تنهل  
من الدماء ، وتلك زيادة أخرى ازداد بها المعنى حسنا وبهاء .

(١) ستمار : يعني ستطعم ، يعني أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك

(٢) عقبان الأعلام : جمع عقاب بكسر العين وهو الرأبة الضخمة من إضافة الخاص للعام وعقبان

الطير : جمع عقاب بضم العين وهو طائر جارح معروف وبينهما جناس تمام .. ونواهل : جمع  
ناهلة اسم فاعل من نهل يعني روى ....

هذا ويدرك البلاغيون والنقاد تسميات وألقاباً أخرى للسرقات الشعرية غير ما ذكرنا ، كما يضيفون أنواعاً جديدة إذا تأملتها لن تجدها ذات بال .... من ذلك الاصطراق والاحتلاب والاهتمام والرافدة والاستلحاقي . فالاصطراق : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن صرفه إليه على جملة المثل فهو احتلاب واستلحاقي ، وإن ادعاه جملة فهو اتحال ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك إغارة وغصب ، فإن أخذه هبة مرافدة أو استفادة ، فإن كانت السرقة فيما دون البيت فهي اهتمام أو نسخ ، فإن تساوى المعانيان دون اللفظ ، وخفى الأخذ ، فذلك النظر واللاحظة وكتها إن تضاداً ودل أحدهما على الآخر ، فإن حول المعنى من نسبة إلى مدح فذاك احتلاس ، فإن صبح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر فتلك مواردة<sup>(١)</sup> ...

#### رأينا في السرقات الشعرية :

وأرى أن الأمر لا يعدو أن يكون تأثيراً ، وتأثيراً بين الشعراء ، وتوارد خواطير ، فمن الطبيعي أن يتأثر اللاحق بالسابق ، وأن يؤثر السابق في اللاحق ، يقول عنترة :

**ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً**

ويقول أيضاً :

**هل غادر الشعراء من متزدماً أم هل عرفت الدار بعد توهם**

ولذا لا ينبغي أن يتهم أحد بالسرقة دون أن تكون هناك القرائن والدلائل التي تدل على ذلك ... يقول الخطيب : " هذا كله<sup>(٢)</sup> إذا علم أن الثاني أخذ من الأول ، وهذا لا يعلم إلا أن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه ، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطير ، أى بحسبه

(١) انظر العمدة ٢١٥/٢ ، ٢١٦ .

(٢) يشير إلى أنواع السرقات المذكورة ...

على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ أو السرقة كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه :

مفید ومتلاف إذا ما أتيته تهلك واهتز اهتزاز الهند

فقيل له : أين يذهب بك ؟ هذا للحطينة ، فقال : الآن علمت أنى شاعر ، إذ وافقته على قوله ولم أسمعه ، وهذا لا ينبغي لأحد بت الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإنما فالذى ينبغي أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، فيغنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير ...<sup>(١)</sup> ، والله أعلم ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ..

في ٢٧ رمضان سنة ١٤٠٦ هـ  
 الموافق ٤/٦/١٩٨٦ م  
 بجى المطار - عنيزه - القصيم  
 المملكة العربية السعودية

د/ بسيونى عبد الفتاح بسيونى  
 المدرس بقسم البلاغة والنقد  
 كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر  
 بالقاهرة

١٢٩/٤ الإيضاح (١)



## أهم مراجع الكتاب

- ١ - الإنقاذ في علوم القرآن للسيوطى طبعة الحلبي سنة ١٣٩٨هـ .
- ٢ - أثر القرآن في تطور البلاغة العربية للأستاذ / كامل الخطولي . ط : الأنسور سنة ١٣٨١هـ .
- ٣ - أسرار البلاغة لعبد القاهر . ط : صبيح سنة ١٣٩٧هـ . ت : محمد عبد العزيز النجار .
- ٤ - إعجاز القرآن للباقلانى . ط : دار المعارف سنة ١٩٧٧م . ت : السيد صقر .
- ٥ - إعجاز القرآن بين النظرية والتطبيق . د / حفيظ شرف . ط : الأهرام سنة ١٩٧٠م .
- ٦ - الأغاني للأصفهانى . ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م .
- ٧ - الأقصى القرىب للتوكхи . مطبعة دار السعادة سنة ١٣٣٧هـ .
- ٨ - الإيضاح للقرزويني وبهامشه البغية . ط : صبيح سنة ١٣٩٢هـ .
- ٩ - بدیع القرآن لابن أبي الإصبع . ط : الرسالة سنة ١٣٧٧هـ . ت : حفيظ شرف .
- ١٠ - البدیع لابن المعتر نشر إنطليوس كراتشوفسکي لندن سنة ١٩٣٥م .
- ١١ - بغية الوعاة للسيوطى . ط : المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٠٦هـ .
- ١٢ - البلاغة تطور وتاريخ لشوقى ضيف . ط : دار المعارف سنة ١٩٧٧م .
- ١٣ - البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف للأستاذ / محمد أبو موسى . ط : دار الفكر العربي .
- ١٤ - البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها لأمين الخطولي . ط : مجلة كلية الآداب سنة ١٣٤٩هـ .
- ١٥ - البيان والتبيين للجاحظ . ط : الخانى . ت : عبد السلام هارون .
- ١٦ - تأویل مختلف الحديث لابن قتيبة . ط : الحلبي سنة ١٣٧٣هـ .
- ١٧ - تأویل مشكل القرآن لابن قتيبة . ط : الحلبي سنة ١٣٧٣هـ .

- ١٨ - تحرير التحبير لابن أبي الأصبع . ط : المجلس الأعلى سنة ١٣٨٣ هـ . ت : حفيتي شرف .
- ١٩ - تلخيص المفتاح للقزويني .
- ٢٠ - تنزية القرآن عن المطاعن لعبد الجبار . ط : دار الهبة بيروت .
- ٢١ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ط : دار المعارف سنة ١٩٧٦ م .
- ٢٢ - جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي . ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ت : د / محمد الماشي .
- ٢٣ - الحيوان للجاحظ . ط : السياسي سنة ١٩٥٠ م .
- ٢٤ - خزانة الأدب للحموي . ط : المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤ هـ .
- ٢٥ - دفاع عن البلاغة لأحمد حسن الزيات . ط : عالم الكتب سنة ١٩٦٧ م .
- ٢٦ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر . ط : الفجالة . ت : د / عبد المنعم خفاجي .
- ٢٧ - دلالات التراكيب للأستاذ / محمد أبو موسى . ط : دار المعلم سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٢٨ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . ط : الخانجي . ت : علي فودة .
- ٢٩ - شروح التلخيص .
- ٣٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة . ط : دار المعارف سنة ١٩٦٧ م . ت : الأستاذ أحمد شاكر .
- ٣١ - الصبغ البديعي للأستاذ / أحمد موسى . ط : دار الكاتب العربي سنة ١٣٨٨ هـ .
- ٣٢ - الصاحبي لأحمد بن فارس . ط : المؤيد سنة ١٣١٨ هـ .
- ٣٣ - الصناعتين لأبي هلال العسكري . ط : الحلبي سنة ١٩٧١ م .
- ٣٤ - طبقات فحول الشعراء للجمحي . ط : المدنى . ت : محمود شاكر .
- ٣٥ - الطراز للعلوي . ط : المقطف سنة ١٣٣٢ هـ .

- ٣٦ - طراز الحلة وشفاء الغلة لأبي جعفر الغرناطي وهو شرح لبديعية ابن حابر الأندلسي . مخطوط بالأزهر رقم ٦٣ خ بлагة .
- ٣٧ - العمدة لابن رشيق القيرواني . ط : دار الجيل . ت : محمد محبي الدين .
- ٣٨ - عيار الشعر لابن طباطبا : ط : شركة فن الطباعة سنة ١٩٥٦ م .
- ٣٩ - الفهرست لابن النديم . ط : الاستقامة .
- ٤٠ - قواعد الشعر لشلب . ط : دار المعارف سنة ١٩٦٦ م . ت : د / رمضان عبد التواب .
- ٤١ - الكامل للمبرد . ط : نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م . ت : محمد أبو الفضل .
- ٤٢ - الكتاب لسيبوه . ط : الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧ م . ت : عبد السلام هارون .
- ٤٣ - الكشاف للزمخشري . ط : الحلبي سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٤٤ - اللزوميات لأبي العلاء المعري . ط : بيروت سنة ١٣٨١ هـ .
- ٤٥ - لسان العرب لابن منظور . ط : دار المعارف .
- ٤٦ - المثل السائر لابن الأثير . ط : الحلبي . ت : محمد محبي الدين .
- ٤٧ - مجاز القرآن لأبي عبيدة . ط : الحاجي . ت : محمد فؤاد .
- ٤٨ - معجم الأدباء لياقوت . ط : فريد رفاعي سنة ١٩٣٦ م .
- ٤٩ - معاني القرآن للفراء . ط : الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ م .
- ٥٠ - المطول لسعد الدين التفتازاني .
- ٥١ - المغني للقاضي عبد الجبار ج ١٦ في إعجاز القرآن . ط : وزارة الثقافة والإرشاد .
- ٥٢ - مفتاح العلوم للسكاكيني . ط : الحلبي سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٥٣ - المقتصب للمبرد . ط : المجلس الأعلى سنة ١٣٨٦ هـ .

- ٥٤ - مناهج تجديد لأمين الخولي . ط : دار المعرفة سنة ١٩٦١ م .
- ٥٥ - الموازنة للأمدي . ط : دار المعارف سنة ١٣٨٠ هـ . ت : السيد صقر .
- ٥٦ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ط : جمعية إحياء تراث العلماء .
- ٥٧ - نقد الشعر لقدامة . ط : مطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٩٤٩ م . ت : كمال مصطفى .
- ٥٨ - نقد الشر [ البرهان في وجوه البيان ] لابن وهب . ط : مطبعة مصر سنة ١٩٣٩ م . ت : طه حسين ، وعبد الحميد العبادي .
- ٥٩ - النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور . ط : نهضة مصر سنة ١٩٧٢ م
- ٦٠ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي مطبعة الآداب سنة ١٣١٧ هـ .
- ٦١ - الوساطة بين المتبنّي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني . ط : الحلبي ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٦٢ - وفيات الأعيان لابن خلkan . ط : نشر فريد رفاعي .
- ٦٣ - يتيمة الدهر للشعالي . ط : الصاوي سنة ١٩٣٤ .

★ ★ ★

# محتويات الكتاب

## القسم الأول

الصفحة	الموضوع
٥-٣	مقدمة
١٦-٨	معنى البديع في اللغة : إطلاق البديع على فنون البلاغة ومسائلها ، نماذج من الفنون البدعية في الشعر القديم . الإسراف في الصور البدعية ، مدرسة بشار ، مدرسة مسلم بن الوليد ، مدرسة أبي تمام ، مدرسة البحترى وابن المعز .
٢١-١٦	متى بدأت الكتابة في مسائل البلاغة ؟ الملاحظات البلاغية في العصر الجاهلي ، الملاحظات البلاغية في العصر الإسلامي ، في العصر الأموي ، في العصر العباسي .
٢٢-٢١	الأسس البلاغية في الكتاب لسيبوه .
٢٣-٢٢	الأسس البلاغية في معانى القرآن للفراء .
٢٤-٢٣	مجاز القرآن لأبي عبيدة .
٢٦-٢٤	ملاحظات الأصمعي البلاغية .
٢٧-٢٦	صحيفة بشر بن المعتمر .
٢٨	الأسس البلاغية عند الباحث .
٣٣	ابن قتيبة وملاحظاته البلاغية .
٣٥	البلاغة في كتاب "الكامل" للمبرد .
٣٩	كتاب "البديع" لعبد الله بن المعز .
٤٣	كتاب "نقد الشعر" لقديمة بن جعفر .
٥٢	البرهان في وجوه البيان لابن وهب .
٥٤	رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني .
٥٨	إعجاز القرآن للبلقلاني .
٦٠	إعجاز القرآن للقاضى عبد الجبار .

الصفحة	الموضوع
٦٣	عياد الشعر لابن طباطبا .
٦٦	الموازنة بين أبي تمام والبحترى للأمدى .
٦٧	الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الحرجانى .
٧٢	كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى .
٧٨	كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى .
٨٤	كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى .
٨٩	"أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر .
١٠٨	مسار البحث البلاغى بعد عبد القاهر : تطبيقات الزمخشرى فى الكشاف ، الاتجاه الفلسفى ، نهاية الإعجاز للفخر الرازى ، مفتاح العلوم للسكاكى ، المصباح لبدر الدين بن مالك ، تلخيص المفتاح للقزوينى ، الشروح التى قامت على التلخيص ، الاتجاه الأدبي .
١١٠	البديع والبدعيات : بديعية الأربلى ، بديعية صفى الدين الحللى ، بديعية ابن حابر ، بديعية الموصلى ، بديعية ابن حجة الحموى ، بديعية عائشة الباعونية ، بديعية المدنى ، بديعيتا النابلسى ، بديعية الساعاتى ، البدعيات فى الميزان .
١١٣	البديع بين الذاتية والعرضية : طريقة القدماء فى تناول فنون البديع ، تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة ، تعريف علم البديع ، تقسيم مسائل البديع إلى محسنات معنوية ومحسنات لفظية ، خطأ هذا التقسيم ، محدثون مضوا على طريقة القدماء ، فنون البديع ليست مجرد الزينة ، مناقشة تعريف الخطيب لعلم البديع ، علاقة بين علوم البلاغة الثلاثة .
١١٦	أصالة البلاغة العربية : تصدى القدماء للرد على المشككين وإبراز أصالة البلاغة العربية ، الجاحظ ، ابن قتيبة ، عبد القاهر ، ابن الأثير .
١٢٠	المشككون فى أصالة البلاغة من المعاصرین : طه حسين ، إبراهيم سلامة ، أمين الخولي ، شوقى ضيف ، سلامة موسى ، الرد عليهم وتفنيده ما أثاروه .

## القسم الثاني

الصفحة	الموضع	وع
١٣٢	١٣٢	تقديم
		الطباق : معناه في اللغة والاصطلاح - وجه المناسبة بين المعنيين -
		مغزى الطباق وبلغته - صوره - الطباق المعنوي - طباق الإيجاب
		وطباق السلب - طباق التدبيج - ما يلحق بالطباق - ترشيح
١٣٥	١٣٥	الطباق - المقابلة - رأى السكاكي - الفرق بينها وبين الطباق .
		مراجعة النظرير : معناه - التناسب الخيالي - إيهام التنساب - تشابه
		الأطراف - وضوح التنساب ودقته - الإرصاد - معناه - قربه من
		مراجعة النظرير - بلغته .
١٥٦	١٥٦	العكس والتبدل : مفهومه - أوجهه - العكس في الحروف واختلاف
١٦٧	١٦٧	العلماء في تسميته - عكس المعانى .
		التورية : معناها - أنواعها - الفرق بين التورية والملازم - الفرق بين
١٧١	١٧١	التورية وبين المجاز والكتابية - بلاغة التورية .
		الاستخدام : معناه - صوره - وجه تسميته - بلغته - الفرق بينه
١٨٢	١٨٢	وبين التورية .
		التوجيه : معناه - بلغته - وجه تسمينه - الفرق بينه وبين الاستخدام
١٨٧	١٨٧	والتورية .
		المشكلة : معناها - أنواعها - المشاكلة التحقيقية والتقديرية - بلغتها -
١٩٠	١٩٠	المجاز والمشكلة .

- البالغة : المبالغة فنا بدعيًا وغاية بلاعنة - معنى المبالغة - آراء العلماء  
في قبولها وردها - أقسامها - المقبول منها .  
١٩٦
- التجريد: معناه - صوره - إفاده بعض أساليبه التشبّيه أو الالفات - بلاعنته.  
٢٠٥
- اللف والنشر : معناه - وجه تسميته - أنواعه - بلاعنته .  
٢٠٩
- التقسيم : صوره - الكشف عن مزايا بلاعنة وراء هذه الصور - عيوبه .  
٢١٣
- الجمع - التفريق - الجمع مع التفارق - الجمع مع التقسيم - الجمع مع  
التفارق والتقسيم .  
٢٢٨-٢١٩
- تجاهل العارف : معناه - الأسرار البلاعنة الكامنة وراءه - وجه تسميته -  
رأى السكاكي في تسميته .  
٢٢٩
- تأكيد المدح بما يشبه الذم : معناه - وجه تسميته - تأكيد الذم بما يشبه  
المدح - معناه - بلاعنة هذين الأسلوبين .  
٢٣٢
- المذهب الكلامي: أول من تحدث عنه - معناه - وجه تسميته - الفرق  
بينه وبين حسن التعليل .  
٢٣٨
- الرجوع : معناه - أسراره البلاعنة - الرجوع بحد تصحيف الخطأ .  
٢٤٣
- المزاوجة : معناها - وجه تسميتها - بلاعنته .  
٢٤٥
- المزل يراد به الجد : معناه - بلاعنته - الفرق بينه وبين أسلوب التهكم .  
٢٤٧
- حسن التعليل: معناه - ما ينبغي مراعاته في العلل الملتبسة- موازنات-  
صور حسن التعليل - الفرق بين التعليل العلمي والتعليل الأدبي -  
ما يلحق بحسن التعليل .  
٢٤٩
- ابتداء الكلام . مواضع التأنيق - حسن الابتداء - براعة الاستهلال -  
قبح الابتداء .  
٢٥٦
- حسن التخلص : معناه - الفرق بينه وبين الاستطراد - الاقتضاب - آراء  
العلماء في وقوع التخلص في القرآن .  
٢٥٩
- الاستطراد : معناه - أسرار بلاعنته .  
٢٦٢

الصفحة	الموضوع
٢٦٥	الاستباع : معناه - الفرق بينه وبين الإدماج .
٢٦٦	الإدماج : معناه - العلاقة بينه وبين الاستباع - بлагته .
-	الاقتباس: معناه- مم يكون-الفرق بينه وبين الاستشهاد أو الاستدلال-
-	جواز التغيير اليسير في المقتبس - الأثر البلاغي الذي يضفيه المقتبس
٢٦٨	على معانى الكلام .
-	التضمين : معناه - الفرق بينه وبين الاقتباس - التلميح - اختلاف
٢٧٠	العلماء في جواز الاقتباس من القرآن .
٢٧٤	الانتهاء : حسن الانتهاء - براعة الانتهاء - الفرق بينهما .
-	الجنس : لغة تاريخية - معناه- أنواعه - النام وغير النام - أنواع التام-
-	أنواع غير النام- التكليف في بعض هذه الأنواع مصطلحات مردودة -
٢٧٦	جنس الاشتقاد وشبهه - بlague الجنس .
-	السجع : معناه - أنواعه - معنى الفقرة والقرينة والفاصلة - بناء
-	الأسجاع - السجع من حيث طول الفقر وقصرها - شروط حسن
-	السجع - السجع من حيث تساوى فقره وعدم تساوいها - السجع عبر
-	العصور - آراء العلماء في السجع - بlague السجع .
-	رد الأعجاز على الصدور : معناه - وروده في الشعر والنشر لغة تاريخية -
٣١١	الفرق بينه وبين الإرصاد - بлагته .
-	لزوم ما لا يلزم - معناه وجه تسميته - مجبيه في الشعر والنشر - وروده
٣١٦	في الحروف وفي الحركات - الفرق بينه وبين لزوم ما يلزم .
-	السرقات الشعرية : أول من تحدث عنها - الكتب التي ألفت فيها -
-	ما تقع فيه السرقة وما لا تقع - أقسام السرقة - رأينا في السرقات
الشعرية .	
٣٢٠	أهم مراجع الكتاب .
٣٣٥	محتويات الكتاب .
٣٣٩	



دار الأمين لطبعات المساجد

٨ ش. أبو العالى (الصبوره) الهرم - ت/ لماكس ٢٤٣٩٤٤

١ ش. سوهاج من بن الزقانى - الهرم - ت/ لماكس ٤٣٦٩٩٩

